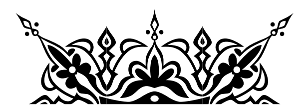
سلسلة الحقيقة الصعبة (١٧)

Series “The Hard Truth” (17)



مَسيحُ القُرْآن وَمَسيحُ المُسْلمين

The **C**hrist of the **Q**ur’ān & the **C**hrist of **M**uslims



أ. جوزف قزّي

Joseph **Q**ezzī

سلسلة الحقيقة الصعبة (١٧)

مَسيحُ القُرْآن وَمَسيحُ المُسْلمين

أ. جوزف قزّي

دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٦

مَسيحُ القُرْآن وَمَسيحُ المُسْلمين

مقدّمة

نقصد الكشفَ عن حقيقة مفهوم القرآن والمسلمين لشخص يسوع المسيح وعن حقيقة موقف كلٍّ منهما، ورأيهما في ما يتعلّق به من معتقداتٍ حدّدتها الكنيسة وعلّمتْها عبر التاريخ، كالتجسّد، والصلب، والموت، والفداء، والقيامة...

ولن نكونَ غيرَ دقيقين إنْ قلنا بأنّ ثمّة موقفاً ثابتاً، يعتمده المسلمون، وخطّاً محدَّداً ينتهجونه في معالجتهم شخصَ المسيح، ومختلف الموضوعات المتعلّقة به وبالمعتقدات المسيحيّة عامّة.

يؤكِّد كلامَنا هذا أحدُ أكثر المهتمِّين بـ«**الفكر الإسلامي في الرّدّ على النصارى**»، **عبدُ المجيد الشرفي**، الذي قال: «لقد أدّتْ بنا مقارنةُ كتبِ الرّدّ على النصارى إلى نتيجة لم نكنْ نتوقّعها في البداية، وهي أنّ هذا الجدل قد **اكتملتْ معالمه** في نهاية القرن الرابع الهجري، وأنّ الردود المؤلّفة في القرون الموالية إنّما كانت **تُرَدِّد ما كُتِب** في القرون الأربعة الأولى»[١].

---

(١) عبد المجيد الشرفي؛ **الفكر الإسلامي في الرّدّ على النّصارى، إلى نهاية القرن الرّابع/ العاشر**؛ تونس والجزائر؛ ١٩٨٦؛ قياس (١٧ × ٢٤)؛ ٥٨٠ صفحة؛ انظر: صفحة ٦.

وقال أيضاً: إنّ ردود القرون الموالية كانت «**إجتراراً كلّيّاً**، أو جزئيّاً، للمؤلّفات السابقة»[٢]. وكذلك قال أيضاً: «تبيّن لنا، بعد طول تفكير ومقارنة، أنّ مواضيع الجدل قد تحدّدتْ، بصفةٍ شبه نهائيّة... في أواخر القرن الرابع/ العاشر، واستقرّتْ أغراضُه الكبرى وسماته المميَّزة على نحوٍ يغنينا، فيما نعتقد، عن تتبّع ما كُتب في هذا المجال بعد هذا التّاريخ»[٣].

يؤيّد هذا الكلام باحثٌ آخر في الفكر الإسلامي، الدكتور **منير خوّام**، في كتابه «**المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة**»، إذ قال هو أيضاً: إنّ الكتّاب الجدد يستشهدون غالباً بالكتّاب القدماء، وأنّ الكتّاب اللاّحقين يستشهدون بالكتّاب السابقين»[٤]. ولا شيء جديد، بالنسبة إليه، إلاّ في طريقة العرض والمعالجة.

لهذا، نأمل ألاّ يملّ القارئ من نقلنا لهذه الآراء والمواقف، مع ما فيها من تكرار وترداد؛ لأنّ هذين التكرار والترداد هما مطلبنا.

ومع هذا فإنّنا سنستعرض أهمّ الكتّاب المسلمين، القديمين والمعاصرين، لنتأكّد منهم أنّ المسيرة لا زالت تتوالى هي نفسها، والخطّ هو هو. ولا شيء اليومَ يختلف عمّا كان بالأمس؛ ذلك لأنّ المرجع هو نفسه، أي القرآن الكريم، والأحاديث النبويّة الشريفة.

---

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٥.

(٤) الدكتور منير خوّام، **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة**، سلسلة المسيحية والإسلام، رقم ١، بيروت ١٩٨٣، (١٧ × ٢٤)، ٤٦٢ صفحة؛ رَ: ص ٣٨.

ولكنّنا، منذ الآن نقول: مسيحُ القرآن مسيحان، ومسيح المسلمين مسيحان أيضاً:

مسيحٌ يعظّمه القرآن جداً، فيضفي عليه أسماءً وألقاباً وصفاتٍ ومميّزات إلهيّةً، لا تُقال إلاّ على الله وحدَه، ولم تُطلَقْ على أحدٍ من الأنبياء، ولا حتّى على محمّد نفسه... ومسيحٌ يعتبره القرآن نبياً كسائر الأنبياء، جاء برسالةٍ خاصّة إلى بني إسرائيل، ليكمّل شريعة موسى، ويُعِدَّ لمجيء خاتم الأنبياء، محمّد.

وفيما يحتار الباحثون في هويّة مسيح القرآن الحقيقيّة، نرى المسلمين أيضاً يقولون بمسيحَين: مسيح القرآن النبيّ، ومسيح الأناجيل. فهم يأخذون بالأوّل؛ ويرفضون الثاني رفضاً جازماً.

هذا هو رأي المسلمين كافّة، منذ البدء حتّى اليوم وإلى ما بعد اليوم: فالمسيح ليس إلهاً، ولا إبناً للّه، كما يقول المسيحيّون ويغلون في قولهم، ويؤنّبهم القرآن بشدّة، فيقول: «قُلْ: يا أهلَ الكتاب! لا تَغْلُوا في دينكم غير الحقّ» (٥/ ٧٧)، ويردّد: «لا تَغْلُوا في دِينِكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ» (٤/ ١٧١).

أمّا مسيح الأناجيل فلا يقبل به المسلمون إطلاقاً: بل هم يرفضونه رفضاً قاطعاً، أي يرفضون أن يكون المسيحُ إلهاً أو إبناً للّه، أو أحدَ الأقانيم الإلهيّة الثلاثة؛ ويرفضون أن يكون قد صُلب وقام من بين الأموات؛ ويرفضون أن يكون مخلّصاً وفادياً؛ كما يقول المسيحيّون؛ ويرفضون أيضاً أن يكون أسّس كنيسة، وأنشأ لها أسراراً ومقدّسات، ويحيا فيها ومعها حتّى منتهى الدهر.

وأيضاً، ثمّة إشكال آخر، وهو أنّ الأسماء والألقاب والمميّزات الإلهيّة، التي أضفاها القرآنُ على المسيح، قد «فرَّغها» المسلمون من مضمونها التاريخي واللاّهوتي والروحي الذي لها، وأعطَوها تفسيراتٍ تناسب مفهومَهم ومقصودَهم: فكلماتٌ وتعابير مثل: «روح القدس»، و«كلمة الله»، و«روح الله»، و«المسيح»، و«يسوع»، أي «عيسى»، و«الوحي»، و«المائدة»... كلّها كلمات ذات مدلول مسيحيّ لاهوتيّ تاريخيّ معروف... إلاّ أنّها أصبحتْ مع المسلمين ذا مدلول مغاير تماماً... وفي أحسن الأحوال، يردّد المفسِّرون قولهم المألوف هذا: «اختلف أهلُ التأويل والمفسِّرون في معنى ذلك».

لهذا، فإنّنا نعالج، بكل وضوح وصراحة وتأكيد، موقفَي القرآن المتناقضَين من هويّة المسيح، وموقف المسلمين من مسيح الأناجيل، من بدء الإسلام حتّى اليوم. ونُرجع هذه المواقف إلى مصادرها، متّبعين تصميماً بسيطاً في المعالجة؛ وذلك ابتداءً من البشارة بعيسى، ومولده، وحياته، وأعماله، وتعاليمه، وموته وقيامته، إنتهاءً بمجيئه الثاني ونزوله إلى الأرض.

بهذا سوف تكون لنا، بعد هذا العرض، كلمة الفصل في هويّة مسيح القرآن ومسيح المسلمين. فلا يعودُ أحدٌ يرغب بالتسلّي بخداعنا بين ما ينوي وبين ما يقول.

الفصل الأوّل
مواقف «أهل الكتاب» من المسيح

أهل الكتاب في القرآن هم حصراً، اليهود، والنصارى. ولكنّ اليهود طائفتان والنّصارى أيضاً طائفتان:

أوّلاً ــ اليهود

١. **طائفة تُقيم التوراة،** من دون تحريف أو تبديل، تماماً كما نزلتْ على موسى، وأخَذ بها النبيّون من بعده. هذه الطائفة لم يكونوا في أيّام محمّد، ولم يتعرّف محمّد إليهم. وهم أيضاً لا يوجدون اليوم. بحسب المسلمين، زالوا من التاريخ وانقرضوا.

٢. **وطائفة حرّفتْ وبدّلت في التوراة.** وما آمنَتْ بعيسى ابن مريم نبياً. هؤلاء هم «**شَرّ البَرِيَّة**» (البيّنة ٩٨/ ٦)، «سمّاعُونَ للكَذِبِ أكَّالُونَ للسُّحْتِ (أي للحرام)»[١]، «يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»[٢]. ونصيبهم، في نهاية الأمر، «فِي نارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

---

(١) سورة المائدة ٥/ ٤١؛ رَ: ٥/ ٤٢؛ ٥/ ٦٣.

(٢) سورة النساء ٤/ ٤٦؛ ٥/ ١٣ و٤١.

فيها» (٩٨/ ٦). هؤلاء تعرّف إليهم محمّد، وحذَّره اللهُ منهم، منذ ولادته.. ولمّا ابتدأ برسالته، كانوا أوّلَ الذين حاربوه وقاتلوه؛ فاستولى على أرزاقهم وأموالهم وسرْحهم، وأخذ منهم السبايا والمغانم. وهم يهود اليوم.

ثانياً ــ النَّصارى

١. **طائفة** «الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. أولئكَ **همْ خَيرُ البريَّة**» (٩٨/ ٧). آمنوا بعيسى ابن مريم على أنّه نبيّ جاء يكمّل ناموس موسى. وكانوا يُقيمونَ التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزِلَ إلَيهِمْ من ربِّهم (٥/ ٦٨). هم أمّة وسَط (٢/ ١٤٣)، «أمّة مقتصدة» (٥/ ٦٦) في عقيدتها، لا تظلم حقَّ عيسى كاليهود، فتعتبره إنساناً عادياً؛ ولا هي تغلو فيه كالمسيحيّين، فتعتبره إلهاً أو ابناً لله. هؤلاء النصارى، «جَزَاؤُهم عِندَ ربِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحتِهَا الأنْهارُ. خَالِدينَ فِيها أبداً. رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ ورَضُوا عنْهُ» (٩٨/ ٨).

٢. أما الطائفة الثانية فهم «**المسيحيّون**» الذين تعرّف إليهم محمّد في السنة التاسعة للهجرة/ ٦٣١ م.، مع وفد نجران النسطوري. هؤلاء «غَلُوا» في إيمانهم بالمسيح، فاعتبروه ابناً لله. لقد حذّرهم القرآن في إنذاره لهم فقال: «يَا أهْلَ الكِتَابِ! لا تَغلُوا فِي دِينِكُمْ. ولا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاّ الحَقَّ: إنّمَا المَسِيحُ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ رسُولُ الله.. ولا تَقُولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لكُمْ. إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ. سُبحانَهُ أنْ يَكُونَ له ولَدٌ لَه ما في السَّمَوَاتِ ومَا في الأرضِ. وكَفَى باللهِ وكيلاً» (٤/ ١٧١ ــ ١٧٢؛ رَ: ٥/ ٧٧).

ثالثاً ــ المسلمون

أمّا **المسلمون** الذين اتّبعوا محمّداً فإيمانهم هو إيمان النصارى. والإسلام هو النَّصرانيّة نفسها. يدعو دعوتَها، ويؤمن بإيمانها، ويُقيم شعائرَها، ويعلّم تعاليمَها، وينهج نهجَها، ويعظِّمُ عيسَى المسيحَ ابنَ مريم نبيًّها، ولا يفرّق بين النبيّين.

ولكن، إذا كان للقرآن موقفَان مختلفَان من «أهل الكتاب»، اليهود والنصارى؛ فإنْ للمسلمين، منذ زمن القرآن حتّى اليوم، موقفاً واحداً لا غير. إنّهم يرفضون اليهوديّةَ، والمسيحيّة، جملةً وتفصيلاً. بل إنَّهم لا يعرفون اليوم إلاّ اليهوديّة التي حرّفتْ وبدّلتْ؛ ولا يعرفون أيضاً إلاّ المسيحيّة التي تؤمن بالمسيح إلهاً.

لهذا كتبوا في ذمّ هؤلاء المسيحيّين والردّ عليهم ردوداً جريئة، مفصِّلين موضوعات عقيدتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وتعاليم كنائسهم، وشريعة إيمانهم».

إنّ تعاليم عيسى، بحسب المسلمين، بسيطة، سهلة، يقبلها العقل، وتخضع للمنطق. وكذلك كانت حياتُه ومعجزاته بسيطة يقبلها كلّ إنسان. فعيسى إنسانٌ اختاره اللهُ، كما اختار غيرَه من الأنبياء. هو نبيٌّ، مثله مثل إبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وداود، وأيّوب، وشعيب وهود وصالح... ومحمّد.

صحيح أنّ عيسى، في نظر المسلمين، تميّز عن النبيّين بولادته، ومعجزاته، وموته وبعثته ورفعه، ومجيئه قبل يوم الدين... ولكنّ رسالتَه لم تكن خاتمة الرسالات السماويّة، وتعاليمَه

ليست صالحةً لكلِّ عصرٍ ومصر. لهذا جاء محمّد خاتماً لكلِّ اتّصالٍ بين الأرض والسماء، ومكمِّلاً لجميع تعاليم النبيّين السابقين.

لقد جاءَ عيسى، في رأي المسلمين، بإنجيلٍ فيه تعاليم إلهيّة تناسب إنسانَ عصره. إنّما هذا الإنجيل قد ضاع، أو ضُيِّعَ، أو حرِّف[٣]. وما يوجد بين أيدي المسيحيّين اليوم ليس إنجيل عيسى، بل هو روايات كتبها رسلٌ وتلاميذ، ورسائل كتبها أناسٌ ليسوا بأنبياء ليكون فيها وحيٌ سماويّ... وليس بوسع أحدٍ أن يعرف الإنجيلَ الأصل. إنّما أوحى اللهُ إلى النبيّ محمّد، وفي القرآن نفسه، بحقيقة هويّة عيسى وإنجيله الحقيقيّ.

فما يقوله القرآن عن عيسى، في رأي المسلمين، هو الحقيقة. والنصرانيّة الحقّة هي التي يتكلّم عليها القرآن. ونأخذها منه لا من الأناجيل التي تتداولها الكنيسة وتعتمد عليها في تعاليمها. هذه هي الحقيقة كلّها: القرآن وحده يُعلمنا العلم الحقَّ عن عيسى وحياته ومعجزاته وموته ورفعه وبعثه وتعاليميه. وما تقوله الكنيسة، وما يعلّمه المسيحيّون اليومَ، ليس هو الحقيقة.

وبسبب ذلك، للمسلمين من مسيح المسيحيّين اليوم موقف صريح واضح: المسيحيّون، بما يقولون في الله وعيسى وأمّه وروح القدس، مشركون حقاً. والله لن يغفر لهم شرْكَهم هذا..

---

(٣) كما سنرى في الفصل التالي.

الفصل الثاني
الإنجيل ليس مرجعاً لمعرفة هوية المسيح

بالرغم من أنّ محمّداً آمن بالكتب التي نزلت على النبيّين والرسل، وحثَّ أتباعَه على أن يؤمنوا بها، وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، والمزامير، والإنجيل، وقال: «قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ. لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»[1]. وأتباع محمّد هم «الذينَ يؤمنون بما أُنْزِلَ إليكَ، وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» (٢/ ٤). وهم الذين يقرّون ويعلنون دائماً بأنّهم لا يفرّقون بين أحدٍ من النبيّين.

وبالرغم من أنّ أهلَ الكتاب أنفسَهم يؤمنون خاشعين بما أُنزِل عليهم وبما أُنزِل على محمّد؛ ولا يبدّلون كلامَ الله بأيِّ شيءٍ مهما بلغ ثمنه، ويقول: «وإنَّ مِنْ أهلِ الكتابِ لمَنْ يُؤمِنُ باللهِ وما أُنْزِلَ إليكُمْ (أي القرآنِ)، ومَا أُنْزِلَ إليهمْ (أي التوراة والإنجيل) خاشعين للهِ. لا يَشتَرونَ بآياتِ اللهِ ثمَناً قليلاً» (٣/ ١٩٩).

---

(١) سورة البقرة ٢/ ١٢٦؛ رَ: ٢/ ٢٨٥؛ سورة آل عمران ٣/ ٨٤.

والنّصارى، بنوع خاصّ، أي «الرَّاسِخُونَ في العِلْمِ منهمْ والمؤمِنونَ يؤمِنونَ بمَا أُنْزِلَ إليكَ ومَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» (٤/ ١٦٢)؛ بل يعلنون عن فرحهم بما يسمعون من القرآن (١٣/ ٣٦). ولا يجدون أيَّ اختلافٍ بين ما يقرأون في كتبهم وبين ما يسمعون من القرآن (٢٩/ ٤٦).

وبالرغم من أنّ هذه الكتب جميعها، التوراة والإنجيل والقرآن، هي واحدة، وتستمدّ تعاليمها من مصدرٍ واحدٍ، موجودٍ في السماء العليا، منذ الأزل، وهو «اللّوح المحفوظ»؛ أي القرآن المجيد نفسه[٢]. ويتمنّى محمّد على أهل الكتاب جميعهم، كما على أتباعه أيضاً، أن يؤمنوا بالكتب جميعها (رَ: ٥/ ٦٨).

بالرغم من كلّ ذلك، نجد القرآنَ يهاجم أهلَ الكتابِ بسبب تحريفهم لبعض الآيات، وتزويرها، وتبديلها، وكتمانها، وإخفاء ما فيها، وإلباسها ثوب الباطل. يقول: «يا أهلَ الكتاب! قد جاءَكم رسولُنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تُخْفُونَ من الكتابِ، ويعفو عن كثيرٍ (فلا يبيّنه). قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين» (٥/ ١٥).

وفي آيات عديدة ينبّهُ القرآنُ اليهودَ والنصارى على صنيعهم هذا. يقول: «لا تُلْبِسوا الحقَّ بالباطل، وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون» (٢/ ٤٢)؛ ويقول أيضاً: «يا أهلَ الكتاب! لِمَ تُلبِسونَ الحقَّ بالباطل، وتَكتمون الحقَّ، وأنتم تَعلمون» (٣/ ٧١). وكذلك أيضاً،

(٢) البروج ٨٥/ ٢١ ــ ٢٢؛ رَ: النساء ٤/ ٤٤ و٥١؛ آل عمران ٣/ ٧؛ الواقعة ٥٦/ ٧٧ ــ ٨

فهو يتّهم كثيرين منهم بالكذب على الله. يقول: «وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب. ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» (٣/ ٧٨).

والنتيجة إنّ الله، بسبب تحريف الكتب وتزويرها، جعل بين اليهود بعضهم مع بعض، والنصارى بعضهم مع بعض، واليهود والنصارى بعضهم مع بعض، عداوةً وبغضاء إلى يوم القيامة. قال: «فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون» (٥/ ١٤).

***

واليوم يميل المسلمون، في معظمهم، إلى القول بتحريف أهل الكتاب لكتبهم. هذا التحريف يدفعهم إلى رفض الكتاب المقدّس كلّه، في عهدَيْه القديم والجديد. وما في أيدي المسيحيّين، من أناجيل لا يمثّل إنجيل عيسى ولا رسائلهم تحتوي تعاليمه.

والإنجيل، برواياته الأربع، وبالرغم من احتمال صحّة نسبة بعض ما فيها إلى الله وعيسى، تبقى في مجملها غير أمينة، وليست جديرة بالثقة، ولا مقبولة من المسلمين، لأنّ المسيحيّين قد محوا وأخفوا كلَّ ما يتعلَّق بمحمّد (٥/ ١٥)، ذاك النبيّ «الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل» (٧/ ١٥٧).

ومع هذا، وبالرغم من هذا كلّه، نجد القرآنَ لا ينفكّ يؤكّد ما جاء في الإنجيل. لهذا يدعو محمّداً، إن شكّ بدعوته، أن يسأل أهلَ

الكتاب: «فإنْ كنتَ في شكٍّ ممّا أَنزَلنا إليكَ، فاسألِ الذينَ يَقرَأونَ الكتابَ مِن قبلِكَ. لقد جَاءكَ الحقُّ مِن ربِّكَ. فَلا تَكونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ (أي الشاكِّين فيه)» (١٠/ ٩٤).

والحقّ يُقال: ليس من آيةٍ صريحةٍ في القرآن تتّهم النّصارى بالتحريف، كما هو حال اليهود. إلاّ أنّ المفسّرين، على حسب عادتهم، يلصقون بالنصارى كلّ ما يعود إلى اليهود. وفي ذلك يقول حديثاً **المستشار محمّد العشماوي:** «القرآن لم يذكر شيئاً على الإطلاق عن تحريف الإنجيل (العهد الجديد) بمختلف ما فيه من أناجيل وأعمال ورسائل ورؤى. إنّه لم يتّهم المسيحيّين بأيّ تحريف.. إنّ المقصود بالتحريف هو تحريف اليهود في المدينة (أيّام النبيّ) لآيات التوراة تحريفاً معنوياً بتغيير مدلولها، أو بإمالة اللّفظ عن معناه، أي تفسيرها تفسيراً يوافق أهواءهم وأغراضهم ويخالف التفسير الصحيح المقصود منها»[٢].

وهو أيضاً رأي **علي بن ربّن الطبري**، قديماً، الذي لا يشير، في كتابه **الردّ على النصارى**، إلى أكثر من ذكر بعض «التناقض والكبائر التي في الإنجيل». فهو، لا يقول، لا هنا ولا في كتاب «**الدين والدولة في إثبات نبوّة النبيّ محمّد**»، بأنّ هناك تحريفاً في الأناجيل، كما يقول معظم المسلمين. وقد يكون السبب أنّه كان، قبل اعتناقه الإسلام، يؤمن بها ككتب سماويّة.

---

(٣) **الإسلام والأديان الأخرى**، **مجلّة الأزمنة**، المجلّد ٣، عدد ١٣؛ ١٩٨٨؛ ص ١٠ ــ ٢٣. وهو أيضاً رأي **بلاشير** في ترجمته للقرآن وتعليقه على سورة النساء ٤ آية ٤٦.

ومع هذا، فإنّ المسلمين يُجمعون على تحريف الإنجيل، أي إنّ الإنجيل الذي بين أيدي الكنيسة ليس هو إنجيل عيسى الحقيقي. هذا الإنجيل ضاع، أو أُخفي، واستبدل بأربع روايات متناقضة.

ويتمنّى **الإمام محمّد أبو زهرة**، شيخ الأزهر، على الكنيسة أن تكشف عن إنجيل المسيح الحقيقي الذي أُنزِل عليه، فقال: «ليتَ هذا الإنجيل كان قائماً، وحرصت الكنيسةُ على بقائه، وقامت بحياطته، ليكون فيصلاً بين المختلفين، وحَكماً بين الفِرَق والمفترقين، وليكون قسطاسَ المجامع القديمة والحديثة التي حكمت حين الانشقاق، وليكون مصدراً علميّاً لمن يكتب في المسيحيّة الأولى، ويتبعها في مدارجها في أحقاب الزمن وملابسات التاريخ»[٤].

ويعتبر إمام الأزهر أن يكون إنجيل برنابا هو الأقرب إلى إنجيل عيسى، وأنْ الأناجيل الموجودة بين أيدي المسيحيّين غير موحاة[٥].

ويقول **شريف محمّد هاشم**[٦]: «إنّ القرآن والمسلمين والمؤمنين به لا يعترفون إلاّ بإنجيل واحدٍ، هو إنجيل النبي عيسى بن مريم، وهو الإنجيل الذي كان يخاطبه القرآن ويعنيه. وليس ذنب القرآن والمسلمين إذا كان هذا الإنجيل قد ضاع في زحمة

---

(٤) الإمام محمّد أبو زهرة، **محاضرات في النّصرانيَّة**، ص ٥٦.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٧٨ ــ ٨١.

(٦) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، ص ١٠٥.

الأناجيل المتعددة المتضاربة المتناقضة التي ظلّت تتكاثر وتتزايد قرناً بعد قرن».

ثمّ «إنّ المسلمين يؤمنون بأنّ النبي عيسى قد ترك للبشرية إنجيلاً سماوياً، وأنّ أتباعه أضاعوه في زحمة أناجيلهم المتعددة، وأنّ أنصار التثليث قضوا قضاءً مبرماً على كلّ أثرٍ لهذا الإنجيل، بعدما أحلّوا محلّه نظرياتِ بولس. وعليه، فإنّنا نرى أنّ من العبث التفتيش عن إنجيل المسيحيّة الحقيقي، بعدما غاب إلى الأبد بغياب صاحبه. هذه الحقيقة لا جدال فيها ولا مواربة»[٧].

والذي حصل من «ضياع الإنجيل الحقيقي» كثرةُ البدع والشيع في المسيحيّة، بل الاقتتالُ بين الكنائس التي تدعو إلى كتابها. ف «إنّ البدع والمسيحية توأمان... وما كانت تلك البدع في المسيحيّة لتكون لو أنّ إنجيل عيسى الحقيقي كان موجوداً، فتسير المسيحيّة على هديه، وتستنير بنوره، فيصونها من الضياع، ويحفظها من التمزّق، ويصوّب نظرتها إلى أمور الكون والحياة»[٨].

وفي رأي سماحة مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة **الشيخ حسن خالد** إنّ الإنجيل الحقيقي «لا يمكن أن يكون أناجيل، ولا يمكن أن يكون أناجيل مختلفة اختلافاً عرضياً أحياناً وجوهرياً أخرى...

---

(٧) المرجع السابق نفسه، ص ١٦٨.

(٨) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٩. مأخذنا على هذا القول أنّ القرآن، بالرغم من كونه كتاباً واحداً، «لا ريب فيه»، تفرق المسلمون بعده، وبسببه إلى ٧٣ فرقة.

ولو كان كذلك لما صحّ أن يكون كتاباً واحداً، بل كتباً... ولما صحّ أن يكون من عند الله، لأنّ ما يكون من عند الله يستحيل أن يقع فيه الاختلاف والتضاد، وأن يأتيه الباطل...»[٩].

ولكن، وأسف المفتي الكبير، أنّ النصارى ضيّعوا إنجيلَ عيسى لغايةٍ في نفس يعقوب. والغاية في نفس يعقوب هي إخفاء كلام عيسى عن النبيّ العتيد محمّد، كما «يؤكد علماء المسلمين الأجلاّء أنّ وصف الرسول قد ورد في التوراة بصورة قاطعة لا تحمل الشك»[١٠].

وتقوم نظريّة الشيخ على أنّ اختيار كتب العهد الجديد كان على أساس تعاليم مجمع نيقية القائل بألوهيّة عيسى[١١].

***

أمّا إنجيل برنابا، الذي تُرجم إلى العربيّة، وطبع نشر، في مصر، سنة ١٩٢٥، على يد **الدكتور خليل سعاده،** وقدّم له مشيراً إلى أنّه هو الإنجيل الحقيقي الوحيد الذي تكلّم عنه القرآن، فقد استقبله المسلمون، كمفاجأة تاريخيّة دينيّة، لا تقلّ عن مفاجأة اليهود والمسيحيّين باكتشافات البحر الميت ورأس شمرا بالنسبة إلى التوراة والإنجيل.

---

(٩) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ص ٧١٣ ــ ٧١٤.

(١٠) المرجع السابق نفسه، ص ٦٢٢.

(١١) رَاجع: المرجع السابق نفسه، ص ٧٠٨.

هذا الإنجيل، كما يقول فيه المسلمون، هو المرجع الصادق لمعرفة حياة المسيح عيسى ابن مريم.

يقول فيه **الشيخ العاملي:** إنّه «أعظم كتاب تملكه الكنيسة، وتفتخر به.. فهو الكتاب الوحيد الذي يشبع العقل ويروي الظمآن من الحيرة، ويعصم من الانحراف والتشكيك الذي تزرعه الأناجيل الأربعة في قلب مطالعيها. إنَّه الكتاب الذي يروي حياة المسيح، وينقل أقواله وحكمه المضيئة التي تتلألأ نوراً على صفحاته بما لا يدع مجالاً للشكّ في أنّ هذه الحكمة ليست لإنسان عادي، بل هي لرسول الله عيسى بن مريم. وهو الكتاب الوحيد الذي يجب أن يعتمد عليه في فهم العقيدة النصرانيّة الحقيقيّة»[١٢].

ويقول الشيخ **محمّد أبو زهرة** رئيس الأزهر: «وإنجيل برنابا هذا يمتاز بقوّة التصوير، وسموّ التفكير، والحكمة الواسعة، والدّقة البارعة، والعبارة المحكمة، والمعنى المنسجم، حتّى إنّه لو لم يكن كتابَ دينٍ لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى لسموّ العبارة وبراعة التصوير..

«ولقد كنّا نظن أنّ ظهورَ ذلك الإنجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد في مصادر الدين، لتعرف أي الكتب أقرب نسَباً بالمسيحيّة الأولى. أذلك الإنجيل بما خالف، أم الرسائل والأناجيل التي توارثتها؟ ولكنّهم سارعوا في الرفض والإنكار...

---

(١٢) **الكتاب المقدّس في الميزان**، ص ٢٨٠.

«والأمور التي خالف ذلك الإنجيلُ فيها ما عليه المسيحيّون الآن تتلخّص في أربعة أمور:

«أوّلها: إنّه لم يعتبر المسيح ابنَ الله، ولم يعتبره إلهاً..

«الأمر الثاني: إنّ الذبيح الذي تقدّم به إبراهيم الخليل للفداء هو إسماعيل وليس بإسحق..

«الأمر الثالث: إنّ مسيّا، أو المسيح المنتظر، ليس هو يسوع، بل محمّد. وقد ذَكَرَ محمّداً باللّفظ الصريح المتكرّر في فصول ضافية الذيول، وقال إنّ رسول الله، وإنّ آدم، لمّا طُرد من الجنّة، رأى سطوراً كتبت فوق بابها بأحرفٍ من نور: «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله».

«الأمر الرابع: إنّ هذا الإنجيل يبيّن أنّ المسيح لم يُصلب، ولكن شبّه لهم، فألقى اللهُ شبهَه على يهوذا الإسخريوطي. ويقول في ذلك برنابا: «الحقّ أقول إنّ صوتَ يهوذا، ووجهَه، وشخصَه بلغتْ من الشبه بيسوع أن أعتقد تلاميذُه والمؤمنون به كافّة أنّه يسوع»[١٣].

أمّا **أحمد زكي** فقد كان أكثر المعتمدين على إنجيل برنابا «الذي أفلت من الحرق والدمار. ويعود الفضل في ذلك إلى الأب فرامينو، الذي سرقَه من مكتبة الفاتيكان. وبعدها شاع وذاع»[١٤].

---

(١٣) **محاضرات في النصرانيّة**، ص ٦٤ ــ ٦٦.

(١٤) أحمد زكي، **أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، ص ٨٥٥.

وتعود أهمّيّة هذا الإنجيل، في رأيه، إلى أنّه «يتكلّم عن الله الواحد، وليس عن ثلاثة آلهة. كما أنّه لا يعترف بصلب المسيح»[١٥].

***

إنّ موقف المسلمين عامّة، من التوراة والإنجيل، هو واحد، وهو أنّهم يؤكّدون أنّ فيهما تحريفاً وتبديلاً.

هذا الموقف هو نفسه منذ القديم حتى اليوم.

وسندهم هو القرآن الذي يؤكّد في قوله: «يَا أَهْلَ الكتابِ! قد جاءَكم رَسُولُنا يُبيّنُ لكم كثيراً ممّا كنتم تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ، ويَعْفُو عن كثير (فلا يبيّنه خشية افتضاحكم)» (٥/ ١٥).

واستناداً إلى هذا، لن يكون لنا، في معرفة هويّة المسيح عيسى في القرآن والإسلام إلاّ ما جاء في القرآن وتفاسير المسلمين. والرجوع إلى المصادر المسيحيّة غير جائز، لأنّ حقيقة النصرانيّة ومعتقداتها نأخذها، في رأي المسلمين كافّة، من مرجعها الحقيقي الذي هو القرآن.

---

(١٥) المرجع السابق نفسه، ص ٢٤٢.

الفصل الثالث
ولادة المسيح عيسى

لنبدأ بالبداية، أي بالكلام على ولادة مريم، وحياتها في الهيكل نذيرةً للرب؛ ثمّ بالكلام على بشارتها بميلاد ابنها عيسى. وننهي بسردٍ طويل في آراء أبرز الكتّاب المسلمين عبر التاريخ الإسلامي، منذ البدء حتّى اليوم.

نظرة القرآن والنّصارى إلى مريم أمّ عيسى نظرة جليلة. بسببها يفترقان عن اليهود الذين يتّهمهم القرآن بالكفر وقول الزور: «وَبِكُفْرِهِم وَقَولِهم عَلى مَريمَ بُهتاناً عَظيماً» (٤/ ١٥٦).

تحتلّ مريم في القرآن مقاماً رفيعاً جدّاً. إنّها المرأة الوحيدة التي ورد اسمُها فيه، أي ٣٤ مرّة. وعادة ما يُسمِّي عيسى بابن مريم بخلاف التسميات الساميّة المألوفة التي تَنسب الابنَ إلى أبيه؛ ممّا يدلّ، من جهة، على ولادته المعجزة، أي من دون أبٍ بشريّ؛ ومن جهة ثانية، على شرف أمّه ومكانتها، إذ هي وابنها، كما يقول عنهما: «وجَعَلْناها وابنَها آيةً للعالمين» (٢١/ ٩١)، «وَجَعَلْنا ابنَ مريمَ وأمَّه آيةً» (٢٣/ ٥٠).

أوّلاً ــ في ولادة مريم

١. يعترف القرآن والنّصارى بكثرة الإنعامات التي خصَّ اللهُ بها **أجدادَ مريم**، وكان لهم ذلك بسببها. وكلا القرآن والنصارى يقدّم إثباتاً لائقاً بشرف انتسابها إلى سلالة الأنبياء: من آدم إلى نوح، إلى ذرّيّة إبراهيم وآل عمران:

في القرآن «إنّ اللهَ اصْطَفَى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ على العالمين: ذرّيّة بعضها من بعض. واللّهُ سميعٌ عَليمٌ. إذ قالتِ امرأةُ عِمرانَ: رَبِّ إنّي نَذرتُ لكَ مَا في بَطني مُحَرَّراً. فَتَقَبَّلْ مِنِّي. إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ» (٣/ ٣٣ ــ ٣٥).

وفي المصادر النصرانيّة، «نقرأ في تواريخ أسباط إسرائيل الإثني عشر... وذلك ليتبيّن لنا شرف انتساب المسيح وأمّه مريم إلى ذريّة يعقوب»[١]...

٢. أمّا عن **مولد مريم** العجائبيّ فيُضيف القرآن أنّه، «لمّا وَضَعتْها (أمُّها حنَّةُ جاريةً)، قالتْ: ربِّ! وَضَعتُها أُنثى. واللهُ أعلمُ بما وَضعتْ. وليسَ الذَّكَرُ (الذي طَلبتْ) كالأنثَى (التي وُهِبَتْ). وَإِنّي سَمَّيتُها مريمَ. وإنِّي أُعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَها مِنَ الشيطانِ الرَجيم. فَتَقَبَّلَها ربُّها بقَبولٍ حَسَنٍ. وَأنبتَها نَباتاً حسَناً» (٣/ ٣٦ ــ ٣٧).

وفي المصادر النّصرانيّة: قال ملاك الرب: «حَنّة، حنّةّ! لقد استجاب الربُّ صلاتك. إنّك ستحبلين وتلدين وسيُتحدَّث عن

---

(١) *Protévangile de Jacques*, I, 1.؛ سنجعل المراجع القرآنية بالأرقام وفي متن النصّ، إلاّ إذا تعدّت المرجع الواحد؛ فيما المراجع النصرانيّة سنجعلها في الحواشي.

ذرّيتك في الأرض كلّها». قالت حنّة: «حَيٌّ الربّ. إنْ وضعتُ للعالم ولداً، صبيّاً كان أم ابنة، سأقدّمه للربِّ الإله. وسيكون في خدمته طول أيّام حياته».

(وبعدما ولدت) «قالت للقابلة: ماذا وضعتُ للعالم؟ أجابتِ القابلة: ابنةً. وأعطتْ حنّة لابنتها اسمَ مريم».

(وصلّى يواكيم قائلاً:) أيّها الربّ! انظر إلى ابنتك هذه، وتقبّلْها، وحلَّ عليها بركتَكَ. وكانت الصبية تنمو يوماً بعد يوم»[٢].

ثانياً ــ مريم في الهيكل

٣. عن **دخول مريم إلى الهيكل** واحتجابها فيه، يقول القرآن: «وَاذكرْ في الكتاب مريم إذ انتبذَتْ من أهلها مَكاناً شرقياً. فاتّخذتْ من دونِهم حجاباً» (١٩/ ١٦ ــ ١٧). ثمّ «كفّلها زكريّا» (٣/ ٣٧). ويتوجّه إلى محمّد قائلاً: «وَمَا كنتَ (يا محمّد) لدَيهمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ (في الماءِ يقترعون ليظهر لهم) أيُّهُمْ يَكْفُلُ مريمَ. ومَا كنتَ لَدَيهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ (في كفالتهم فتعرف ذلك) (٣/ ٤٤).

وفي المصادر النصرانيّة: قاد يواكيم ابنتَه إلى الهيكل. وكان لها من العمر ثلاث سنوات. وكلّف ملاكُ الرّبِ زكريّا رئيسَ الكهنة، ليكفُلَ مريم، ويجدَ لها زوجاً. واستشار زكريّا حكماء اليهود في ذلك[٣].

---

(٢) *Protév. de Jq*. 4, 5, 6.

(٣) *Protév. de Jq*. 78.

وروت هذه المصادر قصّةَ الكفالة (ليوسف لا لزكريّا) كما يلي: «فدخلَ الكاهنُ قدسَ الأقداس، وقد لبس رداءَه ذا الإثنَي عشر جُرَيساً، وأخذ يصلّي. وإذا بملاكِ للربِّ ظهر قائلاً: "يا زكريّا! يا زكريّا! أُخْرُجْ واستَدْعِ كلَّ أراملِ الشعب. وليأتِ كلُّ واحدٍ بقلَمٍ. ومَن يُظهر له الربُّ علامةً يجعلُ منها امرأتَه. وتفرَّقَ بُشَراءُ في بلاد اليهوديّة كلِّها، ودوّى بوقُ الربِّ فإذا بهم يهرعون كلُّهم. ورمى يوسفُ فأسَه ومضى هو أيضاً ينضمُّ إلى الجماعة. وتوجّهوا معاً إلى عند الكاهن مع أقلامهم. فأخذ الكاهنُ الأقلامَ، ودخلَ الهيكلَ وصلّى. وإذ أنهى صلاتَه استعادَ الأقلامَ. وتلقّى يوسفُ قلَمَه أخيراً؛ وإذا بحمامةٍ طارتْ من قلمِهِ وحطّتْ على رأسه. إذّاك قال الكاهنُ: «يا يوسف! يا يوسف! أنتَ المختارُ. فأنتَ الذي سيأخذ عذراءَ الربّ"»[٤].

٤. وبحسب القرآن، «كلَّما دَخل علَيها زكريّا المِحْرابَ **وجَدَ عندَها رِزْقاً**. قالَ: يا مريم! أنَّى لَكِ هذا؟ قالتْ: هو مِنْ عندِ الله. إنّ الله يَرزقُ مَن يَشاءُ بغيرِ حسابٍ» (٣/ ٣٧).

أمّا بحسب الأناجيل المنحولة فجاء عن طعام مريم العجائبي: «وكانت مريمُ مُرَبَّاةً كحمامةٍ في هيكل الربّ. وكانتْ تتلقّى طعامَها من يدِ ملاك»[٥].

---

(٤) إنجيل يعقوب التمهيدي، ٨/ ٣ ــ ٩/ ١؛ رَ: متّى المزعوم، ٨/ ٢ ــ ٣.

(٥) إنجيل يعقوب التمهيدي، ٨/ ١؛ هذا الموضوع موجود كذلك في منحولّين آخرَين هما إنجيل متّى المزعوم (٧/ ٣)، وأسئلة برتلماوس (٤/ ٢١).

ثالثاً ــ في ميلاد عيسى

وبقيتْ مريمُ في الهيكل على هذه الحال إلى أن آن أوان بشارتها بميلاد ابنها عيسى.

١. وها مريم في الهيكل، فأرسل اللهُ إليها (الملاك جبريل)، بهيئة بشر (١٩/ ١٧)، وكلّمها الملاك: «يا مريمُ! إنَّ اللهَ اصطفاكِ وَطَهَّرَكِ (من مسيس الرجال)، وَاصْطَفاكِ على نساءِ العالمين» (٣/ ٤٢). وأنبأها بأنّ اللهَ «يُبشّرُكِ بكلمةٍ منهُ اسمُهُ المسيحُ عيسَى ابنُ مريمَ، وَجيهاً في الدنيا والآخِرةِ، ومِن المقرَّبين. ويُكلِّمُ الناسَ في المهدِ وكَهْلاً وَمِنَ الصَالحِين» (٤/ ٤٥).

وقالت مريم: «إنّي أعوذ بالرحمن منكَ إنْ كنتَ تقيّا» (١٩/ ١٨). ثمّ قال الملاك: «إنّما أنا رسولُ ربِّكِ لأهبَ لكِ غلاماً زكيّا» (١٩/ ١٩). فقالت مريم: «أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر، ولم أك بغيّا» (١٩/ ٢٠).

قال: «كذلك الله يخلق ما يشاء. إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كنْ فيكون» (٣/ ٤٧). أو: «قال: كذلك قال ربُّكِ وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ. ولنجعلْه آيةً للنّاسِ ورحمةً مِنّا وكانَ أمراً مقضياً» (١٩/ ٢١).

وفي المصادر النّصرانيّة: «أرسل اللهُ الملاكَ جبرائيل للعذراء يقول لها: لا تخافي، إنّكِ وَجَدتِ عند الله نعمةً، وستحبلين بكلمته. والمولود منكِ يُدعى ابن العليّ، وتسمّيه يسوع»[٦].

---

(٦) *Protév. de Jq*. 11.

وفي لوقا ما يشبه ذلك. يقول: ودخل إلى العذراء ملاك يقول لها: السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة. الربّ معك.. واضطربت لهذا الكلام، وقالت في نفسها: ما معنى هذا السلام.. قال الملاك: لا تخافي يا مريم، قد نلتِ حظوة عند الله..

«فقالت مريم للملاك: أنّى يكون هذا ولا أعرف رجلاً.. فأجابها الملاك: إنّ الروح القدس يحلّ بك وقدرة العليّ تظلّلكِ، لذلك يكونُ المولود قدوساً وابن العليّ يُدعى.. قالت مريم: فليكن لي كما قلت»[٧].

٢. وعن **ميلاد يسوع**، يقول القرآن: ولمّا آن المخاض، «حملتْه (مريم أمُّه) فانتبذتْ (تنحّتْ) به مكاناً قصيّاً (بعيداً عن أهلها)»، أي: في البريّة حيث وجدتْ شجرةَ نخلٍ جلستْ تحتها تنتظر مولودَها. «فَأَجَاءَها المخاضُ إلى جذعِ النَّخلَةِ. قالتْ: يا ليتَني مِتُّ قَبلَ هذا، وكنتُ نَسْياً مَنْسِياً. فَناداها (صوتٌ) مِنْ تَحتِها[٨]: «لا تحزَني. قد جَعلَ ربُّكِ تحتَكِ سَرِياً (أي ينبوع ماء يَسري، أي

(٧) انظر إنجيل لوقا ١/ ٢٦ ــ ٣٥.

(٨) يختلف المفسّرون في شخصيّة الذي نادى مريم: أهو مولودها أم الملاك، فالنص القرآني مبهم تماماً... إلاّ أنّ المقابلة بين ما ورد في القرآن وما نرى في سيرة هَاجَر وابنِها اسمعيل يرجّح أنّ اللهَ تكلّم بواسطة ملاكه مع مريم، كما تكلّم مع هاجر. ويثبت ذلك انتقال القرآن من متابعة الكتب النصرانيّة إلى متابعة أخبار هَاجَر امرأة ابراهيم. فولادة عيسى أشبه ما تكون بولادة إسمعيل، لا في «مذود» كما في لوقا ٢/ ٧، ولا في «مغارة» كما في الأناجيل المنحولة، بل في البريّة، كما هو حال إسمعيل الذي اهتمّ بسقايته ملاك الرب، فأوجد له بئراً ليشرب (وهو بئر زمزم الذي لا يزال يشرب منه الحجّاج للتبرك)، كما أوجد لعيسى ينبوع ماء، كما في متن النّص.

يجري)، وهُزِّي إليكِ بجِذعِ النّخلةِ تُسَاقِطْ عليكِ رُطَباً جَنيّا» (١٩/ ٢٢ ــ ٢٥).

وفي المصادر النّصرانيّة، جاء في سفر التكوين عن هاجر امرأة إبراهيم التي تاهت في البرية، ونفذ معها الماء، فطرحت إسمعيل ابنها تحت الشجرة. وجلست قبالته حزينةً تبكي ويبكي الغلام معها. وسمع اللهُ بكاءَهما، وقال لها: ما لكِ يا هاجر! لا تخافي، فإنّ الله قد سمع صوت الغلام. قومي فخذي ابنك... فرأت بئر ماء وسقَتِ الغلام وكان الله معه[٩].

وفي كتب النصارى، كما في التفاسير الإسلاميّة، إنّ النخيل انحنى لمريم وتدانى منها يقدم لها الثمر الطيّب لتطعم ابنها في سفرها إلى مصر[١٠].

٣. في القرآن، **اضطرب زكريّا**، من حبل مريم وولادتها من غير رجل. وتجول مخيّلة مؤلّفي روايات الحبل والولادة فتضفي على الواقع شيئاً من أساطير الأقدمين؛ أوجزها القرآن بلومة عارفٍ ببراءة مريم في قوله: «يَا أختَ هَارونَ! ما كان أبوكِ أمراً سوءٍ. ومَا كانتْ أمُّكِ بَغِياً» (١٩/ ٢٨).

أمّا في المصادر النّصرانيّة فيوسف هو الذي اضطرب. وعبثاً حاول يوسف أن يبرِّئ نفسه، وقد عهد إليه شيوخ بني إسرائيل

(٩) سفر التكوين ٢١/ ١٤ ــ ٢٠.

(١٠) *Protév. de Jq.* 11.

حمايتها؛ فتخلّف عن هذه الحماية. فهو، من جهة، يعرف امرأتَه عَفيفة، وأكبر من أن تزلَ كسائر النساء.

«نهضَ يوسفُ عن كِيسِهِ ونادى مريمَ: "أنتِ مُدَلَّلةُ اللهِ! ماذا صنعتِ؟ لِمَ ألحقْتِ العارَ بنفسِكِ؟ أنتِ التي رُبِّيتِ في قدسِ الأقداس، وتلقَّيتِ الطعامَ من يد الملاك؟!"»[١١]؛ لهذا «نوى طلاقَها سِراً»[١٢].

٤. بحسب القرآن، لقد **كانت الولادة في الصحراء**، عند جذع نخلة، حيث وضعتْ مريمُ مولودَها من دون أوجاع.

أمّا في الأناجيل فكانتِ الولادة في بيت لحم: «وبَينا كانا (أي يوسف ومريم) هناك (في بيت لحم)، حان وقتُ مريمَ لتَلِدَ مولودَها. فولدتِ ابنَها البكر، وقمّطَتْه، وأضْجَعَتْه في مَعلَف؛ لأنّه لم يكن لهما موضعٌ في قاعةِ الضيوف»[١٣].

يَجمع القرآن، في شأن ولادة عيسى، بين التوراة التي تروي قصّة هاجر، خادمة إبراهيم، التي أساءتْ سيّدتُها معاملتَها، والتي هربت إلى الصحراء، حيث كادت تموت عطشاً قبل أن يُنقِذَها نبعٌ عجائبيّ[١٤]، وبين قصّة الأناجيل المنحولة التي تتكلّم على النخلة

---

(١١) إنجيل يعقوب التمهيدي، ١٣/ ٢.

(١٢) إنجيل متّى ١/ ١٩.

(١٣) إنجيل لوقا ٢/ ٦ ــ ٧. وثمّة تقليد آخر يقول بأنّ يسوع ولد في مغارة. وهذا يعود إلى القديس يوستينوس (١١٠ ــ ١٦٣).

(١٤) سفر التكوين ٢١/ ١٧ ــ ١٩.

التي انحنتْ لتُقدِّم رُطَبَها لمريم، والنبع الذي يتفجّر من تحت النخلة؛ وذلك أثناء هربها إلى مصر[١٥].

٥. ولمّا جاءتْ مريمُ أهلَها ومولدُها في حضنها. دُهشوا ممّا رأوا: «يَا مريمُ! لقد جئتِ شيئاً فَرِيّا. يا أختَ هارونَ ما كانَ أبوكِ امرأَ سوءٍ ومَا كانتْ أمُّكِ بَغِيّا» (١٩/ ٢٨). وللحال همُّوا في قتلها لظنّهم أنّها اقترفتْ إثماً فظيعاً. فأشارتْ للتوِّ إلى ابنها بأنْ يكلّمَهم عن براءتها. فكلّمهم وهو لا يزال طفلاً في المهد. كلّمهم عن نفسه، مَن هو ومَن سيكون، وعن أمِّه وبراءتها وطهارتها.

وكلام يسوع عن أمِّه وعن نفسه موجود في الأناجيل المنحولة حيث يقول يسوع: «لا تعتبراني طفلاً؛ لأنّني كنتُ دائماً رجلاً كاملاً»[١٦].

قال عن نفسه: إنّه عبد اللّه، ونبيّه، ورسوله، وكلمته، وروح منه. آتاه الله بالإنجيل، مصدّقاً لما بين يديه من التوراة. وهو مبارك أينما وُجد. أوصاه ربُّه بالصلاة والزَّكاة، أي بتسبيح الله وعمل البرّ. وقد عرف سلامَ الله عليه من ولادته حيث موته، ثمّ قيامته حيّاً، ورفعِه إلى السماء (١٩/ ٢٣ ــ ٣٣).

وقال عن أمّه: إنّها بارّة، تقيّة، طاهرة. تخافُ الله. وتسمع كلمته. وهي خير المطيعات له. لم تأتِ بشيء منكَر. بل هي خير من

---

(١٥) إنجيل متّى المزعوم، ٢٠/ ١ ــ ٢.

(١٦) إنجيل متّى المزعوم، ١٨/ ٢؛ راجع أيضاً إنجيل الطفولة العربي.

اختار الله من بناتِ البشر، إنّها وابنها آية للعالمين[١٧].

لقد خشيتْ، لسموِّ طهارتها ولقرب ابنها من الله، أن يعتبرهما الناسُ إلهَين (٥/ ١١٦)؛ فيما هما وُجدا بأمر الله وكلمته الخالقة: كنْ[١٨]، ويستطيع اللهُ «أن يُهلكَ المسيحَ ابنَ مريم وأمَّه» (٥/ ١٧)[١٩] ساعةَ يشاء.

---

(١٧) رَ: آل عمران ٣/ ٣٦ و٤٢ و٤٤؛ النساء ٤/ ١٥٦؛ المائدة ٥/ ١٧ و١١٠؛ مريم ١٩/ ١٦ و٢٧؛ المؤمنون ٢٣/ ٥٠؛ التحريم ٦٦/ ١٢.

(١٨) سورة مريم ١٩/ ٢٣ ــ ٣٥؛ سورة آل عمران ٣/ ٤٢ ــ ٤٤ و٤٨.

(١٩) نقل أوريجينوس عن الإنجيل العبراني قولاً للمسيح: «حَملتْني أُمِّي الروح القدس» (متّى المنحول ١٠ ــ ١١). ويعلّق القديس جيروم مفسّراً: «ممّا يدل على اعتقادهم (أي الإبيونيّين) بأنّ الرّوح القدس هو أمّ المسيح» (تفسير على إرميا ١٥/ ١٤).

ومردّ هذا الخلط هو أنّ «الروح القدس» في اللغة الأراميّة مؤنّث؛ فيما هو في العربية مذكّر. ومع هذا، شاعت جنسيّة «الروح القدس» المؤنّثة وأمومتُه للمسيح في أوساطٍ عربيّةٍ عديدة ومتنوعة؛ فنجد اليعقوبي، مثلاً، يقول: «فلمّا عَمَّده (يحيى بن زكريّا) خرجتْ رُوحُ القُدُسِ على الماء» (تاريخ اليعقوبي ١/ ٧٢)؛ كما هو مكتوب تماماً في إنجيل العبرانيّين: «الروح القدس تخاطب يسوع في عماده بقولها: أنت ابني الحبيب» (رَ: جيروم، تفسير على أشعيا ١١/ ٢؛ وأيضاً تفسير على ميخا ٧/ ٦). ونجد أيضاً عند أفراهات، أحدِ آباء الكنيسة السريانيّة، هذا القول: «إنّ الرجل يُحبّ اللهَ أباه، والرُّوحَ القدس أمَّه» (البيّنات ١٨/ ١٠).

فالروح القدس، إذاً، من جنس «المؤنّث»، وهو، بسبب علاقته الحميمة بالله، اعتُبر «أمّ المسيح» وكأحد الأقانيم الثلاثة مع الأب والابن. ومن هنا، يجب أن نفهم ما جاء في القرآن عن لوم الله عيسَى قائلاً: «أَأَنْتَ قلتَ للناسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَينِ مِنْ دُونِ الله» (٥/ ١١٦).

فالله، في القرآن العربي، يردّ، إذاً، على الذين يؤلّهون روحَ القدس، ويعتبرونه ثالثَ ثلاثة؛ لا على الذين يؤلّهون مريم، كما يزعم مفسّرو القرآن، ابتداءاً من الطبري، حتّى آخر واحدٍ منهم..؛ عِلماً بأنَّ مريم كرّمها المسيحيّون، وقدّسوها، ومجّدوها،

٦. ثمّ طمْأَنَ جبريل مريمَ بأنّ كلّ ذلك إنّما يكون بقدرة الله العليّ. والمولود منها سيكون آيةً للناس ورحمة. وهو كلمة الله، وروحٌ منه. يكون وجيهاً في الدّنيا والآخرة، ومن أقرب المقرّبين. يكلّم الناس في المهد، ويعلّمه الكتابَ والحكمة والتوراة والإنجيل (٣/ ٤٢ ــ ٤٨).

رابعاً ــ ولادة عيسى وإشكالاتها عند المسلمين

١. لقد بدا لنا كما يجلّ القرآن البشارة بعيسى والحبلَ به وميلاده بالتكريم والتعظيم. أمام هذا الإجلال الكبير، نتساءل دائماً: لِمَ هذه الأهمّيّة الخارقة لولادة عيسى؟ ولِمَ حُبل به وحدَه بهذه الطريقة الفريدة التي لم يعرف التاريخ البشري لها مثيلاً؟!

ثمّة أجوبة عديدة قدّمها المسلمون عبر التاريخ عن هذه الفرادة التي تميّز بها عيسى عن سائر النّبيّين والرسل.

فقال **الطبري**: كانت مدّة الحمل مثلاً: ستة أشهر، أو سبعة، أو ثمانية. ولم يعشْ مولودٌ وضعة لثمانية إلاّ عيسى. وقيل ثلاث ساعات: حملتْه في ساعة، وصُوِّر في ساعة، ووضعتْه في ساعة.

وعن **ابن عبّاس**: كانت مدّة الحمل ساعة واحدة؛ وذلك لسببَين: **الأوّل**: لقوله تعالى: «**فـ** حملته، **فـ** انتبذت به. **فـ** أجاءَها

وعظّموها جدّاً، حتّى قدّم بعضُهم لها القرابين، مثل «الكْلِيريّيَن»، من «كلّيرس» اليونانيّة التي تعني أقراصاً من الرقاق... إلاّ أنّ هذه القلّة لم يكن لها أثر ولا انتشار ولا كتاب. ولا التكريم كان تأليهاً.

المخاض. **فـ** ناداها من تحتها». **والفاء** للتعقيب. فدلّت هذه **الفاءات** على أنّ كلّ واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل.. **والثاني:** لقوله تعالى في وصف عيسى: «إنّ مَثَلَ عيسَى عند اللهِ كَمَثَلِ آدم، خَلَقه من تراب. ثمّ قال له: كنْ فيكون» (٣/ ٥٩). وهذا ممّا لا يُتصوّر فيه مدّة الحمل، وإنّما تُعقل تلك المدّة في حقّ من يتولّد من النطفة[٢٠].

أمّا د. **محمّد الصادقي** فيقول أيضاً بأنّ «الحبل دام مدّة قصيرة، لأنّه، برأيه، لو دام كما يدوم عند سائر النساء، لرأي الناسُ، ولا سيّما الأهلُ والأقارب، علاماتِ الحَبَل، فهاجموها منذ تلك اللّحظة، وصار مصيرُها في خطر لا يُدافِع عنها ذاك الطفل البارّ، لأنّه لم يولد بعد»[٢١].

٢. ثمّ اختلفوا في **عمر مريم** عند حبلها: فقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة. وقيل بنت عشر. وقد كانت حاضت حيضتَين قبل أن تحمل.

٣. واختلفوا في أين هو **المكان القصي:** فقيل: أقصى الدار. وقيل: وراء الجبل. وقيل: سافرت مع ابن عمّها يوسف..

٤. واختلفوا في **المنادي**، كما رأينا: منهم من قال إنّه عيسى. ومنهم من قال إنّه جبريل وإنه كان كالقابلة للولد.. ومنهم من قال:

---

(٢٠) رَاجع: **الطبري** (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٣ م)، **جامع البيان في تفسير القرآن**.

(٢١) الدكتور محمّد الصادقي، ص ٤٩٨؛ رَاجع د. منير خوّام، **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحيّة**. ص ١٧٠.

«مَنْ» فيكون الذي تحتها عيسى، ومَن قال «مِنْ» لا يقتضي قوله أن يكون جبريل؛ لأنّ الموضع موضع اللوث والنظر إلى العورة وذلك لا يليق بالملائكة[٢٢].

٥. واختلفوا في مَن يكون «**هَارُونَ**»:

الأوّل: إنّه رجل صالح من بني إسرائيل يُنسب إليه كلّ من عُرف بالصلاح. والمراد أنّكِ كنتِ في الزهد كهرون، فكيف صرت هكذا؟.. ذُكر أن هارون الصالح تبع جنازته أربعون ألفاً كلّهم يسمّون هارون تبرّكاً به وباسمه.

الثاني: إنّه أخو موسى، وعن النّبي إنّما عنوا هارون النّبي وكانت من أعقابه، وإنّما قيل أخت هارون، كما يقال: يا أخا همدان، أي: يا واحداً منهم.

الثالث: كان رجلاً معلَنا بالفسق فنُسبتْ إليه بمعنى التشبيه لا بمعنى النسبة.

الرابع: كان لها أخٌ يسمّى هارون من صلحاء بني إسرائيل فعُيِّرت به. وهذا هو الأقرب.. وذلك، أنّ في وصف أبويها بالصلاح، يكون التوبيخ أشد، لأنّ مَن كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش.

٦. ويشرح **ابن عربي** معنى لفظة «**سَوِيّا**» (٥/ ١٧): إنّ الملاك «إنّما تمثّل لها بشراً سويّ الخلق، حسن الصورة، لتتأثّر

---

(٢٢) رَاجع: حاشية ٩ من هذا الفصل، ص ١٤.

نفسُها به، وتستأنسَ، فتتحرّك على مقتضى الجبلة، ويسري الأثر من الخيال في الطبيعة، فتتحرّك شهوتُها فتتنزل كما يقع في المنام مِن الاحتلام، وتتقذف نطفتُها في الرحم، فيتخلّق منه الولد»[٢٣].

وكذلك يفسّر **محمّد عبدو**، على ضوء العلم الحديث، فيقول: «ونحن نرى علماء الغرب متّفقين على إمكان التولّد الذاتي، أي تولّد الحيوان من غير حيوان، أو من الجماد. وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا إلى ذلك بتجاربهم. وإذا كان تولّد الحيوان من الجماد جائزاً فتولُّدُ الحيوان من حيوان أولَى بالجواز وأقرب إلى الحصول. ونحن نستدلّ على وقوعه بالفعل بخبر الوحي الذي قام الدليلُ على صدقه. ويمكن تقريب هذه الآية من وجهَين:

أحدهما: إنّ الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب، ويستحوذ على المجموع العصبي، يُحدث في عالم المادّة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد. فكم من سليمٍ اعتقد أنّه مصابٌ بمرضِ كذا، وليس في بدنه شيءٌ من جراثيم هذا المرض، فولّدَ له اعتقادُه تلكَ الجراثيم الحيّة، وصار مريضاً! وكم من امرئ سُقي الماء القراح، أو نحوه، فشربه معتقداً أنّه سمٌّ ناقعٌ، فمات مسموماً به! والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب.

إذا اعتبرنا بها في أمر ولاد المسيح، نقول: إنّ مريم، لمّا بُشِّرتْ بأنّ الله سيهب لها ولداً بمحض قدرته، وهي على ما هي عليه من صحّة الإيمان وقوّة اليقين، انفعل مزاجُها بهذا الاعتقاد

---

(٢٣) رَاجع: **ابن عربي** (ت ٥٤٣/ ١١٤٨)، **أحكام القرآن**.

انفعالاً فعلَ في الرحم فعْلَ التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القويّ في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ. وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متمّماً لهذا التأثير.

الوجه الثاني: وهو أقرب إلى الحقّ، وإنْ كان أخفى وأدقّ. وبيانه يتوقّف على مقدّمة وجيزة في تأثير الأرواح في الأشباح... واللّطيف في الكثيف.. فإنّ الله المسخِّر للأرواح المنبثّة في الكائنات، وقد أرسلَ روحاً من عنده إلى مريم، فتمثّل لها بشراً، ونفخ فيها، فأحدثتْ نفختُه التلقيحَ في رحمها، فحملت بعيسى. وهل حملتْ إليها تلك النّفخة مادّةً أم لا؟ الله أعلم. أما البحث في تمثّل لهذه الأرواح التي تسمّى بلسان الشرع الملائكة، فهو كذلك من قوله: "فَأَرْسَلْنَا إِلَيها روحَنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيّاً" (١٩/ ١٧)[٢٤].

ويشرح **محمّد حسين فضل الله** قدرة الله في تغيير نظام الطبيعة فيقول: «وجاءت قصّة ولادة مريم لعيسى لتخرق هذا القانون الطبيعي بقوّة، ولتعرف البشريّة مخلوقاً وُلد من أمّ دون أب، ولتفرض ولادته تصوّراً جديداً في أجواء العقيدة، من خلال التعمّق في فهم سرّ قدرة الله في عمليّة الإيجاد المتنوّع في كلّ مظاهره، الدّالّة على وحدانيّة الله وقدرته»[٢٥]...

٧. واختلفوا في معنى «**الفرج**» في آية «والّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا. فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا» (٢١/ ٩١).

---

(٢٤) رَاجع: **الإمام الشيخ محمّد عبده** (ت ١٣٢٣/ ١٩٠٥)، تفسير جزء عمّ.

(٢٥) رَاجع: الشيخ محمّد حسين فضل الله، **من وحي القرآن**.

يقول **الطبري**: أحصنتْ: حفظتْ ومنعتْ فرجها معاً حرّم اللهُ عليها إباحتَه فيه. ويقول أيضاً: اختُلف في «الفرج» الذي عنَى الله أنّها أحصنتْه. فقال بعضهم: عنى بذلك فرْج نفسها أنّها حفظتْه من من الفاحشة. وقال آخرون: عنى بذلك جيبَ درِعها أنّها منعتْ جبريلَ منه قبل أن تعلم أنّه رسولُ ربِّها، وقبل أن تُثبتَه معرفةً. والذي يدلّ على ذلك قوله: «فَنَفَخْنَا فِيهَا» (أي: في جيب درعها)[٢٦].

٨. واختلفوا في معنى «**مِنْ رُوحِنَا**» فقال **الرازي**: «في الكلام إشكال ظاهر: لأنّه يدل على إحياء مريم؛ فيما الحقيقة، معناه أوّلاً: فنفخنا الروح في عيسى فيها، أي أحييناه في جوفها. وثانياً: فعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل، لأنّه نفخ في جيب درعها، فوصل النفخ إلى جوفها»[٢٧].

أمّا **ابن عربي** فيقول معنى «في رُوحِنَا»، أي «من تأثير روح القدس، بنفخ الحياة الحقيقيّة، فولدت عيسى»[٢٨].

٩. واختلفوا في معنى «**وآوَيْنَاهُمَا إلى رَبْوَة ذَاتِ قَرَارٍ ومَعِيْنٍ**» (٢٣/ ٥٠).

فيقول **الطبري**: «واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة، وآوى إليه مريم وابنَها. فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين.. وقال آخرون: هي دمشق. وقال ابن المسيب: ربوة

---

(٢٦) الطبري، المرجع المذكور آنفاً.

(٢٧) رَاجع: **فخر الدين الرازي** (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩)، **مفاتيح الغيب**.

(٢٨) ابن عربي، المرجع المذكور آنفاً.

من ربى مصر.. وقال آخرون: هي بيت المقدس.. وكان كعب يقول: بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.. وأولى هذه الأقوال، بحسب الطبري: إنّها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر؛ وليس كذلك صفة الرملة لأنّ الرملة لا ماء بها معين».

ويضيف الطبرسي احتمالاً آخر، فقال: و«قيل حيرة الكوفة وسوادها. والقرار مسجد الكوفة. والمعين الفرات. والمعين: ماء جارٍ ظاهر للعيون»[٢٩].

أمّا **محمّد حسين فضل الله** فيفسّر ذلك بأنّ الربوة هي «رَبْوَة في فلسطين التي ولد فيها السيّد المسيح، ذَاتِ قَرَارٍ يستقرّ فيه الإنسان ويطمئنّ ويهدأ، وَمَعِينٍ، أي وماء جارٍ يرتوي منه».

وأمّا **سيّد قطب** فيقول بأنّ اللهَ أراد، من خلق عيسى بدون أب، أن يظهر للعالم قدرتَه العظيمة التي لا تتقيّد بمبدأ السببيّة. فهو السيّد المطلق؛ وكلّ شيء يخرج من إرادته الفائقة[٣٠].

وأمّا **أبو زهرة** فقال بأنّ الله يهدف من وراء ذلك، إلى إعطاء الشعب اليهودي البرهانَ القاطع عن وجود الروح وجوداً حقيقيّا، إذ إنّ الروح المادّيّة قد سيطرة عليه، وأعمتْ عينَيه عن هذه الحقيقة التي لا مفرّ منها... وهذا هو السبب الثاني الذي دفع الله ليخلق عيسى مباشرة بنفخة منه[٣١].

---

(٢٩) رَاجع: الطُبَرسي (ت ٥٤٨/ ١١٥٣)، **مجمع البيان لعلوم القرآن**.

(٣٠) رَاجع: سيّد قطب، (ت ١٣٨٦/ ١٩٦٦ م)، في **ظلال القرآن**.

(٣١) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانيّة**، ص ١٦ ــ ١٧.

ولكثرة المعجزات في ولادة عيسى، يقول **عبد العزيز عبد المجيد:** «إنّ ولادة عيسى من أمٍّ عذراء قد استحقّت أعظم احترام ممكن، لأنّه من روح الله الذي تجسّد على صورة إنسان»(٣٢).

أمّا **محمّد الصادقي،** فإنّه يرفض أن يكون المسيح من نسل داود. ويعتبر نفسَه في هذا الموقف أنّه يحترم المسيح احتراماً يفوق احترام الآخرين له. ويصرّح أنّ الذين نسبوه إلى هذه الذرّيّة هم جماعة من ضعفاء العقول جهّال. فالمسيح هو ابن مريم قد خلقه الله بطريقة مباشرة(٣٣).

ولكنّ المسلمين، رغم هذا الإطراء والمديح، لا يعتبرون ولادة عيسى تفوق ولادة آدم. يقولون: إنْ كانت ولادة عيسى تمّت من دون واسطة أب، فولادة آدم تمّت من دون واسطةِ أبٍ ولا أم(٣٤).

***

هذا كان في اختلاف المفسّرين في تفسير كلام القرآن. أمّأ عن كيفيّة التحام اللاّهوت بالناسوت، كما يقول به المسيحيّون، فملاحظات المسلمين عليها عديدة وانتقاداتهم كثيرة:

يسأل **الباقلاني** النصارى عن إيمانهم في ميلاد عيسى من مريم؛ فهل ولدتْ مريمُ الابنَ دون الأب ودون روح القدس، مع أنّ الجميع واحد غير منفصلِين بعضهم عن بعض؛ وهل مريم هذه هي

---

(٣٢) عبد العزيز عبد المجيد، **المسيح**، سلسلة اخترنا لك، دار المعارف بمصر، (د. ت.).

(٣٣) الصادقي، ص ٥٠٥: يرى في ذرّيّة داود ذرّيّة زنى.

(٣٤) رَاجع: شبلي، ص ٢٦ (الحاشية): إنّه موقف المسلمين بالإجماع.

إنسانٌ كلّي أم إنسان جزئي؟ فإنْ قالوا: إنّها إنسانٌ كلّيّ، تجاهلوا... وإنْ قالوا: مريم إنسان جزئي، قيل لهم: فالإنسان الذي ولدتْه أليس هو الذي اتّحد الابنُ به بولادته، وهو إنسان كليّ، وأمُّه التي هي مريم إنسانٌ جزئي؟ وهذا طريف جدّاً... فكيف يكون الجزئي والداً للكلّي؟»(٣٥).

وتساءل **ابن حزم** عن حبل مريم بواسطة روح القدس: لماذا الذي وُلد من أمّ يحيى لم يكن إلهاً، فيما الذي وُلد من مريم كان إلهاً؟ علماً بأنّ الإثنَين وُلدا من روح القدس!!»(٣٦).

ويأخذ **ابن قيّم الجوزية** على النصارى إيمانَهم بأمومة مريم لله، والذين «يدعونها ويسألونها سعةَ الرزق، وصحّةَ البدن، وطولَ العمر، ومغفرةَ الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً. وهم يعظّمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيّين والمرسلين ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة...

«هذا، والأوقاح الأرجاس من هذه الأمّة تعتقد أنّ الله سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده، وتخطاها كما يتخطّى الرجل المرأة»(٣٧).

ويقول **الشيخ العاملي** عن مريم العذراء بأنّ المسيحيّين، في تكريمهم لها، كالوثنيّين. ويذهبون في تعظيمها حتّى العبادة التي

---

(٣٥) **كتاب التمهيد**، الباب الثامن، ص ٩٥ ــ ٩٧.

(٣٦) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ٢/ ٧٣.

(٣٧) ابن قيّم الجوزيّة، **هداية الحيارى**، ص ١٣٩.

لا تجوز إلاّ لله وحده. يقول: «وأمّا المسيحيّون فإنّهم يعتقدون بالعذراء مريم نفس اعتقاد الوثنيين، ويُنشدون لها الأناشيد، ويتضرّعون إليها في أيّام خاصّة يسمّونها الأيام المريميّة، ويلقبّونها ملكة السماء، ووالدة الإله، وصاحبة المجد. وربّما تصوّر بعضهم بأنّه يتقرّب بذلك من السيّد المسيح الذي هو أسمى من أن يُتَّصل به مباشرة. وقد بالغ المسيحيّون في تكريم العذراء وتعظيمها حتى ساووها بولدها»[٣٨].

ويقول أيضاً: إنّ النصارى عبدوا مريم كما عبدوا المسيح. وهذا «كما تجد عند الوثنيين والدات للآلهة يعظّمونهنّ ويلقّبونهنّ بألقاب التمجيد والتفخيم، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله يعظّمونها ويلقّبونها بالألقاب التي يلقّب الوثنيّون بها والدات آلهتهم»[٣٩].

إلاّ أنّ **أحمد زكي**، في معالجته موضوع مريم العذراء، يرى أنّ الكنيسةَ قد عظّمت مريم، وكرّمتها، حتّى رفعتْها، في أحد مجامعها، إلى مرتبة الألوهة. وقرّرتْ لها، في مجمع أفسس، سنة ٤٣١، عندما لم تجد لها في الثالوث مكاناً، أن تكون "أمّ الله".

ويعلّق على قول الملاك بأنّ مريم وُجدتْ "حبلى من الروح القدس" (متى ١/ ٢٠)، فيقول: هذا الكلام «هو أكبر كلمة كفر وتجديف على إله النّصارى، لأنّ روحَ القدس لا يحبِّل أحداً».. وهذا

---

(٣٨) الشيخ العاملي، **الكتاب المقدّس في الميزان**؛ ص ٣٨٩.

(٣٩) المرجع نفسه، ص ٣٩٠.

الكلام المبهم وضعه كاتب الإنجيل المزيّف «ليحملَ جهَلَتُهم الأمرَ على وجهٍ آخر، تقشعرُّ له الأبدان، ولا يتصوَرُه عقل، إذ أراد أن ينسبَ إلى إلهِهم عملاً لا يقوم به إلاّ البشر والحيوانات»(٤٠).

ومريمُ المفتي **خالد**، كمريم القرآن، قد حظيت بنعم الله، و«فازت برعايته، وحفظه، وعنايته... فأكرمها كلّ الإكرام.. ولم يتّفق أن وقع مثله لأنثى غيرها. وقد طهّرها وعصمها من الكفر والعصيان، وأغناها من مسيس الرجال، ونقّاها من الحيض والنفاس، وخلاّها من الأفعال الذميمة، والتصرّفات القبيحة، والعادات البشعة، وأكّد لها ولكل الناس، الذين كانوا يلقونها ويهتمّون بأخبارها، أنّها طاهرة، ومبرّأة ممّا ينسبه إليها اليهود».

هذا وإنّ «حملها كان ظاهرة خارقة للعادة، وهي التي سبق وأكرمها الله، ورعاها، واصطفاها، وطهّرها، وأحاط نشأتها بالخوارق.. فرفعها إلى المستوى البشري الذي لا تُرفع إلى مثله أنثى من العالمين»(٤١).

***

في **الختام**، نقول: إنّ القرآن يكرّم مريم من دون شكّ. يعترف بأنّها، وابنها، آيةٌ من آيات الله، وبأنّ الله اختارها من نساء العالمين، وطهّرها، وجعل ابنَها يبرّأها من تِهم بني إسرائيل لها.

(٤٠) **انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، ص ٢٤٩.

(٤١) حسن خالد، موقف **الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**، ص ٦٥٥ ــ ٦٥٨.

لقد ذكر القرآن اسمَها ٣٤ مرّة؛ فيما لم يذكر من النساء غيرَها. وقد حبلت وولدت بعيسى بطريقة معجزة، أي لم يحبل ولم يلد من النساء بهذا الشكل سواها.

إلاّ أنّ المسلمين. بالرغم من اعترافهم بما جاء في القرآن عن مريم، تصدّوا أكثر ما تصدّوا لتعاليم الكنيسة في مريم. فهم رفضوا أن تكون مريم «أمّا لله»، أو أن تلد إلهاً؛ ورفضوا أن تنتقل إلى السماء بكامل كيانها، كما رفضوا أن تكون مشاركةَ ابنها في فداء البشر، أو أن يُعطى لها أن تتشفّع بمن يلوذ إليها.

وبالنتيجة، إنّ ولادة عيسى من مريم، بالرغم من أهمّيّتها، وغرابتها، ليست ولادة إنسان عادي، ولكن أيضاً، ليست ولادة إلهٍ، كما يقول المسيحيّون.

الفصل الرابع
ألوهية مسيح القرآن

مقدِّمة

في القرآن، كما قدَّمنا، نظرتان مختلفتان إلى المسيح: نظرةٌ يضفي عليه صفاتٍ ومميّزاتٍ وأسماءً وألقاباً لا تصحّ إلاّ على الله وحدَه.. ونظرةٌ يعتبرُهُ نبياً كسائر الأنبياء. نقف، في هذا الفصل، على «ألوهيّة المسيح في القرآن»؛ ونترك إلى الفصل القادم «نبوّة المسيح في القرآن».

وهذا التناقض ليس مأخذاً على القرآن، بمقدار ما هو وجهات نظر مختلفة باختلاف المصادر التي أخذت عنها. ومع هذا، فلا القرآن مسؤول عن هذا التناقض، ولا المصادر المختلفة مسؤولة هي أيضاً. إنّما الألفاظ والتعابير اللّغويّة الموروثة بقيت هي هي عبر التاريخ، فيما مضامينها حملتْ ما حملتْ من المعاني المختلفة.

فالمشكلة الأساسيّة تكمن هنا: أسماء المسيح وصفاته ومميّزاته وألقابه ومعجزاته وأعماله وتعاليمه جعلت المسيحيّين يؤلّهون المسيح؛ وهي نفسها، كما وردتْ في القرآن، فسّرها

المسلمون تفسيراً مغايراً، جعلتْ من المسيح نبياً فحسب... وعلى الباحث، لكي يصل إلى الحقيقة، أن يعود، قطعاً، إلى المصادر. عندئذ تتكشف له الحقيقة العلميّة والتاريخيّة بكلّ أبعادها.

أوّلاً ــ أسماء مسيح القرآن وألقابه الإلهيّة

يتمتّع عيسى القرآن بمميّزاتٍ لم يتمتّع بها أحد من البشر؛ ويجترح معجزات لم يجترحها غيرُه؛ ويتميّز بما وهبه اللهُ من تعظيم وتكريم، ما يضعه فوق مستوى كلِّ مخلوق. الأسماء والألقاب التي يطلقها القرآن على عيسى هي أسماء وألقاب بيبليّة، ولها أبعاد بيبليّة. ولا تُفهم إلاّ بالرجوع إلى البيبليا وتعاليم الكنيسة. ومَن يسير على غير هذه الطريق، فقد لا يصل إلى هدفه.

من هذه الأسماء والألقاب المألوفة في البيبليا، والتي استعملها القرآن استعمالاً مألوفاً:

١. **عيسى**. وهو الاسم الأكثر استعمالاً. ورد في القرآن **٢٥** مرّة[1]: ١٦ مرّة «عيسى ابن مريم»؛ و٣ مرّات «المسيح عيسى ابن مريم»؛ و٦ مرّات «عيسى» فقط؛ و٤ مرّات مقترناً بموسى.

عيسى هو نفسه «يسوع» المسيحيّين. وهو نفسه "يشُوَعْ" لدى العبرانيِّين و"يشُوعُو" لدى السريان الغربيّين، و"يشُوعَا"،

---

(١) ٢/ ٨٧ و١٣٦ و٢٥٣؛ ٣/ ٤٥ و٥٢ و٥٥ و٥٩ و٨٤؛ ٤/ ١٥٧ و١٦٣ و١٧١؛ ٥/ ٤٦ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٦/ ٨٥؛ ١٩/ ٣٤؛ ٣٣/ ٧؛ ٤٢/ ١٣؛ ٤٣/ ٦٣؛ ٥٧/ ٢٧؛ ٦١/ ٦ و٦١.

أو "إيْشُوعَا" عند السريان الشرقيّين، بحسب مدرسة نصيبين، ويختصرونه "إيْشَا" أو "إِيسَا". ويحرّفه العرب قبل الإسلام بـ"عِيْسَا". ثمّ يكتبونه، تماثلاً باسم "موسى"، "عيسى"[٢]. وهكذا وصل إلى القرآن.

واسم "يسوع" الذي أطلق على يسوع الناصري، منذ ختانته، مثل كلّ أطفال اليهود[٣]، ليس غريباً في إسرائيل[٤]. وهو يعني: "الربّ يخلّص"[٥]. والاسم، عادةً، في الكتاب المقدّس، كما في التقاليد الشرقيّة، يعني دورَ الشخص في تاريخ الخلاص[٦]، كما يعني المهمّة الموكلة إليه في مجتمعه.

أمّا المفسرون المسلمون ففسّروا اسم «عيسى»، على هواهم، من دون تدقيق في اللّغة، ومن دون العودة إلى التاريخ أو التقاليد:

فقال **الألوسي:** «وعيسى أصله بالعبرانيّة يشوع، بهمزة ممالة بين بين، أو مكسورة. ومعناه: السيّد. قيل: المبارك. فعُرِّب. والنسبة إليه عيسِيّ، وعيسَوِيّ، وجمعه: عيسَون بفتح السين»[٧].

---

(٢) راجع إيليا عيسى: «لفظة "يشوع" (يسوعْ) وكيف أصبحت "عيسى" عند العرب المسلمين» (مخطوط).

(٣) رَاجع: لوقا ١/ ٣١؛ ٢/ ٢١؛ متى ١/ ٢١ و٢٥.

(٤) رَاجع: يشوع بن سيراخ ٥١/ ٣٠.

(٥) تثنية الاشتراع ٣١/ ٧ ــ ٨.

(٦) رَاجع: خر ٣/ ١٤؛ رسل ٣/ ١٦.

(٧) رَاجع: محمود الألوسي (ت ١٢٧١/ ١٨٥٤)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**.

وقال **المراغي:** «وعيسى بالسريانيّة: يسوع. ومعناه: السيّد أو المبارك»[٨].

وقال **القاسمي:** «عيسى اسم معرّب أصله يسوع. لفظة يونانيّة بمعنى مخلّص. ومثله يشوع في اللغة العبرانيّة». وقال أيضاً: «أصل كلمة "عيسى" يسوع. فحرّفه اليهود إلى "عيسو"، تهكّماً، فحوّله العرب إلى "عيسى"، تشبّهاً باسم موسى»[٩].

وفي كلِّ حال، إنّ اسم «عيسى» اسمٌ مميّز لعيسى المسيح ابن مريم؛ ولم يكن لأحدٍ قبله بين العرب. وكذلك معناه اللغوي يتضمّن معنىً إلهياً، وهو «الله يُخلِّص».

***

٢. **المسيح.** ورد ١١ مرّة[١٠]: في ٣ منها «المسيح عيسى ابن مريم»؛ وفي ٤ «المسيح ابن مريم»؛ ومرّتَين «المسيح» فقط؛ ومرّة واحدة «المسيح ابن الله».

«لفظة "المسيح" هو لقب الشخص الذي كان يُمسَح بالدهن والطيب، دلالة على تكرّسه لله، مَلِكاً كان أو حَبْراً أو نبياً... ثمّ عنى "المسيح"، في إيمان بني إسرائيل، المخلّص الموعود المنتظر، الذي سيحمل مُقدَّرات شعبه وتاريخه، ويبلغ به الخلاص التامّ[١١]. أطلق

---

(٨) رَاجع: محمّد مصطفى المراغي (ت ١٣٦٢/ ١٩٤٥)، **تفسير المراغي**.

(٩) رَاجع: القاسمي (ت ١٣٣٣/ ١٩١٤)، محاسن التنزيل..

(١٠) ٣/ ٤٥؛ ٤/ ١٥٧ و١٧١ و١٧٢؛ ٥/ ١٧ (مرّتَين) و٧٢ (مرّتَين) و٧٥؛ ٩/ ٣٠ و٣١.

(١١) رَاجع: أشعيا ٦١/ ١.

الرسل والمبشِّرون والإنجيليّون لقب "المسيح" على يسوع. وكان بطرس أوّل مَن أطلقه[١٢]. أمّا يسوع فقد قبل اللّقب بتحفّظ، لمدلوله السياسي الخالص في ذهن معاصريه»[١٣].

أمّا المسلمون، وبنوع خاص المفسِّرون، ففهموا بلقب «المسيح»، مفاهيم مختلفة ومتنوّعة. ومعظمها لا علاقة لها بالمعنى البيبلي الأصلي:

فالطبري مثلاً، في تفسيره على (٤/ ١٧١)، يقول: «وأصل المسيح: الممسوح. صُرف من مفعول إلى فعيل. وسمّاه الله بذلك لتطهيره إيّاه من الذنوب. وقيل: مُسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميّين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه فيطهّره منه. وقد زعم بعض النّاس أن أصل هذه الكلمة عبرانيّة أو سريانيّة "مَشِيحَا"، فعُرِّبتْ... غير أنّه، لو كان المسيح من غير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه، ما خوطبت به».

أمّا **الرازي**، في تفسيره على (٣/ ٤٥)[١٤]، فيقدّم احتمالات عديدة. ويقول: المسيحُ مشتق وعليه الأكثرون. وفيه وجوه:

الأوّل: إنّما سُمّي عيسى مسيحاً، لأنّه ما كان يَمسح بيده ذا عاهة إلاّ برئ من مرضه.

---

(١٢) رَاجع: مرقس ٨/ ٢٩.

(١٣) رَاجع: حاشية أونجليون على مر ١/ ١.

(١٤) رَاجع: فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩)، **مفاتيح الغيب**.

الثاني: سمّي مسيحاً لأنّه كان يمسح الأرض، أي يقطعها. ومنه مساحة أقسام الأرض. وعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لعيسى: مسِّيح، كما يقال للرجل: فسِّيق وشرِّيب.

الثالث: أنّه كان مسيحاً، لأنّه كان يمسح رأس اليتامى لله تعالى. فعلى هذه الأقوال: هو فعيل بمعنى فاعل، كرحيم بمعنى راحم.

الرابع: أنّه مسح من الأوزار والآثام.

الخامس: سمّي مسيحاً لأنّه ما كان في قَدَمه خمص، فكان ممسوحَ القدَمَين.

السادس: سمِّي مسيحاً لأنّه كان ممسوحاً بدهنٍ طاهرٍ مباركٍ، يُمسَح به الأنبياء، ولا يُمسَح به غيرُهم. ثمّ قالوا: وهذا الدهن يجوز أن يكون اللهُ تعالى جعله علامةً حتى تَعرفَ الملائكةُ أنّ كلَّ مَن مُسِح به وقت الولادة فإنّه يكون نبيّاً.

السابع: سمّي مسيحاً لأنّه مَسحَه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوناً له عن مسّ الشيطان.

الثامن: سمّيّ مسيحاً لأنّه خرج من بطن أمّه ممسوحاً بالدهن».

أمّا **الألوسي**، في تفسيره على (٤/ ١٥٦ ــ ١٥٩)، فيقول: «قال الرّاغب: سُمّي عيسى بالمسيح لأنّه مسحتْ عنه القوّة الذميمة، من الجهل والشره والحرص وسائر الأخلاق الذميمة، كما أنّ

الدّجّال مسحت عنه القوّة المحمودة من العلم والعقل والحلم والأخلاق الحميدة. وقال شمر: لأنّه مسح بالبركة، وهو قوله تعالى: "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ" (١٩/ ٣١)، أو لأنّ الله مسح عنه الذنوب. وذكر في اشتقاقه ستة وخمسين قولاً».

فالمسيح، إذاً، لفظ أطلقه القرآن على عيسى وحده، وبه تميّز عن سائر الناس. وهو نفسه اللّقب الذي أطلقه اليهود على الملك الموعود المنتظَر، الذي سوف يأتي ويخلّص شعبه، ويستمرّ ملْكُه إلى آخر الدهر. وهو اللّقب نفسه الذي أطلقه المسيحيّون على يسوع الناصري، على أنّ «كلّ روحٍ يَعترِفُ بيسوعَ المسيحِ المتجسِّدِ يكونُ مِنَ الله»[١٥]؛ لأنّ يسوع المسيح هو الله.

***

٣. كلمة الله، وكلمة من الله. ورد اسم "كلمة" في القرآن على عيسى **مرّتَين:** في قوله: «إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ (يا مريم) بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم» (٣/ ٤٥)؛ وفي قوله: «إنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ» (٤/ ١٧١).

«الكلمة»، في العهد الجديد، ولا سيّما عند يوحنّا الإنجيلي[١٦]، وفي الجماعة المسيحيّة الأولى، وفي كتابات الآباء وتعاليم الكنيسة، هي اسم ليسوع المسيح، وتعنيه هو نفسَه، كما

---

(١٥) ١ يوحنا ٤/ ٢.

(١٦) رَاجع: ١ يو ١/ ١؛ رؤ ١٩/ ١٣؛ لو ١/ ٢؛ رسل ٦/ ٢ ــ ٤.

تعني دورَه الخلاصي الفريد. هذه «الكلمة»، بمعانيها الإلهيّة، أَعدَّ لها الوحيُ القديم[١٧]: إنّها قوّة فعّالة تحقّق مقاصد الله[١٨]؛ ويبعثها الله كرسولٍ حيّ[١٩]؛ ويسهر عليها من أجل أن يحقّقها[٢٠]. إنّها، فعلاً، تحقّق دائماً ما تبشّر به[٢١].

هذا المفهوم الديناميكي للكلمة لم يكن مجهولاً في الشرق القديم الذي كان يعطيها قوّة شبه سحريّة[٢٢]؛ ولا أيضاً مجهولاً عند الفلاسفة الإسكندريّين، الذين كانوا يشدّدون على دور الكلمة، أي «اللّوغوس»، في الخلق.

وكذلك أيضاً لم يرد، في أيّ مكان من البيبليا، القول بأنّ «كلمة الله» وُجّهتْ إلى يسوع، كما كانت توجَّه إلى الأنبياء؛ بل كان يُقال دائماً إنّ المسيح هو نفسه «الكلمة»، أي «كلمة الله»[٢٣].

غير أنّ المسلمين، بالرّغم من إطلاق القرآن لفظة «الكلمة» على عيسى، لم يعطوها حقَّها، ولم يستخرجوا معانيها اللاّهوتيّة والروحيّة. ومع أنّ المفسّرين توقّفوا على اختلافات أهل التأويل فيها، لم يعودوا إطلاقاً إلى مصادرها الحقيقيّة:

---

(١٧) رَاجع: مثل ٨/ ٢٢ ــ ٣٦؛ حك ٧/ ٢٢ ــ ٣٠؛ سير ٢٤/ ٣ ــ ٣٢؛ اش ٥٥/ ١٠ ــ ١١.

(١٨) رَاجع: يشوع ٢١/ ٤٥؛ ٢٣/ ١٤؛ ١ ملوك ٨/ ٥٦.

(١٩) راجع: أشعيا ٩/ ٨؛ مز ١٠٧/ ٢٠.

(٢٠) رَاجع: إرميا ١/ ١٢.

(٢١) رَاجع: عدد ٢٣/ ١٩؛ إشعيا ٥٥/ ١٠ ــ ١١.

(٢٢) راجع: **معجم اللاّهوت الكتابي**، مادّة: كلمة الله، ص ٦٦٢ ــ ٦٦٨.

(٢٣) رَاجع: يوحنّا ١/ ١، وتفاسير المفسّرين عليها، في إونجليون مثلاً.

قال **الطبري** في تفسيره على (٣/ ٤٥): «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ»، إنّها تحمل معان عدّة. «قيل: الكلمة هي قوله "كُنْ". وقيل: سمّاه اللهُ كلمتَه لأنّه كان عن كلمته. وقيل: الكلمة هي اسم لعيسى سمّاه الله بها كما سمّى سائر خلقه بما شاء من الأسماء. وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي القول الأوّل».

وقال أيضاً في تفسير "وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ» (٤/ ١٧١): «يعني بالكلمة: الرسالة التي أمرَ اللهُ ملائكتَه أن تأتي مريمَ بها، بشارةً من الله لها. "وَكَلِمَتُهُ" هو قوله: كنْ فكان، "أَلْقَاهَا" يعني: أعلَمها بها وأخبرها وأوصلها الله إليها.

أمّا **الرازي** فقال بأنّ "بِكَلِمَةٍ مِنْهُ" «لها وجهان:

الأوّل: لمّا لم يكن لعيسى أبٌ، فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم. فجُعل بهذا التأويل كأنّه نفس الكلمة؛ كما أنّ مَن غلب عليه الجود والكرم والإقبال، يقال فيه، على سبيل المبالغة، إنّه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الإقبال. فكذا ههنا.

والثاني: إنّ السلطان العادل قد يوصف بأنّه ظلُّ الله في أرضه، وبأنّه نور الله، لِما أنّه سببٌ لظهور ظلِّ العدل ونورِ الإحسان؛ فكذلك كان عيسى سبباً لظهور كلام الله بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتحريفات عنه؛ فلا يبعد أن يسمّى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل".

ويقول **القرطبي**: إنّ «كَلِمَتُه" تعني أنّ عيسى مكوّن بكلمة "كُنْ"، فكان بشراً من غير أب. والعرب تسمّي الشيء باسم

الشيء إذا كان صادراً عنه. وقيل: "كَلِمَتُهُ" بشارة الله تعالى مريم عليها السلام، ورسالته إليها على لسان جبريل (٣/ ٤٥). وقيل: "الكلمة" ههنا بمعنى الآية، نظيره قوله: "وصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ ربِّها" (٦٦/ ١٢)، "مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ" (٣١/ ٢٧). ومعنى "أَلْقاها إلى مريَم"، أمرَ بها مريمَ[٢٤].

ويقول **ابن كَثِير**: "وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مريم"، أي: إنّ الله خلقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربّه، فكان عيسى، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتّى ولجتْ فرْجَها بمنزلة لقاح الأب والأم... ولهذا قيل لعيسى إنّه كلمة الله وروح منه، لأنّه لم يكن له أب تولّد منه، وإنّما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها "كن فكان"، والروح التي أرسل بها جبريل.

ويَنقل عن ابن يحيى قولَه في قول الله «وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ»، قال: ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى. أي إنّ الكلمة التي جاء بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله فكان عيسى»[٢٥].

ويقول **محمّد عبده** في تفسيره «بِكَلِمَةٍ منْهُ»: «في لفظ "كلمة" أربعة وجوه:

---

(٢٤) رَاجع: أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١/ ١٢٧٢)، **الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمنّه من السنّة وأحكام الفرقان.**

(٢٥) رَاجع: أبو الفداء إسماعيل ابن كَثِير (ت ٧٧٤/ ١٣٧٢)، **تفسير القرآن العظيم.**

أحدها: أنّ المراد بالكلمة كلمة التكوين، لا كلمة الوحي.. فكلمة "كُنْ" (٣٦/ ٨٢) هي كلمة التكوين. وإنّ كلّ شيء قد خُلق بكلمة التكوين. إلاّ أنّ عيسى قد خُصَّ بكلمة التكوين هذه، وجُعِلَ كأنّه هو نفسُها مبالَغةً.

الوجه الثاني: أنّهُ أُطلق على المسيح للإشارة إلى بشارة الأنبياء به. فهو قد عُرف بكلمة الله، أي بوحيه لأنبيائه. والكلمة تُطلق على الكلام، كقوله: «ولَقد سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعبادِنا المرسَلين» (٣٧/ ١٧١).

الوجه الثالث: أنّه أُطلق عليه لفظ الكلمة لمزيد إيضاحه لكلام الله الّذي حرّفه قومُه اليهودُ حتّى أخرجوه عن وجهه، وجعلوا الدين مادّياً محضاً.. فكذلك كان عيسى سبباً لظهور كلام الله بسبب كثرة بياناته له وإزالة الشبهات والتحريفات عنه.

الوجه الرّابع: أنّ المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمّه. فقوله بكلمة منه، معناه بخبرٍ من عنده، أو بشارة. وهو كقول القائل: "ألقى إلى فلان كلمةً سرّني بها"، بمعنى: أخبرني خبراً فرحتُ به.. هذا المبشَّر به "إسْمُه المَسِيْحُ عِيسَى".

أمّا **سيّد قطب** فيقول في تفسير «وكَلِمَتُه أَلْقَاها إلى مَريمَ»: إنّ «أقرب تفسير لهذه العبارة، أنّه سبحانه، خلق عيسى بالأمر الكوني المباشر، الذي يقول عنه في مواضع شتّى من القرآن: إنّه "كُنْ فَيَكُونُ" (٣/ ٥٩). فلقد ألقى هذه الكلمة إلى مريم فخلق عيسى في بطنها من غير نطفة أب، كما هو المألوف في حياة البشر

غير آدم. والكلمة التي تخلق كلّ شيء من العدم، لا عجب في أن تخلق عيسى في بطن مريم من النفخة التي يعبّر عنها».

وكذلك يفسّر **محمّد حسين فضل الله** «وَكَلِمَتُهُ»: «هي كلمة "كن" التكوينيّة التي أُلقيتْ إلى مريم البتول المذكورة في قوله تعالى: «إِنَّ مَثَلَ عيسَى عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرابٍ ثمّ قَالَ له كُنْ فيَكُونُ» (٣/ ٥٩). وتمثِّل مظهرَ قدرةِ اللهِ تعالى وتعبّر عن إرادته من دون تخلل الأسباب الطبيعيّة.

وبالنتيجة، نقول: ليس من نبيٍّ أو رسول يتكلّم عليه القرآن، استحقّ لقب «الكلمة»، أو «كلمة من الله»، إلاّ عيسى المسيح. ومحمّد نفسه لم يلقَّب بذلك. ولقب "الكلمة"، كما رأينا في مصادره البيبليّة، هو من الألقاب الرفيعة والسامية الذي يُطلَق على يسوع الناصري؛ وفي مصادره الفلسفيّة، هو «اللوغوس»، أي العنصر الإلهيّ الأزلي الذي أوجده الله منذ الأزل، والذي كان في أساس الكائنات كلّها. لهذا كان المسيح، وحده، في القرآن، «كلمة الله».

***

٤. روح من الله. مرّة واحدة: «إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، **وَرُوحٌ مِنْهُ**» (٤/ ١٧١).

جاء في **معجم اللاّهوت الكتابي** في مادّة «روح» قوله: «الروح أقرب دائماً إلى الدلالة على العنصر الجوهري وغير المحسوس في كائنٍ ما، وعلى ما يجعله يحيا، وما يصدر عنه من

غير إرادته. وهو أكثر شيء يشكّل كيانه الذاتيّ، ولا يستطيع أن يتحكّم هو فيه»[٢٦].

يَظهر «الروح»، في الوحي القديم، قوّةً إلهيّة تُحوِّل الشخصَ البشريّ إلى شخصٍ جديد، وتجعله جديراً بتصرّفاتٍ خارقة، وتصنع منه كائناً مكرَّساً لله، ومقدَّساً. وتمنحه الحركةَ والحياةَ والوجودَ والخلود...

أمّا بالنسبة إلى يسوع، فإنّ الروحَ لا يصنع منه شخصيّةً جديدة. بل هو يسكن فيه، وقد منحه الوجود من أوّل لحظةٍ من الحبلَ به، حيث جعلَ منه ابناً لله. وحدَه الروح عمل في مريم العذراء، فأصبح يسوع ليس فقط مكرَّساً لله، وإنّما «قدّوساً» بذات كيانه[٢٧].

وفي كلّ حياته ومسلكه، يُظهر يسوعُ عملَ الروح فيه[٢٨]. ولم ينلْ أحدٌ الروحَ بقدر ما ناله هو، «بغير حساب»[٢٩]. وكذلك لا نرى في يسوع أيَّ أثر لضغطٍ، قد نرجعه إلى إلهام خارجيّ.. فهو لا يختبر الروح كقوّة تأتيه من الخارج لتغمره، وإنّما طبيعياً، هو في الروح، والروح فيه: فهو روحه الخاصّ[٣٠].

---

(٢٦) **معجم اللاّهوت الكتابي**، مادّة: روح، ص ٣٨٤.

(٢٧) رَاجع: لوقا ١/ ٣٥.

(٢٨) رَاجع: لوقا ٤/ ١٤.

(٢٩) يوحنّا ٣/ ٣٤.

(٣٠) رَاجع: يوحنا ١٦/ ١٤ ــ ١٥.

والقديس بولس لم يفصل ما بين المسيح، والروح، والحياة. يقول: «الحياة للمسيحي هي المسيح» (غل ٢/ ٢٠)، وهي أيضاً الروح (رو ٨/ ٢ و١٠). فمن يكون «في يسوع المسيح» (رو ٨/ ١) يسلك في سبل الروح (رو ٨/ ٥).

وهكذا، «بعد عهد الحرف الذي يُميت، يأتي عهد الروح الذي يُحيي (٢ قور ٣/ ٦). وبدل الخطيئة التي كانت تقتضي شريعةَ الجسد، تحلّ شريعة الروح والبرّ (رو ٧/ ١٨ و٢٥؛ ٨/ ٢ ــ ٤). وبدل أعمال الجسد تظهر ثمار الروح (غل ٥/ ١٩ ــ ٢٣). وبدلاً من الإدانة التي كانت تثقّل على الخاطئ «شدّة الغضب الإلهي وضيقه» (رو ٢/ ٩)، يحلّ السلام والفرح بالروح (١ تس ١/ ٦؛ غل ٥/ ٢٢)».

«وشهد يوحنّا قال: «رأيتُ الروحَ نازلاً كحمامة من السماء. ثمّ استقرَّ عليه.. والذي أرسلني هو قالَ لي: مَن تَرى الروحَ يَنزل ويستقرُّ عليه، فذلك هو المعمَّدُ بروحٍ قُدُسٍ» (يو ١/ ٣٢ ــ ٣٣). تحدّد هذه الآية هويّة يسوع، وشخصيّتَه وعملَه الخاص؛ لأنّ الروح قد غمرَه هو وحدَه واستقرّ عليه[٣١].

أمّا المفسّرون المسلمون فكانوا دائماً يردّدون عبارة: «واختلف أهلُ التأويل في معنى الروح»؛ فلكأنّهم، بهذا الاختلاف، أقرّوا بعجزهم عن فهم مقصود القرآن بالروح:

---

(٣١) رَاجع: اش ١١/ ٢؛ ٤٢/ ١.

يقول **الطبري** في "وَرُوحٌ مِنه": «إنّ أهل العلم اختلفوا في تأويلهم:

فقال بعضهم: ونفخة منه، لأنّه حدث عن نفخة جبريل في دِرْع[٢٢] مريم بأمر الله إيّاه بذلك، فنسب إلى أنّه روح من الله، لأنّه بأمره، كان. قال: وإنّما سُمِّي النفخ روحاً لأنّها ريح تخرج من الرّوح..

وقال بعضهم: إنّما معنى قوله: "ورُوحٌ مِنه" وحياة منه، بمعنى إحياء الله إيّاه بتكوينه.

وقال بعضهم: معنى قوله "ورُوحٌ مِنه"، أي: ورحمة منه.

وقال آخرون: معنى ذلك: وروح من الله خَلَقها فصوّرها، ثمّ أرسَلها إلى مريم، فدخلتْ في فِيها، فصيّرها الله تعالى روحَ عيسى.

وقال آخرون: معنى "الرّوح" ههنا، جبريل.

ثمّ ختم **الطبري** وقال: ولكلٍّ هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب.

أمّا **الرازي** فيقول في تفسير "ورُوحٌ مِنهُ": في ذلك وجوه:

الأوّل: أنّه جرت عادة الناس أنّهم، إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة، قالوا: إنّه روح. فلمّا كان عيسى لم يتكوّن من

---

(٣٢) درع المرأة: قميصها الذي يحميها من أعين الناظرين، كما تحمي الدرعُ لابسَها.

نطفة الأب، وإنّما تكوّن من نفخة جبريل وُصف بأنّه روح. والمراد من قوله ""مِنْهُ" التشريف والتفضيل، كما يُقال: هذه نعمة من الله.

الثاني: أنّه كان سبباً لحياة الخلق في أديانهم. ومَن كان كذلك وُصف بأنّه روح. قال تعالى في وصف القرآن: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيكَ رُوحاً من أَمْرِنَا» (٤٢/ ٥٢).

الثالث: روح منه، أي رحمة منه... لمّا كان عيسى رحمة من الله على الخلق، من حيث أنّه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم، لا جرم سمّي روحاً.

الرابع: أنّ الروح هو النفخ في كلام العرب. فإنّ الروح والريح متقاربان. فالروح عبارة عن نفخة جبريل. وقوله: "مِنْهُ" يعني أنّ ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنهِ، فهو منه. وهذا كقوله: «فَنَفَخْنَا فِيها مِن رُوحِنا» (٢١/ ٩١).

الخامس: قوله: "رُوح"، في صيغة النكرة، يفيد التعظيم. فكان المعنى: وروحٌ من الأرواح الشريفة القدسيّة العالية. وقوله: "مِنْهُ" إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم.

وكذلك يجد **الطبرسي** في تعبير "ورُوحٌ مِنهُ" أقوالاً عدّة:

أحدها: أنّه إنّما سمّاه روحاً لأنّه حدث عن نفخة جبرائيل في درع مريم بأمر الله تعالى، وإنّما نسبهُ إليه كان بأمر، وقيل: إنّه إضافة إلى نفسه تفخيماً لشأنه.. وقد يسمَّى النفخ روحاً.

والثاني: أنّ المراد به يُحيي به الناسَ في دينهم كما يحيون

بالأرواح. فيكون المعنى أنّه جعله نبيّاً يُقتدى به ويُستنّ بسنّته ويُهتدَى بهداه.

والثالث: أنّ معناه إنسان أحياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع أو نطفة، كما جرت العادة بذلك[٣٣].

والخامس: أنّ معناه روح الله، من الله خلقها، فصوّرها، ثمّ أرسلها إلى مريم، فدخلتْ في قلبها، فصيّرها الله تعالى عيسى.

والسادس: أنّ معنى الروح ها هنا جبرائيل، فتكون عطفاً على ما في ألقاها من ضمير ذكر الله، وتقديره ألقاها الله إلى مريم وروح منه، أي من الله، أي جبرائيل ألقاها أيضاً إليها.

أمّا **البيضاوي** فيقول إنّ تعبير "ورُوحٌ مِنهُ"، يعني أنّه (عيسى) كسائر الأرواح التي خلقها الله تعالى، وإنّما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم، كما يقال بيت الله وناقة الله. وهذه نعمة من الله يعني أنّه تفضّل بها..

ثمّ يقدّم البيضاوي ما قاله بعض المفسّرين فيقول قولاً طريفاً: إنّ الله تعالى، لمّا خلق أرواح البشر، جعلها في صلب آدم، وأمسك عنده روحَ عيسى. فلمّا أراد الله أن يخلقه، أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم، فنفخ في جيب درعها، فحملت بعيسى[٣٤].

---

(٣٣) والرابع: أنّ معناه "ورحمة منه"، أي برحمة منه، فجعل الله عيسى رحمة على مَن آمن به واتّبعه، لأنّه هداهم إلى سبيل الرشاد.

(٣٤) رَاجع: البيضاوي (ت ٦٨٥/ ١٢٨٦)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**.

وأمّا **القرطبي** فيقول في تفسير "ورُوحٌ مِنهُ": «هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال، فقالوا: عيسى جزء منه، فجهلوا وضلّوا». ثمّ يردّد ما قاله سابقوه.

ويضيف **الأندلسي** في تفسير "ورُوحٌ مِنهُ" على ما قاله المفسّرون قوله: «قيل: سمّي روحاً لإحياء الناس به، كما يحيون بالأرواح. ولهذا سمّي القرآن روحاً. وقيل: المعنيّ بالروح هنا الوحي، أي: أوحي إلى جبريل بالنفخ في درعها، أو إلى ذات عيسى أنْ "كُنْ".

ويقول أيضاً: «"مِنْهُ" هنا لابتداء الغاية، وليست للتبعيض، كما فهمه نصرانيّ، فادّعى أنّ عيسى جزء من الله تعالى. فردّ عليه علي بن الحسين بن وافد المروزي، حين استدلّ النصراني بأنّ في القرآن ما يشهد لمذهبه، وهو قوله: "وروحٌ منه"، فأجابه المروزي بقوله: "وَسَخَّرَ لكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضَ جَميعاً مِنْه" (٤٥/ ١٣). وقال: إنْ كان يجب بهذا أن يكون عيسى جزءاً منه، وجب أن يكون «مَا في السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضَ» جزءاً منه. فانقطع النصراني وأسلم[٣٥].

وجاء عند **القاسمي** في تفسير "وروحٌ منه":، أي: بتخليقه وتكوينه، كسائر الأرواح المخلوقة. وإنّما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم.

---

(٣٥) رَاجع: أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥/ ١٣٤٤)، **البحر المحيط**.

وقيل: الروح هو نفخ جبريل في جيب درع مريم، فحملتْ بإذن الله..

وقيل: سمّي روحاً لإحيائه الموتى بإذن الله..

وقيل: لإحيائه القلوب، كما سمّي به القرآن..

وقيل: أريد بالروح الوحي الذي أوحي إلى مريم بالبشارة..

وقيل: جرت العادة بأنّهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة، قالوا: إنّه روح. فلما كان عيسى متكوِّناً من النفخ، لا من النطفة، وُصف بالروح[٣٦]..

ويردّ **محمّد عبده** أقوال مَن سبقه، ويؤكّد أنّ المراد بالروح هنا النفخ، أي نفْخ الملَك بأمر الله في مريم. فإنّه استُعمل بمعنى النّفخ والنّفَس الذي ينفخ. والروح الذي يحيا به الإنسانُ مأخوذ من اسم الريح.. كما أنّ اسم النّفْس من النَّفَس.

والمعنى الجامع: أنّ الروح هو ما به الحياة. والحياة قسمان: حسّيّة ومعنويّة. فالأولى ما به يشعر الإنسان ويدرك ويتفكّر ويتذكّر؛ والثانية ما به يكون رحيماً حكيماً فاضلا محِبّاً محبوباً نافعاً. وقد سمَّى اللهُ الوحيَ روحاً، فقال لرسوله: "وكذلك أوحينا إليكَ روحاً من أمرِنا" (٤٢/ ٥٢)، وقال: "يُنَزِّلُ الملائكةَ بالرّوحِ من أمرِه على مَن يشاءُ من عبادِه" (١٦/ ٢). وكلا المعنيين متحقق في عيسى على وجه الكمال. فلهذا جوّزنا الوجهين.

---

(٣٦) راجع: القاسمي (ت ١٣٣٣/ ١٩١٤)، **محاسن التنزيل**.

أمّا **سيد قطب** في تفسيره لـ "وَرُوحٌ مِنْهُ"، فيردّ على النصارى الذين ألّهوا عيسى بسبب أنّه «روح»، ونسوا ما قاله الله عن خلق آدم: "فإذا سَوَّيتُه ونَفَخْتُ فيه من روحي" (٣٨/ ٧٢)؛ وكذلك قال في قصّة عيسى: "والتي أحصنتْ فرجَها فنَفَخْنَا فيها من روحِنا" (٢١/ ٩١). فالأمرُ، إذاً، له سابقة.. والروح هنا هو الروح هناك.. ولم يقل أحدٌ من أهل الكتاب أنّ آدم إله، ولا أقنوم من أقانيم الإله، كما قالوا عن عيسى مع تشابه الحال من حيث قضيّة الروح والنفخة، ومن حيث الخلقة كذلك. بل إنّ آدم خُلق من غير أب وأم، وعيسى خُلق مع وجود أم.

ويقول أيضاً: «وليس الروح، في الآية، تعبيراً عن الجزء الإلهي، أو الحقيقة الإلهيّة؛ لأنّ طبيعة الله لا تتجزّأ، فهي بسيطة كلّ البساطة، ولا يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر، بل المراد بهما مظهر قدرة الله وسرّ إبداعه، في ما أفاضه على جسد آدم الهامد الجامد الخالي من الروح، كما أفاضها على مريم الخالية عن أسباب الولادة الطبيعيّة.

نخلص ونقول: بالرغم من إجماع المسلمين على إنكارهم أهمّيّة لقب القرآن لمصدر عيسى الإلهي في قوله بأنّه «روح منه»، أي من الله، نحن لا نعرف نبياً، ولا حتّى محمّداً نفسَه، استحقّ هذا اللّقب الذي أطلقه القرآن على عيسى. فهل يكون عيسى من طبيعة الأنبياء وهو يختلف عنهم من حيث مصدره؛ أم يكون من غير طبيعتهم؟ وما هي هذه الطبيعة فوق النبويّة، أي فوق البشريّة؟

أتكون ملائكيّة أم إلهيّة؟ يبدو أنّها إلهيّة، لأنّها «روح منه»، أي من الله. وهي كذلك بشهادة القرآن نفسه.

***

٥. **غُلاَماً زَكِياً**: «قال (روحُ الله؟): إنّما أنَا رسُولُ رَبِّكِ لأهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِياً» (١٩/ ١٩).

بحسب **الطبري** «زَكِياً» أي: «طاهراً من الذنوب».

وبحسب **الرازي**: «الزكي يفيد أموراً ثلاثة: الأوّل: أنّه الطاهر من الذنوب؛ والثاني: أنّه ينمو على التزكية، لأنّه يُقال في مَن لا ذنب له زكي، وفي الزرع النامي زكي؛ والثالث: النزاهة والطهارة في ما يجب أن يكون عليه، ليصحّ أن يُبعَث نبياً.

سمّاه زكياً مع أنّه لم يكن له شيء من الدنيا.. ومن لم يملك شيئاً فهو شقيّ.. وإنّما الزكي مَن يملك المال. والله يقول: كان زكياً، لأنّ سيرته الفقر، وغناه الحكمة والكتاب. وأنت تسمّي بالزكي مَن كانت سيرته الجهل وطريقته المال».

البيضاوي: زكياً: طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير، أي مترقياً من سنّ إلى سنّ على الخير والصلاح؛ مثل قول الإنجيل: «وكان الولَد يكبر، ويَقوى، ويمتلئ حكمة. وكانت نعمةُ اللهِ عليه»[٣٧].

---

(٣٧) لوقا ٢/ ٤٠؛ «وكان يسوعُ يتسامى حكمةً، وقامةً، وحظوةً عند الله والناس» (لوقا

الخازن: غلاماً زكياً، أي: ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب[٣٨].

النسفي: زكياً: طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير والبركة[٣٩].

الفيروزبادي: غلاماً زكياً، أي: ولداً صالحاً[٤٠].

الطبرسي: غلاماً زكيّاً، أي: ولداً طاهراً من الأدناس. وقيل: نامياً في أفعال الخير. وقيل: يريد نبياً.

المراغي: زكياً، أي طاهراً من الأدناس والأرجاس.. طاهراً مبرَّأً من العيوب.

الألوسي: «إنّ الغلام مِن الملاك، فهو الذي يهب لا الله. ولو كان الله لقال: ليَهَبَ لكِ». ولكنَّ الأصوب أن يكون «روحُنا» روحَ الله، أكثر من أن يكون الملاك. وبذلك يكون الغلام من روح الله، أي روح القدس.

وزكياً، طاهراً من الذنوب. وقيل: نبياً. وقيل: نامياً على الخير، أي مترقّياً من سنٍّ إلى سنّ على الخير والصلاح. فالزكا شامل للزيادة المعنويّة والحسيّة.

نخلص ونقول: نحن لا نعرف في القرآن نبياً، ولا حتّى محمّداً نفسَه، استحقّ أن يكون «زكياً» مثل ما قال القرآن عن

٢/ ٥٢)؛ رَاجع قوله: «وكان الطِّفلُ يكبُرُ، وروحُه تتقوّى» (لو ١/ ٨٠).

(٣٨) رَاجع: أبو الحسن علي الخازن (ت ٧٤١/ ١٣٤٠)، **اللّباب في معاني التنزيل**.

(٣٩) رَاجع: النسفي الحنفي (ت ٧١٠/ ١٣١٠)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**.

(٤٠) رَاجع: الفيروزابادي (ت ٨١٧/ ١٤١٤)، **تنوير المقياس في تفسير ابن عبّاس**.

عيسى، منذ مولده. فهل يكون عيسى، بهذه الصفة «الزكيّة» من جبلة الأنبياء؛ أم يكون من غير جبلتهم؟ وما هي هذه الجبلة فوق النبويّة، أي فوق الإنسانيّة؟ أتكون إلهيّة. وهي كذلك بشهادة القرآن نفسه؛ علماً بأنّ القرآن يعترف بالبرّ والزكا لمن جاهد وناضل واستحقّ، لا لمن لم يعمل ولم يجاهد، ولم يستحقّ.

هذا ويعترف محمّد في حديث له أنّ عيسى نجا منذ صغره من لمزات الشيطان وتجاريبه، ولا يد للشيطان عليه، ولا على أمِّه.

***

٦. **آية:** «ولْنَجْعَلْهُ آيَةً للنَّاسِ» (١٩/ ٢١)؛ «وَجَعَلْنَاها وَابْنَها آيَةً للعَالَمِين» (٢١/ ٩١)؛ «وَجَعَلْنَا ابنَ مريمَ وأمَّهُ آيَةً» (٢٣/ ٥٠).

يسوع المسيح في الإنجيل هو الآية الكبرى (يو ١٢/ ٣٣)، التي تحقّقت في ارتفاعه على الصليب وارتفاعه إلى المجد، ليجمع شمل المشتّتين (يو ١١/ ٥٢)، ويخلّص العالم من إبليس؛ ليبقى هو الآية الوحيدة على مدى الدهر، وإلى آخر الأزمنة (متى ٢٤/ ٣).

أمّا عيسى القرآن فقد جعله اللهُ «آيةً» للناس، أي علامة وحجّة وبرهاناً ودلالة وعبرة لهم. إنّه «آية» لأنّه يتوجّب عليهم اتّباعه والاقتداء به. «الآية» في القرآن هي من الله، يأتي بها الله نفسه[٤١]. وهو الذي «جعلها». وإذا كان كلّ شيء في القرآن «آية»

---

(٤١) ترد لفظة «آية» في مختلف صيغها أكثر من ٤٣٠ مرّة في القرآن.

من آيات الله؛ غير أنّ أحداً من البشر لم يسمّه القرآن «آية» إلاّ عيسى وأمّه مريم، دون سواهما من البشر.

قال **الطبري** في معنى «وَلْنَجْعَلْهُ آيَةً للنَّاسِ»: كي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامةً وحجّة على خلقي أهبه لك.

وقال **الرازي**: إنّ لفظة «آية» تحتمل وجهَين: الأوّل أن تكون راجعة إلى الخلق، أي أنّ خلْقه عليّ هيّن، ولنجعل خلقه آية للناس، إذ وُلد من غير ذَكَر.. والثاني أن ترجع إلى الغلام، وذلك لأنّ مريم، لمّا تعجبت من كيفيّة وقوع هذا الأمر، على خلاف العادة، أُعلِمتْ أنّ الله تعالى جاعل ولدها آية على وقوع ذلك الأمر الغريب.

ويقول **الخازن والنسفي والفيروزبادي والبيضاوي**: آية للناس، أي علامة لهم، وبرهاناً على قدرتنا، ودلالة لبني إسرائيل، ولداً بلا أب.

ويقول **ابن كثير**: ولنجعله آية للناس، أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم، وخالقهم الذي نوّع في خلقهم، فخلق أباهم آدم من غير ذكَر ولا أنثى، وخلق حوّاء من ذكر بلا أنثى، وخلق بقيّة الذرّيّة من ذكر وأنثى إلاّ عيسى، فإنّه أوجده من أنثى بلا ذكر، فتمّت القسمة الرباعيّة الدالّة عن كمال قدرته، وعظيم سلطانه، فلا إله غيره ولا ربّ سواه.

ويقول **الطبرسي**: ولنجعله آية للناس، معناه: ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوّته ودلالة على براءة أمّه.

ومع كلّ هذه التفاسير، فنحن لا نعرف نبياً، ولا حتّى محمّداً نفسَه، استحقّ أن يكون «آية للناس»، أي حجّةً وبرهاناً ودلالةً وقدوةً وعلامةً ظاهرةً وآيةً باهرةً وعبرةً عظيمة لأحدٍ من البشر. هذا اللقب الذي أطلقه القرآن على عيسى، منذ مولده، وقبل أن يستحقّه بأعماله و«نبوّته»، هل يكون لقباً إلهياً؟ إنّه كذلك بشهادة القرآن نفسه، إذ يعتبر القرآنُ عيسى وأمَّه آية واحدة من آيات الله: «فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنَها آيةً للعالمين» (٢١/ ٩١)؛ «وجعلنا ابنَ مريم وأمَّه آية» (٢٣/ ٥٠).

وآيات القرآن هي نفسها كلام الله. إنّها أزليّة كالله، صادقة وفاعلة بقوّة ذاتها. وآيات القرآن ليست معجزاتٍ في ذاتها فحسب، ولا تدلّ على معجزات؛ بل هي معجزات بحدّ ذاتها، من حيث مبدإها ودلالتها ووجودها. وعيسى من طراز هذه الآيات.

***

٧. **وَرَحْمَةً مِنَّا:** «ولنجعله آية للنّاس وَرَحْمَةً مِنَّا» (١٩/ ٢١): والرحمة هي الصفة المألوفة لله: إنّه «رحمن رحيم»[٤٢]، و«غفور رحيم»[٤٣]، و«توّاب رحيم»[٤٤]، و«ذو رحمة واسعة» (٦/ ١٤٧)، و«خير الراحمين» (٢٣/ ١١٨).

---

(٤٢) «رحمن رحيم» تعبير يرد في البسملة، وفي حوالي ٦٠ مرّة..

(٤٣) ٢/ ١٧٣ و١٨٢ و١٩٢ و١٩٩ و٢١٨ و٢٢٦، ٣/ ٣١ و٨٩ و١٢٩؛ ٤/ ٢٥؛ ٥/ ٣ و٣٤ و٣٩ و٧٤ و٩٨؛ ٦/ ٥٤ و١٤٥ و١٦٥؛ ٧/ ١٥٣ و١٦٧ إلخ...

(٤٤) ٢/ ٣٧ و٥٤ و١٢٨ و١٤٣ و١٦٠...

هذه الرحمة هي عمل الله في المؤمنين؛ لكنّ عيسى هو وحدَه «رحمة من الله»؛ وليس أحد سواه قيل عنه ذلك. فكما أنّ الله هو رحمن رحيم، فكذلك عيسى هو «رحمة»، أي مثل الله رحمن رحيم. هكذا فهم المفسّرون هذا القول:

قال **الطبري**: ورحمة منّا لكِ، ولمن آمن به وصدّقه.

وكذلك قال **البيضاوي والنسفي والقرطبي**: ورحمة منّا: لمن آمن به.

وقال **الرازي**: إنّ قوله «ورحمة منّا» يحتمل أن يكون معطوفاً على «ولنجعله آية للناس»، أي فعلنا ذلك رحمة منّا. ويحتمل أن يكون معطوفاً على الآية أي (ولنجعله آية ورحمة) فعلَنا ذلك. ورحمة منّا يرحم عبادنا بإظهار هذه الآيات حتّى تكون دلائل صدقه أبهر، فيكون قبول قوله أقرب.

الفيروزبادي: ورحمة منّا تعني: على العباد أن يهتدوا بإرشاده.

الخازن: ورحمة منّا أي ونعمة لمن تبعه على دينه إلى بعثة محمّد.

ابن كثير: ورحمة منّا، أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الأنبياء، يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده.

الطبرسي: ورحمة منّا: له ولنجعله نعمة منّا على الخلق يهتدون بسببه.

القاسمي: ورحمة منّا أي عليكِ بهذه الكرامة، وعلى قومك بالهداية والدعاء إلى عبادة الله وتوحيده، فيهتدون بهديه ويسترشدون بإرشاده.

الشوكاني: ورحمةً منّا: معطوف على «آية»، أي ولنجعله رحمة عظيمة كائنة منّا للناس لما ينالونه منه من الهداية والخير الكثير، لأنّ كلّ نبيّ رحمة لأمّته[٤٥].

حسين فضل الله: ورحمة منّا في ما نريد أن نعدَّه له من دور في حمْل الرسالة للناس، وفي رفع مستواهم الروحي والفكري والحياتي...

وبالنتيجة نقول: بالرغم من كلّ هذه التفاسير، نحن لا نعرف نبياً، ولا حتّى محمّد نفسه، استحقّ هذه الصفة التي أطلقها القرآن على عيسى، منذ مولده. بل إنّ محمّداً أُرسِل، في نبوّته، لا منذ مولده، رحمة للعالَمين (٢١/ ١٠٧)، «للرحمة»، بحسب تفسير الجلالَين وغيرهما. وليس هو في ذاته، كعيسى، «رحمة من» الله. فهل يكون عيسى، بهذه «الرحمة» الإلهيّة من طبيعة الأنبياء؛ أم من طبيعة «الله الرحمن الرحيم»؟ إنّها كذلك بشهادة القرآن نفسه.

***

٨. «وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة» (٣/ ٤٥):

الطبري: يعني: «ذا منزلة عالية عند الله وشرف وكرامة».

---

(٤٥) رَاجع: محمّد الشَّوكاني (ت ١٢٥٠/ ١٨٤٣)، **فتح القدير**.

الرازي: معنى الوجيه: ذو الجاه والشرف والقدر. وفي ذلك ثلاثة أقوال: الأوّل: قال الحسن: كان وجيهاً في الدنيا بسبب النبوّة، وفي الآخرة بسبب علو المنزلة عند الله تعالى؛ الثاني: إنّ عيسى عليه السلام، فهو وجيه في الدنيا بسبب أنّه يُستجاب دعاؤه ويُحيي الموتى، ويُبرئ الأكمه والأبرص، بسبب دعائه؛ ووجيه في الآخرة بسبب أنّه يجعله شفيعَ أمّتِه المحقّين، ويقبل شفاعتهم فيهم، كما يقبل شفاعة أكابر الأنبياء عليهم السلام؛ والثالث: أنّه وجيه في الدنيا بسبب أنّه كان مبرَّأ من العيوب التي وصفه اليهود بها؛ ووجيه في الآخرة بسبب كثرة ثوابه وعلوّ درجته عند الله تعالى...

محمّد عبده: معناه أنّه يكون ذا وجاهة وكرامة في الدارَين.. إنّ كون المسيح ذا جاه ومكانة في الآخرة ظاهر. وأمّا وجاهته في الدنيا فهي قد تكون موضع إشكال لِما عُرِف من امتهانِ اليهودِ له ومطاردتِهم إيّاه على فقره وضعف عصبيّته.

والجواب عن ذلك سهلٌ وهو أنّ الوجيه في الحقيقة مَن كانت له مكانة في القبول، واحترام ثابت في النفوس. ولا يكون أحد كذلك حتّى يكونَ له أثرٌ حقيقيٌّ ثابت، من شأنه أن يدوم بعده زمناً طويلاً أو غير طويل. ولا يُنكِرُ أحدٌ أنّ منزلة المسيح في نفوس المؤمنين به كانت عظيمةً جداً، وأنّ ما جاء به من الإصلاح هو من الحقِّ الثابت. وقد بقي أثره بعده.

فهذه الوجاهة أعلى وأرفع من وجاهة الأمراء والملوك الذين

يُحتَرمون في الظواهر لظلمهم، واتّقاء شرهم، والتزلّف إليهم، رجاء الانتفاع بشيء ممّا في أيديهم من عرض الحياة الدنيا...

ويقول **حسين فضل الله:** «يفيض الملائكة الحديث عن صفاته (عيسى)، للإيحاء بأهمّيّة هذا المولود، وما يحقّقه للحياة من خير وبركة، وما يمنحه لأممهم من شرف ورفعة: «وجيهاً في الدنيا» فستكون له الوجاهة في الدنيا من خلال موقعه الرسالي في ما يثيره من قضايا ومواقف، ومن خلال إيمان الناس بنبوّته ورسالته، وتبجيلهم وتقديسهم له، «والآخرة» وسيحصل على الوجاهة في الآخرة في ما يرفعه الله من درجاتٍ جزاءً لجهاده وتضحياته وآلامه القاسية التي تحمّلها في سبيل الله.

هذه الوجاهة تفرّد بها عيسى في القرآن دون سائر الأنبياء والبشر. فهو كذلك، أي وجيهاً في الدنيا بين البشر، وفي العالَم الآخَر بين الملائكة والقدّيسين. وليس في القرآن «وجاهة» إلاّ لعيسى وحده؛ وذلك لقربه من الله. لذا فهو، كما تكمّل الآية، «**مِنَ المُقَرَّبِين**».

***

٩. «**وَمِنَ المُقَرَّبِينَ**» (٣/ ٤٥). ومثلها قوله: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أنْ يكونَ عبْداً لله، وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ» (٤/ ١٧٢)، أي: ولا الملائكة أيضاً يتكبّرون ويأنفون أن يكونوا عبيداً لله. مثلهم مثل عيسى: فكما هم ليسوا آلهة، ولا بنات الله، كما كان يقول بعض وثنيّي قريش، كذلك عيسى ليس ابناً لله، كما يقول بعض

المسيحيّين؛ بل هو عبد. ولكنّه عبدٌ «مِنَ المُقَرَّبين». غير أنّ أكثر «المُقَرَّبين» إلى قلب أيٍّ شخصٍ آخر إنّما هو ابنُه، أو مَن هو بمنزلة الابن، الذي هو أكثر قرباً وقرابةً من سواه. وفي أمكنة أخرى أيضاً، يصف القرآن الملائكةَ بالمقرَّبين[٤٦].

يقول **الطبري**: أمّا قوله «وَمِنَ المُقَرَّبِينَ»، فإنّه يعني: أنّه ممّن يُقرّبه الله يومَ القيامة، فيُسكنه في جواره، ويُدنيه منه».

ويقول **الرازي**: أمّا قوله: «وَمِنَ المُقَرَّبِينَ» ففيه وجوه: أحدها: أنّه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة، فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة. وثانيها: أنّ هذا الوصف كالتنبيه على أنّه عليه السلام سيُرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة. وثالثها: أنّه ليس كلُّ وجيهٍ في الآخرة يكون مقرَّباً، لأنّ أهل الجنّة على منازلَ ودرجات.

ويقول **حسين فضل الله**: «وَمِنَ المُقَرَّبِينَ»، أي: وسيكون من المقرّبين إلى الله، انطلاقاً من قربه الروحي والفكري والعملي إلى الله في خشوع العبادة وخضوع العمل..

صفة القرب هذه جعلتْ من مسيح القرآن في درجةٍ من التمييز لم يستحقّها غيرُه. ومحمّد نفسه لم يصفه القرآن بمثل هذا القرب، ولم يميّزه عن غيره بمثل ما ميّز عيسى.

---

(٤٦) رَاجع: ٥٦/ ١١؛ ٨٣/ ٢١ و٢٨.

ثانياً ــ معجزات مسيح القرآن

معجزات مسيح القرآن كثيرة ومتنوّعة. لم تكنْ لأحدٍ من الأنبياء، سواه. إنّها معجزاتٌ من كلّ نوع: مثل معجزة الخلق، وشفاء المرضى، وإقامة الموتى، وعلم الغيب، وغيرها:

١. **الخلق**. قال المسيح في القرآن عن نفسه: «إنِّي أَخْلُقُ لكمْ مِنَ الطِّينِ كهيئَةِ الطَّيْرِ فَأنفُخُ فيهِ فيكونُ طيراً بإذنِ الله» (٣/ ٤٩)؛ وقال أيضاً: «إذْ قَالَ اللهُ: يَا عِيسَى ابنَ مريمَ! اذكُرْ نِعْمَتي عليكَ... إذْ تَخْلُقُ من الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ بإذْني، فتَنفخُ فيها فتكونَ طيراً بإذْني» (٥/ ١١٠).

يعلّق **ابن عربي** على ذلك في قوله: «ولم يضف (الله) نفخاً في إعطاء الحياة لغير عيسى، بل لنفسه تعالى». أي إنّ هذه القدرة على الخلق هي من خصائص الله وحدَه، دون سواه، إذ هو وحدَه، بحسب القرآن، «الخَلاَّقُ العَلِيم»[٢١]؛ و«خالِقُ كلِّ شيءٍ»[٢٢]؛ «هُوَ اللهُ الخالِقُ البارئُ المصوِّرُ» (٥٩/ ٢٤)؛ و«هل مِنْ خالِقٍ غيرُ اللهِ؟!» (٣٥/ ٣). ثمّ يصف اللهُ نفسَه: «نَحْنُ الخَالِقُون» (٥٦/ ٥٩). واللهُ أعلم لماذا صفة الجمع هذه؟ وَمَن هم الذين يتّصفون مع الله بهذه الصفة؟ أليس عيسى أحقُّ المحقِّين بذلك؟

صفة الخلق هذه، كما يبدو في القرآن، أنعم بها اللهُ على المسيح وحدَه؛ وحتّى محمّد، لم يكن له ذلك، مع أنّه، في نظر

---

(٢١) سورة الحجر ١٥/ ٨٦؛ سورة يس ٣٦/ ٨١.

(٢٢) سورة الأنعام ٦/ ١٠٢: الرعد ١٣/ ١٦؛ الزمر ٣٩/ ٦٢؛ غافر ٤٠/ ٦٢.

المسلمين، هو خير خلق الله وخاتم النّبيِّين والرسل؛ بل منع اللهُ عن محمّد حتّى مجرّد أن يُعيد السمْع إلى الصمّ، كما يردّد القرآن ذلك: «فإنّكَ... لاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ»[٢٣]. وهذا، طبعاً، أهون عليه من الخلْق من العدم؛ ومع ذلك لم يكن له.

وكذلك تحدّى اللهُ، في القرآن، البشرَ وآلهة الأصنام جميعاً، أن يخلقوا ولو ذبابةً: «إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً، ولَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ (أي لخلْقه)» (٢٢/ ٧٣)؛ في حين أعطى المسيحَ القدرةَ على خلْق الطَّير.

يفسّر **الإمام محمّد عبده** معجزةَ «خلْق» عيسى الطيرَ من الطين بقوله: «مقتضى مذهب الصوفيّة أنّ روحانيّةَ عيسى كانت غالبةً على جثمانيّته أكثر من سائر الروحانيّين، لأنّ أمَّه حملتْ به من الروح الذي تمثّل لها بشراً سويّاً، فكان تجرّدُه من المادة الكثيفة للتصرّف بسلطان الروح من قبيل الملكة الراسخة فيه.

«وبذلك كان، إذ نفخ من روحه في صورةٍ رطبةٍ من الطين حلَّها الحياةَ حتّى تهتزَّ وتتحرّك. وإذا توجّه بروحانيّته إلى روحٍ فارقتْ جسدَها أمكنه أن يستحضرَها ويعيدَ اتّصالَها ببدنها.

«ولكنّ روحانيّة البشر لا تصل إلى درجة إحياء مَن مات فصار رميماً». وكأنّه يريد أن يقول: هذا من شأن روحانيّة الله. فهل يكون عيسى إلهاً؟

---

(٢٣) سورة الرّوم ٣٠/ ٥٢؛ رَاجع: ٢٧/ ٨٠؛ ٢١/ ٤٥؛ ١٠/ ٤٢؛ ٤٣/ ٤٠.

معجزة الخلق هذه نعمة خاصّة مميِّزة أحدثها الله على يد عيسى. وتعبير «بِإِذْنِ اللهِ»، المكرّرة، لا يقلّل من أهمّيّة إتيانها على يده؛ بل تشير إلى أن أعمالَ عيسى وحياتَه كلَّها كانت تحت هيمنة الله، لأنّه، وهو الذي وُلد بواسطة روح القدس، وعاش حياتَه كلَّها تحتَ هيمنته، يستطيع أن يعملَ أعمالَ الله. وليس سواه من البشر وُلد مثل ما وُلد، وعاش مثل ما عاش.

***

٢. **النطق عند الولادة.** حين وَلدت مريم ابنَها تناولها أبناءُ قومها بالتأنيب، ظنّاً منهم بأنّها حملتْ به سَفاحاً. فأشارتْ إليهِ ليكلِّمهم، ويعلن براءَتها، فقال لها رؤساء اليهود متعجِّبين: «كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ في المَهدِ صَبِياً؟ قَال: إنِّي عبدُ الله. آتَانِي الكِتَابَ وَجَعَلَني نَبِياً» (١٩/ ٢٩ ــ ٣٠).

هذه القدرة على النطق عند الولادة لم تحدثْ، في القرآن، لأحدٍ من الأنبياء، ولا حتّى لمحمّد نفسه. إنّها ميزة مسيح القرآن، تقرب المستحيلات في منطوق العالم.

***

٣. **شفاء المرضى:** اللهُ وحده، في القرآن، يشفي المرضى، فجاء على لسان إبراهيم الخليل: «وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ (أي الله) يَشْفِينِي» (٢٦/ ٨٠)؛ وفي الحديث الصحيح، جاء على لسان محمّد: «اللَّهُمَّ! لا شِفاءَ إلاَّ شِفَاءَكَ». أمّا مسيح القرآن فيقول عن

نفسه: «أُبْرِئُ الأَكْمَهَ (أي مَن وُلد أعمى)، وَالأبرَصَ» (وهو، بحسب الطبري، مرض لا علاج منه يَضرب الجلد).

عيسى وحده، في القرآن، يَشفي الأمراض المستعصية على أنواعها. وليس أحدٌ سواه من الأنبياء يستطيع أن يقوم بهذه المهمّة المستعصية، التي هي من خصائص الله وحده. وعيسى، على ما يبدو، هو من الله، أو هو الله.

***

٤. إحياء الموتى: اللهُ وحده، في القرآن، يُحيي ويُميت، ولا يستطيع أحدٌ غيره أن يفعل ذلك. قال: «وإنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ. ونَحْنُ الوَارِثُونَ» (١٥/ ٢٣)؛ وقال: «إنَّا نَحْنُ نُحْيي الموتَى» (٣٦/ ١٢)؛ وقال: «إنَّا نَحْنُ نُحْيِي ونُمِيتُ. وَإِلَينَا المَصِيرُ» (٥٠/ ١٢)؛ وقال: «هُوَ الذِي أَحْيَاكُمْ ثمَّ يُمِيتُكُمْ ثمَّ يُحْيِيكمْ» (٢٢/ ٦٦)؛ وقال: «لا إلهَ إلاَّ هُوَ يُحْيي وَيُمِيتُ» (٧/ ١٥٨).

هذه القدرة على إحياء الموتى لم تكن، في القرآن، بعد الله، إلاّ للمسيح وحدَه. فهو القائل عن نفسه بضمير المتكلِّم: «وَأُحْيِي المَوتَى بِإِذْنِ اللهِ» (٣/ ٤٩). هذا «الإذْن الإلهيّ» لم يُعطَ، في القرآن، لأحدٍ من النّبيّين، ولا حتّى لمحمّد نفسه. وحدَه المسيح أُعْطِيتْ له هذه القدرة الإلهيّة على إحياء الموتى.

***

٥. المسيح هو المتكلِّم عن نفسه لا الله. المسيح هو الذي يقول عن نفسه بنفسه: «**إنِّي** عَبدُ الله» (١٩/ ٣٠)؛ و«**إنِّي** أَخْلُقُ»

(٣/ ٤٩)؛ و«أُبْرِئُ الأكْمَه والأبرَصَ» (٣/ ٤٩)، و«أُحْيِي الموتَى» (٣/ ٤٩)؛ و«أُنْبِّئُكُمْ بِمَا تأكُلونَ» (٣/ ٤٩)...

الغريب هنا في هذه الأقوال هو أنّ المسيحَ نفسه يتكلّم بضمير المتكلِّم، ويقول عن نفسه ما قال؛ لا كما كان يحدث لمحمّد فيقول اللهُ له: «قلْ». وهذا الأمر ورد في القرآن على لسان الله لمحمّد أكثر من ٣٣٠ مرّة؛ في حين أنّ عيسى أُعطي له أن يتكلّم بنفسه عن نفسه. وقد كانت له القدرة على فعل ذلك.

***

٦. **العلم بالغيب**. مسيح القرآن يعلم الغيب، فيقول: «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تأكُلُونَ ومَا تَدَّخِرُونَ فِي بيُوتِكُمْ» (٣/ ٤٩). في حين أنّ اللهَ وحدَه، في القرآن، يعلم الغيب. قال: «لا يَعلَمُ مَن في السمَواتِ والأرْضِ الغَيبَ إلاَّ الله» (٢٧/ ٦٥)[٢٤].

ومحمّد نفسه، بالرّغم من كونه خير خلق الله وخاتم النبّيين والرسل، في نظر المسلمين، لا يعلم الغيب أبداً. وهو مَن قال: «لا أقولُ لكُمْ عندِي خَزائنُ الله. وَلا أَعلمُ الغَيبَ» (٦/ ٥٠)[٢٥]؛ وقال أيضاً: «ولو كُنتُ أعلمُ الغَيبَ لاستَكْثَرْتُ مِنَ الخَيرِ، ومَا مَسَّني السُّوءُ» (٧/ ١٨٨).

---

(٢٤) رَاجع: ٦/ ٥٩؛ ١١/ ١٢٣؛ ١٦/ ٧٧؛ ٣٥/ ٣٨؛ ٤٩/ ١٨؛ ٧٢/ ٢٦.

(٢٥) رَاجع سورة هود ١١/ ٣١.

٧. **معجزة المائدة.** جاء في القرآن:

ــ إذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ: يا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ! هلْ يَستَطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ علَينا مائدَةً منَ السَّماءِ؟

ــ قالَ: اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

ــ قالوا: نُريدُ أنْ نَأْكُلَ مِنْها، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا، وَنَعلَمَ أنْ قَدْ صَدَقْتَنا، وَنَكونَ عليها مِنَ الشّاهِدِينَ.

ــ قالَ عيسَى ابنُ مَريَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنا! أَنْزِلْ عَلَينا مائدةً من السَّمَاءِ. تَكونُ لَنا عِيداً لأَوَّلِنا وآخِرِنا، وَآيَةً مِنكَ، وارزُقْنَا وأنتَ خيرُ الرّازقينَ.

ــ قالَ اللهُ: إنِّي مُنَزِّلُها عَلَيكمْ. فَمَنْ يكْفُرْ بَعْدُ مِنكُم فإنّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ» (٥/ ١١٢ ــ ١١٥).

هذه المعجزات الإلهيّة، التي نزلتْ على طلبِ عيسى من الله، مميَّزة وفريدة من نوعها، حتّى إنّ مَن يكفر بها، بعد حدوثها، فسوف يعذِّبه الله عذاباً شديداً. وهو تهديد شبيه بتهديد «مَن يأكلُ ويشرَبُ جسدَ الربّ، يأكلُ ويشرَبُ دَينونةً لنفسِه»[٢٦].

مثل هذه المعجزة لم تحصل لأحدٍ من النّبيّين. وحدَه المسيح طلبها من الله فكان له ما طلب. وما طلبه أصبح عيداً للأوّلين والآخِرين، وآيةً إلهيّة إلى مدى الدهر، ورزقاً من عند اللهِ خيرِ الرازقين، ودينونةً أبديّة لمن يأكل منها من دون استحقاق.

---

(٢٦) رَاجع: ١ قورنتس ١١/ ٢٩.

٨. **نزول عيسى في آخر الزمان:** «إذ قالَ اللهُ: يا عيسَى! إنّي مُتَوَفِّيْكَ ورَافِعُكَ إليَّ، ومُطَهِّرُكَ من الّذينَ كَفَروا» (٣/ ٥٥).

يقول **الطبري** عن معنى «وفاة» عيسى: «اختلف أهلُ التأويل في معنى الوفاة:

فقال بعضهم: "هي وفاة نوم". ورفعه الله في منامه..

وقال آخرون: معنى ذلك أنّي قابضك من الأرض فرافعك إليّ.. فيكون معنى الآية: إنّي قابضك من الأرض حيّاً إلى جواري، وآخذك إلى عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهلِ الكفر.

في ذلك قال الورّاق: ليس بوفاة موت..

وقال كعب الأحبار: ما كان الله عزّ وجل ليُميتَ عيسى ابن مريم.. وليس من رفعتِه عندي ميتاً، إنّي سأبعثك على الأعور الدجّال فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثمّ أُميتُك ميتةَ الحيّ. وذلك يصدّق حديث رسول الله حيث قال: "كيف تهلك أمّةٌ أنا في أوّلها وعيسى في آخرها؟".

وقال آخرون: معنى ذلك إنّي متوفيك وفاة موت. عن ابن عبّاس قال: إنّي مميتك.. وعن وهب بن منبه قال: توفّى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتّى رفعه إليه.. وعن ابن إسحق قال: والنّصارى يزعمون أنّه توفّاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومتوفّيك بعد إنزالي إيّاك إلى الدنيا..

وعن أبي هُريرة قال: قال رسول الله: "أنا أَولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنّه لم يكن بيني وبينه نبيّ.. فإذا رأيتموه فاعرفوه: فإنّه.. يدقُّ الصليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويُفيضُ المالَ، ويقاتلُ الناسَ على الإسلام، حتّى يُهلك اللهُ في زمانه المللَ كلَّها، ويُهلك الله في زمانه مسيحَ الضلالة الكذّاب الدجّال. وتقع في الأرض الأمنةُ، حتى تَرتعَ الأسودُ مع الإبل، والنّمرُ مع البقر، والذئابُ مع الغنم، وتلعبَ الغلمانُ بالحيّات، لا يضرّ بعضُهم بعضاً، فيثبت في الأرض أربعين سنة، ثمّ يتوفّى. ويُصلّي المسلمون عليه ويدفنونه".

ومعلوم، يقول الطبري، أنّه لو كان قد أماته الله عزّ وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيُجمع عليه ميتتين، لأنّ الله إنّما أخبر عباده أنّه يخلقهم ثم يميتهم ثمّ يحييهم(٢٧)...

أمّا الطبري فيقول: أَولى هذه الأقوال بالصحّة عندنا قول من قال: إنّي قابضك من الأرض ورافعك إليّ؛ وذلك لتواتر الأخبار عن رسول الله أنّه قال: "ينزل عيسى ابنُ مريم فيقتل الدجَال، ثم يمكثُ في الأرض مدّة. ثم يموت فيُصلّي عليه المسلمون ويدفنونه".

---

(٢٧) رَاجع: ٢/ ٢٨؛ ٢٢/ ٦٦؛ ٣٠/ ٤٠؛ ٤٥/ ٢٦..

وكذلك قال **الرازي**: «وَمَا قَتَلُوه يَقِيناً؛ بل رَفَعَهُ اللهُ إليهِ» (٤/ ١٥٨): أي: وما قتلوا يقيناً أنّه عيسى ولا أنّه غيرهُ؛ ولكنّهم كانوا منه على ظنّ وشبهة.. فرفْعُ عيسى إلى السماء ثابت بهذه الآية. ونظير هذه الآية قوله: «إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الّذينَ كَفَروا» (٣/ ٥٥). واعلم أنّ ذلك يدلّ على أنّ رفعه إليه أعظم في باب الثواب من الجنّة، ومن كلّ ما فيها من اللّذات الجسمانيّة. وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادات الروحانيّة.

ويقول **ابن كَثير** في قوله تعالى «إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ» (٣/ ٥٥): «المراد بالوفاة ههنا النوم، كما قال تعالى: «وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيل» (٦/ ٦٠). وقال: «اللهُ يتوفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوتِها وَالتِي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها» (٣٩/ ٤٢). وكان رسول الله يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا»[٢٨].

ثم يسرد ابن كثير الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض في آخر الزمان قبل يوم القيامة، وأنّه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال: في «البخاري.. عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله: «والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أنْ ينزِلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكَماً عدْلاً، فيَكْسِرُ الصليبَ، ويَقتُلُ الخنزيرَ، ويَضَعُ الجزْيَةَ، ويُفيضُ المالَ حتَّى لا يَقْبَلَهُ أحدٌ، وحتَّى تكونَ السَّجْدَةُ خيراً له مِنَ الدنيا وما فيها»[٢٩].

---

(٢٨) صحيح البخاري ٨/ ٨٥.

(٢٩) صحيح البخاري ٤/ ٢٠٥.

أمّا العلاّمة آية الله العظمى **محمّد حسين فضل الله** فيتساءل: «ما معنى الوفاة في قصّة عيسى عليه السلام؟». ويُجيب: «أمّا عيسى فإنّ اللهَ أراد له أن لا يقع في قبضة الكافرين الذين جاؤوا به ليصلبوه وليقتلوه. وتحرّكت الإرادة الإلهيّة الخفيّة، في ما أعلنه الله لعيسى عليه السلام: «إذ قالَ اللهُ يا عيسَى إنّي مُتَوَفّيكَ».

«وحار المفسّرون في تحديد معنى هذه الكلمة. فهل تعني الموت، أم تعني بلوغ الحدّ الذي حدّده الله له في الأرض؟.. ذهب البعض إلى أنّ اللّه قبضه إليه بضع ساعات، ثمّ أحياه، وذهب آخرون إلى أنّ الله رفعه إليه من دون أن يقبض روحه، لأنّه سيعيش إلى نهاية الحياة الدنيا.

«إلاّ أنّ للوفاة معنى لا ينطبق على الموت، لأنّ التوفّي إنّما هو أخذ الشيء أخذاً تاماً.. ثمّ إنّ المراد برفعه إليه رفعُه بروحه وجسده حياً إلى السماء، على ما يشعر به ظاهر القرآن الشريف.

ثمّ يفسّر فضل الله قوله تعالى عن أهل الكتاب: «وإنْ مِنْ أهلِ الكتَابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بهِ قَبْلَ مَوتِهِ. وَيومَ القيامةِ يكونُ علَيهِمْ شَهيداً» (٤/ ١٥٩)، بما يقول المفسّرون عن عيسى: عندما يبعثه الله، أو يظهره في آخر الزمان، فيرونه رأي العين، فيواجهون الحقيقة في ظروف لا يمكنهم معها الإنكار..

أمّا **سيّد قطب** فكان له في قوله تعالى «يا عيسَى! إنّي متَوَفّيْكَ ورَافِعُكَ إليَّ، ومُطَهِّرُكَ من الّذينَ كَفَروا» (٣/ ٥٥) رأي مخالف لآراء المفسّرين كافّة. يقول: «فأمّا كيف كانت وفاته؟ وكيف

كان رفعه؟ فهي أمور غيبيّة تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلاّ الله. ولا طائل وراء البحث فيها، لا في عقيدة ولا في شريعة. والذين يجرون وراءَها، ويجعلونها مادّة للجدل، ينتهي بهم الحال إلى المراء، وإلى التخليط، وإلى التعقيد، دون ما جزم بحقيقة، ودون ما راحة بال في أمرٍ موكولٍ إلى علم الله».

خاتمة

إنّ هذه الألقاب والصفات الإلهيّة، والأسماء الخاصّة بالمسيح، والمعجزات العديدة والمتنوّعة التي لم تكن، في القرآن، لغير عيسى... لا تدلّ على ألوهيّة عيسى، كما يعتقد بها المسيحيّون؛ إنّما هي ألفاظ وتعابير مستوردة دون مضمونها الذي لها في اللاّهوت المسيحي.

لهذا، فنحن لا نستطيع أن نقولَ بأنّ القرآن يعترف بألوهيّة عيسى، أو ببنوّته للّه. عيسى لا يزال نبياً وعبداً لله، وإنْ بطريقة مميّزة. ويبقى، في رأي المسلمين، دون محمّد. بل كان يُعِدُّ الطريقَ لمحمّد. وعندما جاء محمّد "نسخ" ما جاء به عيسى. ولا تنتظر البشريّة نبياً آخر سواه، ولا ديناً آخر غير الإسلام، ولا كتاباً منزلاً من عند الله غير القرآن.

الفصل الخامس
نبوة مسيح القرآن

نبيّن في هذا الفصل: نبوّة مسيح القرآن، على أنّه نبيّ كسائر النّبيّين، والقائلين بألوهيّته كفّار مشركون. وهذا هو موقف المسلمين كافّة، منذ نشأة الإسلام حتّى اليوم وما بعد اليوم.

أوّلاً ــ مسيح القرآن نبيّ كسائر الأنبياء

في إنكار الألوهيّة عن عيسى، يتّفق القرآنُ مع «النّصرانيّة» اتفاقاً كاملاً؛ ويختلف عن «المسيحيّة» اختلافاً تامّاً. بسبب ذاك الاتّفاق، قيل عن الإسلام بأنّه هو «النّصرانيّة» المكّيّة كما كانت في أيّام محمّد؛ وبسبب هذا الاختلاف، قيل عن الإسلام بأنّه دين توحيديّ ثالث، مستقلّ عن المسيحيّة، وفي حالة صراع دائم معها.

في إنكار ألوهيّة المسيح، حذا القرآن حذو المصادر النصرانيّة، حتّى كاد يكون هو النصرانيّة المكّيّة بعينها. وإن نحن نقارن بينهما، نتأكّد ممّا ورد فيهما؛ بل يظهر لنا موقف القرآن الحقيقي من هويّة عيسى.

١. المسيح في القرآن هو «عيسى ابن مريم» (٢/ ٧٨)[١]، «بشرٌ سويّ» (١٩/ ١٧)، وُلد كسائر الناس، وخلقه الله، كما خلَق آدم من تراب (٣/ ٥٩). وإنْ بطريقةٍ معجزة (٣/ ٤٥)[٢].

وهو كذلك في النّصرانيّة: المسيح هو «يسوع ابن مريم»[٣]، و«بشر بين البشر»[٥]، وُلد كسائر الناس[٦]، وخُلق كآدم من تراب[٧]، ولكنْ بطريقة معجزة[٨].

٢. ومع كون مسيح القرآن بشراً فهو نبيٌّ ورسولٌ «خَلَتْ مِن قَبلِه الرُّسل» (٥/ ٧٥)؛ بل هو أسمى من الأنبياء والرّسل، إذ آتاه اللهُ البَيِّنات (٢/ ٨٧ و٢٥٣) وصنْعَ المعجزات.

والنَّصارى يقولون الشيء نفسه: المسيح «نبيٌّ أسمى من الأنبياء جميعاً، لأنّ فيه روحاً ملائكياً»[٩]. لم يكن في البداية مسيحاً، بل «صار مسيحاً على الاصطفاء»[١٠]، لهذا فهم ينكرون

---

(١) ورد تعبير «ابن مريم» في القرآن ٢٣ مرّة؛ رَاجع مثلاً: ٢/ ٢٥٣؛ ٣/ ٤٥؛ ٤/ ١٥٧ و١٧١؛ ٥/ ١٧ و٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٩/ ٣١؛ ١٩/ ٣٤؛ ٢٣/ ٥٠؛ ٣٣/ ٧؛ ٤٣/ ٥٧؛ ٥٧/ ٢٧؛ ٦١/ ٦ و١٤.

(٢) سورة آل عمران ٣/ ٤٥؛ سورة الأنبياء ٢١/ ٩١؛ سورة مريم ١٩/ ١٧.

(٣) *Actes de St. Jean. Ev. de St. Pierre.*

(٥) Justinien. *Dialogue avec Triphon* 28.9.

(٦) Origène, *Contre Cels*. 5/61.

(٧) Irénée, *Contre les Hérésies*, 3/26.

(٨) Origène, *Contre Cels*. 5/65.

(٩) Tertullien, *Du Corps du Christ*, 14/5.

(١٠) Justinien, *Dialogue avec Triphon*. 29/1.

ألوهيَّتَه؛ وينسبون إليه معجزاتٍ، مثل شفاء الأبرص والأعمى وإقامة الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير[١١].

٣. وفي القرآن أيضاً إنكار تامٌّ لألوهيّة المسيح وبنوّته لله[١٢]، لأنّ الله لم يلد ولم يولد (١١٢/ ٣)؛ بل يقول بأنَّ المسيح «عبد الله» (٤/ ٧٠) و«من الملائكة المقرّبين» (٣/ ٤٥)؛ والله يستطيع أن يهلكه ساعة يشاء (٥/ ١٧).

وهو رأي صريح للشيعة الإِبيونيّة Ebionisme من النَّصارى[١٣]، كما قال عنهم أبيفان: «إنَّ المسيح ليس مولوداً من الله الآب، بل مَخلوقاً، وهو أحد رؤساء الملائكة، المالك على الملائكة وعلى كل أعمال القدير»[١٤]. وقال أيضاً: «ليس المسيح، بنظرهم، سوى ملاك»[١٥]. إنّه «أوّل رؤساء الملائكة»[١٦]. وورد أيضاً في كتاب راعي هرمس: «إنَّ الله، لمّا أراد أن يخلق الملائكةَ المقرّبين من نارٍ على عدد سبعة، قضى أن يجعل أحدَهم ابنَه»[١٧].

---

(١١) *Evangile arabe de l'enfance*, 26/1-2.

(١٢) سورة المائدة ٥/ ١٧؛ سورة مريم ١٩/ ٣١؛ سورة يونس ١٠/ ٦٨.

(١٣) الإبيونيّون شيعة نصرانيّة، من كلمة «إبيون» Ebione العبريّة، أي الفقير، من تبنّيهم قول المسيح: «طوبى للإبيونيّين»، أي للفقراء. وهم يهتمّون اهتماماً بالغاً بمساعدة الفقراء.

(١٤) Epiphane, *Panarion*, 30/4, 6.

(١٥) Irénée, *PG*. 1031-1043.

(١٦) Origène, *PG*. 12, 207-208. Justin, *PG*, 6, 773-778.

(١٧) *Pasteur d'Hermas*, 9/12, 7.

٤. جاء في القرآن عن صلب المسيح وموته: إنَّ المسيح لم يُقتل ولم يُصلب، بل وقعَ الشَبَه على الذين قالوا بذلك (٤/ ١٥٧)، ومَكرَ اللهُ بهم وهو خَيرُ الماكِرين[١٨]. وينكر القرآن أيضاً أن يكون المسيح قام بقوَّته من الموت، بل يقول بأنَّ اللهَ هو الذي رفعه إليه (٤/ ١٥٨؛ ٣/ ٥٥). ولهذا ليس له أيُّ دورٍ في خلاصِ الإنسان وافتدائه، وليس على أيِّ إنسان أن يطلب شفاعتَه.

كذلك يعتقد الإبيونيّون من النّصارى بأنّ «المسيح، العنصر الإلهي، نزل على يسوع يوم عماده في الأردنّ، وفارقه قبل استشهاده»[١٩]، ويقولون أيضاً: «إنّ يسوع هو الذي صُلب عندما ارتفَعَ المسيحُ عنه قبل استشهاده. لقد فارق المسيحُ يسوعَ ابنَ مريم قبل موته على الصليب»[٢٠].

وبعضهم قال: «إنّ المسيحَ يمكنه أن يتحوّل برضاه من صورةٍ إلى صورة. فلهذا ألقى شَبَهَه على سمعان، فصُلب سمعان بدلاً منه، فيما هو ارتفع حياً إلى الذي أرسله، ماكِراً بجميع الذين مكروا، للقبض عليه، لأنّه كان غيرَ منظورٍ للجميع»[٢١]. و«ليس له، بالتالي، صفة الفادي والمخلّص»[٢٢].

---

(١٨) سورة آل عمران ٣/ ٥٤؛ الرعد ١٣/ ٤٢؛ النحل ١٦/ ٢٦...

(١٩) Irénée, *Contre les Hérésies*, 3/3, 4.

(٢٠) *Actes de St. Jean,* 99*; Ev. de St. Pierre.*

(٢١) Irénée, *Contre les Hérésies*, 1/24, 4; Epiphane, *Panarion*, 1/2.

(٢٢) Irénée, *Contre les Hérésies*, 3/ 33; 5/8.

ثانياً ــ تكفير القائلين بألوهيّة عيسى

ثمّة آيات كثيرة في القرآن تكفِّر القائلين بألوهيّة عيسى، وتحكم عليهم بالهلاك الأبديّ؛ آيات تعتبر عيسى عبداً لله، لا «ولداً» ولا «ابناً» ولا «ثالث ثلاثة»، ولا «أقنوماً» إلهياً. نذكر منها:

١. «يَا أهلَ الكتابِ! لا تَغلُوا فِي دينِكُمْ. وَلا تَقولُوا علَى اللهِ إلاَّ الحقَّ.. فآمِنوا باللهِ ورسلهِ. وَلا تقولوا ثلاثة. انْتَهُوا خَيراً لكم. إنَّما اللهُ إلهٌ واحدٌ سبحانَهُ أن يكونَ لهُ وَلَدٌ. لهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ. وكَفَى باللهِ وَكيلاً» (٤/ ١٧١).

٢. «لقد كَفَرَ الذين قَالوا إنّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ. وقال المسيح... إنَّه مَن يُشْرِكْ باللهِ فقد حرَّمَ اللهُ عليه الجنَّة. ومَأواهُ النَّار. وما للظالمين مِنْ أنصار * لقد كَفرَ الذينَ قالُوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة. ومَا مِن إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحد. وإنْ لمْ يَنتَهُوا عمَّا يَقولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفروا منهم عذابٌ أليم. أفلا يَتوبون إلى الله، ويَستغفِرونَه؟ واللهُ غفورٌ رحيم * ما المَسيحُ ابنُ مريم إلاَّ رسولٌ قد خلتْ من قبْلِه الرُّسُل، وأمُّه صدِّيقةٌ كانا يأكُلانِ الطَعام. انظر كيف نبيّن لهم الآيات» (٥/ ٧٢ ــ ٧٥).

٣. «لقد كَفَرَ الذينَ قَالوا إنَّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ. قلْ: فَمَن يملِكُ مِنَ اللهِ شَيئاً إنْ أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّه ومَن في الأرضِ جميعاً» (٥/ ١٧).

٤. «وقَالتِ اليهودُ: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ. وقالتِ النَّصَارى (أي المسيحيّون): المَسِيحُ ابْنُ اللهِ. ذلك قَولُهم بأفْواهِهِمْ (لا مستند لهم

عليه. بل) يُضاهِئُونَ (يشابهون به) قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ (من آبائهم). قاتَلَهُمْ اللهُ أنَّى يُؤْفَكُونَ (يَنصرفون)» (٩/ ٣٠).

***

هذه الآيات وكثير سواها تنكر على المسيح أن يكونَ ابناً لله؛ بل تكفّر الذين يقولون بذلك:

فقال: «مَا كانَ للهِ أنْ يتّخذَ مِنْ ولَدٍ. سُبْحَانَهُ» (١٩/ ٣٥)؛

وقال: «سُبْحَانَهُ أنْ يَكونَ لَهُ ولَد» (٤/ ١٧١)؛

وقال: «إنَّما اللهُ إلهٌ واحدٌ. سبحانَه أنْ يكونَ لَهُ ولَد» (٤/ ١٧١)؛

وقال: «أنَّى يكون له ولَدٌ ولمْ تكنْ له صَاحِبةٌ» (٦/ ١٠١)؛

وقال: «وقَالُوا: اتَّخَذَ اللهُ ولَداً. سُبْحَانَه!» (٢/ ١١٦).

فالمسيح عيسى هو ابن مريم؛ وليس ابن الله، ولا ابنَ أيِّ رجلٍ من البشر. **٢٤** آية تنسب بنوّة المسيح عيسى إلى مريم؛ وتشدّد على هذه النسبة، وتنكر كلّ نسبة إلى الله[٢٣]. و**٢٨** آية تنفي أن يكون للهِ ولد. منها آيات تقصد المسيحيّين الذين اتخذوا المسيح ابناً لله؛ وآيات تقصد اليهود الذين اتّخذوا «عُزَيراً» ابناً لله؛ وآيات تقصد بعض كفّار قريش الذين اتّخذوا «اللاّة والعزّى

---

(٢٣) «المسيح عيسى ابن مريم» و«المسيح ابن مريم»: ٢/ ٨٧ و٢٥٣؛ ٣/ ٤٥؛ ٤/ ٣٦ و١٥٧ و١٧١؛ ٥/ ١٧ (مرّتين) و٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦؛ ٩/ ٣٠ و٣١؛ ١٩/ ٣٤؛ ٢٣/ ٥٠؛ ٢١/ ٩١؛ ٣٣/ ٧؛ ٤٣/ ٥٧؛ ٥٧/ ٢٧؛ ٦١/ ٦ و١٤.

ومناة» آلهة ينتسب بعضهم إلى بعض انتساباً عائلياً؛ وثمّة بعض الوثنيّين اتّخذوا الملائكة بناتاً لله[٢٤].

ويكفّر القرآن جميعَ هؤلاء الذين قالوا إنّ لله بنين وبنات وشركاء وأصحاب وصاحبات. يقول: «وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الجِنِّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقوا لهُ بَنينَ وَبنَاتٍ بِغَيرِ عِلْمٍ. سُبحَانَه وَتَعَالَى عمّا يَصِفُون! بَديعُ السّمَوَاتِ والأرْضِ أنَّى يَكُونُ لهُ وَلَدٌ! ولَمْ تَكُنْ لهُ صَاحِبَةٌ؟! وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَليمٌ» (٦/ ١٠٠ ــ ١٠١).

والله غنيٌّ عن كلّ ولد أو شريك أو صاحبة؛ لأنّ كلّ ما في الأرض والسموات ملكه؛ فلماذا يختصّ بولدٍ أو شريك؟! قال: «قَالُوا: اتّخَذَ اللهُ وَلَداً. سُبْحَانَهُ! هُوَ الغَنِيُّ. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ» (١٠/ ٦٨)[٢٥].

يلاحظ أنّ القرآن ينفي نفياً قاطعاً أن يكون المسيحُ إلهاً أو ابناً لله. إنّما هو نبيّ ورسول كسائر الأنبياء والرسل. ولكنّنا وجدنا لعيسى مميّزاتٍ، من الصفات والألقاب والأسماء والمعجزات، لم تكن لأحدٍ سواه. إنّها مميّزات أقلّ ما يُقال فيها إنّها إلهيّة. فما حقيقة عيسى القرآن إذاً؟ هل هو إله؟ أم نبيّ؟

هذان الموقفان المتناقضان موجودان في القرآن المكّي كما

---

(٢٤) رَاجع: ٦/ ١٠٠؛ ١٦/ ٥٧؛ ٣٧/ ١٤٩ و١٥٣؛ ٤٣/ ١٦؛ ٥٢/ ٣٩.

(٢٥) رَاجع: ١٧/ ١١١؛ ١٨/ ٤ ــ ٦؛ ١٩/ ٨٨ ــ ٩٥؛ ٢١/ ٢٦؛ ٢٣/ ٩١ ــ ٩٢؛ ٢٥/ ٢؛ ٣٩/ ٤؛ ٤٣/ ٨١؛ ٧٢/ ٣ ــ ٤؛ ١١٢/ ١ ــ ٤.

في القرآن المدني.

لا نقول، في موضوع هويّة عيسى، إنّ القرآن المدني «نسخ» القرآن المكّي، كما هو الحال في سائر الموضوعات. بل إنّ مسيحَ القرآن، المكّي والمدني، نبيٌّ، مثله مثل مسيح النصارى، يتميّز بصفات وألقاب وأسماء وأفعال إلهيّة؛ ولكنّ هذه الصفات والألقاب «مفرَّغة» من مضمونها الإلهي، ولا تُعطيه هويّةً إلهيّة.

لهذا، فإذا كنّا نتأكّد من هويّة عيسى النبويّة؛ فإنّنا نتأرجح، بل نحار، في معاني تلك الأسماء والألقاب والصفات والمعجزات التي تكلّمنا عليها في الفصل السابق. هذه الألقاب والأسماء والصفات، كما قلنا، لها مضمون مسيحيّ لاهوتيّ عظيم؛ ولكنّ مضمونها الإسلامي لا يخوّلنا القيام بتقاربٍ بين المسيحيّة والإسلام، كما يفعل معظم الباحثين في الإسلام.

ولهذا نقول أيضاً بأنَّ مسيحَ المسلمين هو دون مسيح القرآن، من حيث هويّته الحقيقيّة المتّصفة بمعظم الصفات الإلهية.

ثالثاً ــ هويّة مسيح القرآن الحقيقيّة

هذه الهويّة الحقيقيّة نأخذها من بعض أقوال القرآن وتفاسير المفسّرين المسلمين عليها. فالنّصارى الذين يقولون بأنَّ «المَسِيح ابْن اللهِ»، هم، بحسب القرآن كفّار ومشركون. وربّما يُعتبرون أكثر كفراً من عابدي الأوثان:

«قالتِ النَّصارى: المَسِيحُ ابْنُ اللهِ. ذلك قَولُهم بأفْوَاهِهِمْ، يُضاهِئُونَ (يشابهون به) قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبْلُ. قاتَلَهُمْ اللهُ انَّى يُؤْفَكُون» (٩/ ٣٠).

يقول **الرازي** معلَّقاً على هذا القول: «إنّ كفْرَ عابِدِ الوثَن أخفُّ من كفْر النصارى، لأنّ عابدَ الوثن لا يقول إنّ هذا الوثن خالق العالم وإله العالم، بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسّل به إلى طاعة الله؛ أمّا النّصارى فإنّهم يُثبتون الحلولَ والاتّحادَ. وذلك كفْرٌ قبيحٌ جدّاً. فثبت أنّه لا فرق بين هؤلاء الحلوليّة وبين سائر المشركين».

وقال أيضاً: «الأقرب عندي أن يقال: لعلّه ورد لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل في حقّ إبراهيم على سبيل التشريف».

ويردّد **أبو حيّان الأندلسي** الشيء نفسه فيقول: «لا فرق بين مَن يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره؛ لأنّ الشرك هو أن يُتّخذ مع الله معبوداً. بل عابد الوثن أخفُّ كفراً من النصراني، لأنّه لا يعتقد أنّ الوثن خالق العالم. والنصراني يقول بالحلول والاتّحاد».

وقال **محمد عبدو**: «كيف يصرفون عن حقيقة التوحيد والتنزيه للخالق، وهو الذي تجزم به العقول، والذي بلّغه عن الله كلُّ رسول.. ويقولون هذا القول الذي لا يقبله عقل، ولم يصحّ به نقْل؟ فأينَ عُزير والمسيح من ربّ العالمين، الخالق لهذا الكون

العظيم، الذي وصل من عجائب سعته إلى علم البشر القليل؟! إنّ بعض شموسِهِ لا يصل نورُها إلى الأرض إلاّ بعد قطْع الملايين من السنين النوريّة. فهل يليق بعاقلٍ من هذه الدواب التي تعيش على هذه الذرّة الصغيرة منه، وهي الأرض، أن يجعل لخالقه كلّه، ومدبّر أمره، ولداً وعائلةً من جنسه؟! وأن يرتقي به الغرورُ إلى أن يجعل واحداً منهم هو الخالق له والمدبِّر لأمره، مع العلم بأنّه وُلد من امرأةٍ، وكان يأكل ويشرب ويتعب ويتألّم!.. إلخ.».

ويقول **سيّد قطب**: «في هذه الآية يبيّن السياق القرآني ضلالَ عقيدة أهل الكتاب؛ وأنّها تضاهِئ (أي تشابه) عقيدة المشركين من العرب، والوثنيّين من قدامى الرومان وغيرهم. وأنّهم لم يستقيموا على العقيدة الصحيحة التي جاءتْهم بها كتبُهم. فلا عبرة، إذن، بأنّهم أهل كتاب، هم يخالفون في الاعتقاد الأصلَ الذي تقوم عليه العقيدة الصحيحة في كتبهم».

فعلى مثل هذا القول قام واجبُ قتالِ المسلمين للنصارى. «وإنْ يكن القصد من القتال ليس هو إكراههم على الإسلام، وإنّما هو كسر شوكتهم التي يقفون بها في وجه الإسلام، واستسلامهم لسلطانه ليتحرّر الأفراد، في ظلّ هذا الاستسلام، من التأثّر بالضغوط التي تقيِّد إرادتهم في اختيار دين الحقّ من غير إكراه».

ويعتبر **محمّد حسين فضل الله** قولَ «النَّصَارَى: المَسِيحُ ابْنُ الله» بسبب ما شاهدوه من الخوارق للعادة في معجزاته، فلم يعتبروها مظهراً للُّطف المرتبط بحركة الرسالة في مواجهة

التحدّي؛ بل اعتبروها امتيازاً ذاتياً يستمدّ قوَّتَه ومعناه من العلاقة العضويّة بالله، بالمعنى الجسدي، على بعض المعاني، وبالمعنى الروحي على البعض الآخر».

أمّا تفاسير المفسِّرين على ما ورد في سورة المائدة: «لَقَدْ كَفَرَ الّذينَ قَالُوا إنّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَرْيَمَ. قُلْ: فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيَئاً إنْ أرَادَ أنْ يُهْلِكَ المسيحَ ابنَ مَرْيَمَ وأمَّهُ، وَمَنْ في الأرْضِ جَميعاً. وللهِ مُلْكُ السّمَواتِ والأرْضِ وما بَينَهُما. يَخْلُقُ ما يَشاءُ. واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ» (٥/ ١٧)، فكما يلي:

يقول **الطبري** في قول النصارى: «إنّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ابنُ مَرْيَمَ»: هذا ذمّ من الله للنصارى الذين ضلّوا عن سبل السلام، واحتجاج منه لنبيّه محمّد في فريتهم عليه بادّعائهم له ولداً.

«قُلْ» (يا محمّد للنصارى الذين افتروا عليّ وضلّوا عن سواء السبيل بقيلهم أنّ الله هو المسيح ابن مريم): «فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيَئاً» (أي: مَن الذي يطيق أن يدفع من أمر الله شيئاً فيردّه إذا قضاه)، «إنْ أرَادَ أنْ يُهْلِكَ المسيحَ ابنَ مَريَمَ وأُمَّهُ، وَمَنْ في الأرضِ جَميعاً» (أي: من ذا الذي يقدر أن يردّ من أمر الله شيئاً إنْ شاء أن يهلك المسيح ابن مريم بإعدامه من الأرض، وإعدام أمّه مريم، وإعدام جميع من في الأرض من الخلق جميعاً. قل لهؤلاء الجهلة من النصارى: لو كان المسيح، كما يزعمون، هو الله، وليس كذلك، لقدر أن يردّ أمر الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمّه. وقد أهلكَ أمّه فلم يقدر على دفع أمره فيها إذ نزل ذلك...

«وَلله مُلْكُ السَمَواتِ وَالأرْضِ وَمَا بَينَهُما». يعني: والله له تصريف ما في السموات والأرض وما بينهما. يُهلك من يشاء من ذلك ويُبقي ما يشاء منه، ويُوجد ما أراد ويُعدم ما أحبّ. لا يمنعه من شيء أراد من ذلك مانع، ولا يدفعه عنه دافع. يُنفذ فيهم حكمَه ويُمضي فيهم قضاءَه. لا المسيح الذي إنْ أراد ربُّه إهلاكَه وإهلاكَ أمّه، لم يملك دفع ما أراد به ربّه من ذلك.

يقول جلّ وعزّ: كيف يكون إلهاً يُعبَد مَن كان عاجزاً عن دفع ما أراد به غيرُه من السوء، وغيرَ قادر على صرف ما نزل به من الهلاك؟! بل الإله المعبود هو الذي له ملك كلّ شيء، وبيده تصريف كلّ من في السماء والأرض وما بينهما.

«يَخلُقُ ما يَشاءُ» (أي: ينشئ ما يشاء، ويوجده، ويخرجه من حال العدم إلى حال الوجود. ولن يقدر على ذلك غير الله الواحد القهّار... فليس ذلك لأحد سواي. فكيف زعمتم، أيّها الكذبة، أنّ المسيح إله، وهو لا يطيق شيئاً من ذلك؛ بل لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه، ولا عن أمّه، ولا اجتلاب نفع إليها إلاّ بإذني؟!).

«وَاللهُ علَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ» (أي: الله المعبود هو القادر على كلّ شيء، والمالك كلّ شيء الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يغلبه شيء طلبه، المقتدر على هلاك المسيح وأمّه ومَن في الأرض جميعاً، لا العاجز عن منع نفسه مِن ضرٍّ، ولا منع أمّه من الهلاك».

ويعلّق **الألوسي** على قول النصارى: «إنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ابْنُ مريَمَ» فيقول: «إنّ أحداً لم يقل: الله تعالى هو المسيح، وإنْ قالوا:

المسيح هو الله تعالى.. يصح أن يقال: الإنسان هو حيوان. ولا يصحّ أن يقال: الحيوان هو الإنسان... غير أنّك تستطيع أن تقول: الكريم زيد، أي حقيقة الكرم في زيد. وعلى هذا قولهم: إنّ الله تعالى هو المسيح».

ويقول **محمّد عبده** في قول النصارى: «إنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ ابْنُ مريَمَ: «يوجد الآن في نصارى أوربّة، وغيرهم كثير من الموحِّدين، الذين يعتقدون أنّ المسيح نبيّ رسول لا إله. ولعلّه لم يبقَ في النصارى من يقول بتلك الفلسفة (التثليث)، لأنّهم، في كلّ عصر، يغيّرون في دينهم ما شاؤوا أن يغيّروا في فلسفته.

«وكان أكبر تغيير حدث بعد هؤلاء المفسّرين مذهب «البروتستانت»، أي إصلاح النصرانيّة. حدث منذ أربع قرون، وصار هو السائد في أعظم الأمم مدنيّةً وارتقاءً، كالولايات المتّحدة، وانكلترّة، وألمانية. نسَفَ هذا المذهبُ أكثرَ التقاليد والخرافات النصرانيّة التي كانت قبله، ثمّ استبدل بها تقاليدَ أخرى، فصار عدّةَ مذاهب. ومع هذا، زعموا أنّهم أعادوا النصرانيّة إلى أصلها، لم يستطيعوا أن يُرجعوها إلى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح وسائر أنبياء بني إسرائيل ورسل الله أجمعين... فجميع فرق نصارى هذا العصر تقول إنّ الله هو المسيح ابن مريم، وأنّ المسيح ابن مريم هو الله. تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً».

ويقول **محمّد حسين فضل الله:** «ليس الكفر ــ في مفهوم القرآن ــ أن تُنكر وجودَ الله كمبدأ فحسب، بل قد تحقّق بالانحراف

في التصوّر، كمن يؤمن بوجود الله، ولكنّه يعتقد تجسّده في شخصيّة بشر؛ لأنّ الصورة التي في ذهنه ليست هي الله. بل غيره، فيكون الإيمان بها إيماناً بغير الله حقيقية.. مثل هذا الاتّجاه في تصوّر الله ــ كجسم ــ يشبه أن يكون كفراً، أو هو الكفر بعينه. وعلى هذا الأساس، أطلق القرآن على النصارى الذين قالوا: «إنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» صفةَ الكفّار، مهما كانت الأساليب التي اتّبعوها في صياغة هذه العقيدة.

«ثمّ ناقشهم ببساطة الفكر وعفويّته: فإذا كان المسيح هو الله، فكيف عجز عن الدفاع عن نفسه؟!. والمسيح لم يستطع دفْعَ الموت عن نفسه وعن أمِّه عندما أراد اللهُ إهلاكَه، ــ على فرْض أنّه مات كما يعتقد النصارى ــ وبذلك لم يعد هناك أيّ فرْق بينه وبين كلّ مَن في الأرض الذين يموتون بإرادة الله من دون أن يتمكّنوا من الدفاع عن أنفسهم، مهما كانت وسائل الدفاع التي يملكونها، وليس ذلك إلاّ انطلاقاً من الحقيقة التي تؤكّد أنّ لله ملْكَ السموات والأرض وما بينهما، فكلّ ما فيهما، ومَن فيهما، ملْكٌ لله، فكيف يمكن أن يدفعوا عن أنفسهم قدَرَ الله وقضاءَه؟ فهو الذي يخلق ما يشاء ويتصرّف في خلقه بما يشاء، من خلال القدرة المطلقة على كلّ شيء، مهما كان كبيراً وعظيماً.

«ثمّ إنّ الله لا يمكن أن يتجسّد في أيّ بشرٍ مهما كانت صفته؛ لأنّه مخلوقٌ لله، خاضعٌ لما يخضع له أيّ مخلوق في نقاط ضعفه، ممّا يمتنع عليه في ذاته أن يتّصف بصفات الألوهيّة..

«ولمّا كانت هذه العقيدة بعيدةً عن معنى الله في وحدانيّته ذاته بحيث لا تقبل التجسّد والتماثل في أيّ مخلوقٍ أو أي بشرٍ، اعتبرها القرآن كفراً وجحوداً بالحقيقة الإلهيّة، تماماً كما لو كانت المسألة الاعتقاد بإله غير الله، لأنّ للتصوّر دوره في تأصيل فكرة الله في وجدان المؤمن..

«وربّما كان انتماء المسيح إلى مريم في الحديث عن الموضوع، بعض الإشارة إلى أنّ هذه البنوّة والأمومة تعني خضوعه لما يخضع له المخلوق من مرحلة الجنينيّة في الحمل ومرحلة الولادة وما يستتبع ذلك من حاجته إلى النموّ واستقراره في محيط صغير وهو الرحم، وتعرّضه للتحوّلات التي ينتقل بها من حالةٍ إلى حالة، وللحاجات الجسديّة الطبيعيّة، كالغذاء ونحوه، ممّا لا يتناسب مع معنى الألوهيّة، فكيف تلتقي مع القول بأنّه هو اللّه؟».

***

ويبقى علينا أن نعرف حقيقة هويّة المسيح عند الكتّاب المسلمين، القدماء منهم والمعاصرين؛ لأنّ الهويّة الحقيقيّة ليست كما يريد المسيحيّون فهمها، بل كما يفهمها المسلمون أنفسهم. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

الفصل السادس
هوية مسيح المسلمين

مقدّمة

قال **الجاحظ:** «لو جهدتَ بكلِّ جهدك، وجمعتَ كلَّ عقلك، أن تفهم قولهم (النصارى) في المسيح لما قدرتَ عليه.. وكيف تقدر على ذلك وأنت، لو خلوتَ ونصراني نسطوري، فسألتَه عن قولهم في المسيح لقال قولاً، ثم إنْ خلوتَ بأخيه لأمِّه وأبيه، وهو نسطوري مثله، فسألتَه عن قولهم في المسيح، لأتاكَ بخلاف قولِ أخيه وضدِّه. وكذلك جميع الملكانيّة واليعقوبيّة»[١].

وبالمعنى نفسه قال **شيخ الإسلام ابن تيميّة:** إنّ النّصارى «لا تجدهم يتّفقون على قولٍ واحدٍ في معبودهم، حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى، افترقوا على أحد عشر قولاً»[٢].

وبعد هذا، لنعد إلى البداية، ونتناول ردودَ المسلمين على النصارى، بحسب تسلسلهم الزمني، في موضوع ألوهيّة المسيح،

---

(١) **ردّ الجاحظ**، ٢٢.

(٢) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ١/ ٢٥٤.

واتّحاد طبيعتَيه الإلهيّة والإنسانيّة، وبنوّته لله. هذه الردود كلّها كانت في سبيل إظهار عقيدة المسلمين في المسيح عيسى، ألا وهي نبوّته ورسالته، إذ هو نبيّ ورسول. جاء خاتمة لأنبياء بني إسرائيل ورسلهم، كما جاء محمّد خاتمة لجميع أنبياء الله ورسله على الأرض.

***

فـ **علي بن ربَّن الطبري** (ت ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م)، وهو نصرانيّ أسلم[٣]، يسأل النصارى: «كيف يكون الله واحداً، ثم يكون المسيح إلهاً!». وكيف يحلّ اللهُ في المكان والزمان، وهو خالقهما، وهما محيطان به؟! وكيف يكون إلهاً وهو لا يعرف ذلك اليوم وتلك الساعة؟! وكيف يكون إلهاً خالقاً أزلياً، وقد قصّ شعرَه، وقلّم أظافره، وذهب طولاً وعرضاً؟! وكيف يكون إلهاً، وهو، كما يقول الإنجيلُ عنه: «أكل وشرب، وقام ونام وجاع، وغاط وبال، وذهب وهرب من الموت، وسهر وعرق عرَقاً كمثل عبيط الدم»؟!.

«وإنّ مِن عجب العجب اضطرارُ الخالق الأزلي إلى أن أَنزَل ابنَه الأزلي من السماء، ثم يُرسله إلى الشيطان على يدي روحِه الإلهيّة القاهرة ليمتحنه الشيطان، ويُهينه. ومَن ذا الذي أوجب عليه

---

(٣) له: **الردّ على النّصارى**؛ نُشر في بيروت سنة ١٩٥٩ بدون تحقيق. من ٣٠ ص. وله أيضاً: **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبي محمّد**، حقّقه وقدّم له عادل نويهض، بيروت، ١٩٧٧؛ ٢٤٠ ص.

ذلك!؟.. وما أحسبتُ أنَّ هاجٍ هجا اللهَ تباركَ وتعالى مُذ قامتِ الدنيا، ولا مدَح الشيطانَ مادحٌ أكثر ممّا يقوله النصارى... وما أراد النصارى بذلك إلاّ أنهم زادوا الشيطانَ تمرّداً».

ثمّ ينكر علي بن ربّن الطبري أن يكون المسيح إلهاً بسبب إتيانه الآيات والمعجزات، فيقول:

«إنْ قلتمْ إنّكمْ جعلتموه إلهاً لإحيائه موتى فها النبيّ إليشع أحيا في حياته ميتاً، وبعدَ وفاته ميتاً آخر؛ وأحيا إيليا أيضاً ميتاً.

«وإنْ قلتمْ إنّ المسيح أطعم من أرغفة آلافاً من الناس، فهذا نبيُّ الله وكليمُه موسى سأل الله فأطعم قومَه أربعين سنة المنّ والسلوى؛ وباركَ إيليّا في دقيق العجوز ودهْنِها فلم ينفذْ ما في جرّتِها من الدقيق، ولا ما في قارورتها من الدهن سَبعَ سنين، وسألَ اللهَ أن يحبس المطر سبعَ سنين.

«إنْ كان المسيح صاح بالبحر فسكنتْ أمواجُه، فقد ضرب موسى بعصاه البحر ففرقه وعبَرَ قرارَه خلقٌ من بني إسرائيل كثير، ثمّ فجّر من الصخر اثنتي عشرة عيناً، لكلِّ سبطٍ من بني إسرائيل عين، وضرب أهلَ مصر بعشر آيات من العذاب.

ثمّ «إنْ جعلتموه إلهاً لأنّه صعد إلى السماء فهذا أخنوخ وإيليّا صعدا إلى السماء، وهما فيها حيّان مكرّمان إلى الآن».

أمّا **الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي (ت ٢٤٦/ ٨٦٠)** فيرفض بنوّةَ المسيح لله ويقول عن رفض ألوهيّة

المسيح بالحجج العقليّة: «الابن فرعٌ من أصل. وهما شبيهان في الذات. ولا يكون واحداً مَن كان له ولدٌ أبداً. ولا يكون أزليّاً من كان والداً أو أباً، لأنّ الابنَ ليس لأبيه بربّ. وكذلك الربّ فليس لمربوب بأب.. لأنّ الربوبيّة لا تمكن أبداً إلاّ لواحدٍ ليس بأصل لشيء، ولا ولد، ولا والد»[٤].

ويسأل **أبو عثمان الجاحظ** (ت ٢٥٥/ ٨٦٩)[٥] في نفيه بنوّة عيسى لله: «إذا كان تعالى قد اتّخذ عبداً من عباده خليلاً، فهل يجوز أن يتّخذ عبداً من عباده ولداً، يريد بذلك إظهار رحمته ومحبّته إيّاه؟» (ص ٧٢).

ثمّ يقول أيضاً: «إنّا لا نجيز أن يكون لله ولد، لا من جهة الولادة، ولا من جهة التبنّي. ونرى أنّ تجويز ذلك جهلٌ عظيم، وإثمٌ كبير، لأنّه، لو جاز أن يكون (اللهُ) أبا يعقوب، لجاز أن يكون جَدّاً ليوسف!! ولو جاز أن يكون جدّاً وأباً.. لجاز أيضاً أن يكون عمّاً وخالاً!! لأنّه، إنْ جاز أن نسمّيه ــ من أجل الرحمة والمحبّة والتأديب ــ أباً، جاز أن يسمّيه آخر ــ من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد ــ أخاً، ولجاز أن يجد له صاحباً وصديقاً. وهذا ما لا يجوّزه إلاّ مَن لا يعرف عظمةَ الله وصغرَ قدْر الإنسان..

«وبعد، فلا يخلو المولى في رفع عبدِه وإكرامه من أحد أمرين: إمّا أن يكون لا يقدر على كرامته إلاّ بهوان نفسه، أو يكون

---

(٤) من أركان الزيديّة، له، **الردّ على النصارى**، ص ٢٢ ــ ٢٣؛ قارن **بردّ الطبري**، ٣٥.

(٥) **ردّ الجاحظ على النصارى** نشره الشرقاوي، دار الجيل بيروت، ١٩٩٩؛ ٩٦ ص..

على ذلك قادراً مع وفارة العظمة وتمام البهاء. وإنْ كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلاّ بأن ينقص من قدر نفسه فهذا هو العجز.. وإنْ كان على ذلك قادراً، فآثر ابتذال نفسه، والحطَّ من شرفه، فهذا هو الجهل. والوجهان على الله جلّ جلاله منفيّان» (ص ٧٣ ــ ٧٤).

وفي رفضه نسبةَ عيسى إلى الله بالبنوّة، يقول: «إنّ إنساناً، لو رحم جروَ كلبٍ فربّاه، لم يَجُزْ أن يسمِّيَه ولداً، ويسمِّي نفسَه له أباً. ولو التقط صبيّاً فربّاه، جاز أن يسمِّيَه ولداً، ويسمِّي نفسَه له أباً، لأنّه شبيه ولده. وقد يولد لمثله مثله. وليس بين الكلاب والبشر أرحام. فإذا كان شبهُ الإنسان أبعدَ من الله تعالى من شبهِ الجرو بالإنسان، كان الله أحقّ بأن لا يجعله ولدَه، وينسبه إلى نفسه... العبد الصالح لا يشبه الله في وجه من الوجوه، والكلب قد يشبه كلاّبَه لوجوه كثيرة» (ص ٧٩ ــ ٨٠).

وفي قول النّصارى بألوهيّة عيسى، بسبب أنّه «وُلد بدون أب»، يقول الجاحظ: «إنْ كان المسيح إنّما صار ابن الله لأنّ الله خلقه من غير ذكر، فآدم وحواء، إذاً، كانا من غير ذكر وأنثى، أحقّ بذلك، إنْ كانت العلّة في اتّخاذه ولداً أنّه خلقه من غير ذكر. وإنْ كان ذلك لمكان التربية، فهل ربّاه إلاّ كما ربّى موسى وداود وجميع الأنبياء؟! وهل تأويل ربّاه إلاّ غذّاه ورزقه وأطعمه وسقاه؟! فقد فعل ذلك بجميع الناس... والأعجوبة في آدم أبدع، وتربيته أكرم، ومنقلبه أعلى وأشرف، إذ كانت السماءُ دارَه، والجنّةُ منزلَه، والملائكةُ خدّامَه» (ص ٨٢ ــ ٨٣).

أمّا **الناشئ الأكبر** (ت ٢٩٣/ ٩٠٦).. فيقول في موضوع بنوّة المسيح لله: «فاسدٌ في العقل أن يستحيلَ البارئ الأزلي فيصير محدَثاً، لم يكنْ فكان. ويستحيل المحدَث الزمني فيصير أزليّاً لم يحدث»[٦].

ويخشى **أبو عيسى الورّاق** (ت ٢٩٧/ ٩١٠) أن يكون النصارى، بقولهم بألوهيّة عيسى، قد وقعوا في الشرك. يقول: «وإنْ زعموا أنّ الاتّحاد فعلٌ للكلمة دون الأب ودون الروح أثبتوا للابن فعلاً غير فعل الأب وغير فعل الروح، وخصّوه بصنعٍ صنَعَه لم يصنعْه الأب ولا الروح. وإذا جاز أن ينفرد واحد منها بفعل دون باقيها جاز ذلك في كلّ واحد من الأقنومَين الآخرين. وإذا جاز ذلك جاز أن ينفرد كلٌّ واحد منها بتدبيرِ عالَمٍ دون صاحبَيه، وبخلقِ بريّةٍ دون صاحبيه»[٧].

ويقول **أبو منصور الماتريدي** (ت ٣٣٣/ ٩٤٤) برفضه لألوهيّة المسيح في أمرين: «أحدهما: الربوبيّة. لم يدّع عيسى لنفسه سوى العبوديّة والرسالة. فالقول له بالإلهيّ قولٌ لا معنى له. مع ما لو جاز ذلك لجاز لكلٍّ من البشر.. والثاني: أن يكون ابنَه.

---

(٦) شاعر ومتكلّم معتزلي. له: **الكتاب الأوسط في المقالات**. أحتفظ لنا منها الكاتب النصراني ابن العسّال (ت ١٢٦٠ م) بمقتطفات. نشرها المستشرق يوسف فان إس J.Van Ess في بيروت سنة ١٩٧١ مع كتابه «**مسائل الإمامة**»، ص ٨٣. عن الشرفي، ص ٣٤٥ ــ ٣٤٦.

(٧) من مشاهير المتكلّمين والفلاسفة. ابتدأ إعتزاليّاً وانتهى زنديقاً مانويّاً ملحداً. له: كتاب **الردّ على النصارى لكبير** ٢/ ١. قارن بـ **التمهيد**، ٩٣.

وذلك محال فاسد لغنى الربّ عن أن تمسَّه الحاجة، أو تغلبَه الشهوة، أو تعتريه الوحشة»[٨].

وينكر **الحسن بن أيّوب** (ت ٣٧٨/ ٩٨٨)[٩] ألوهيّة المسيح قائلاً: «يجب على ذوي العقول أن تزجرهم عقولُهم عن عبادة إلهٍ ولدتْه مريم، وهي امرأةٌ آدميّة. ثم مكث على الأرض ثلاثين سنة تجري عليه أحكام الآدميّين من غذاء وتربية، وصحّة وسقم، وخوف وأمن، وتعلّم وتعليم.. وحبس وضرب وقذف وصلْبٍ وقتل. فهل تقبل العقولُ ما يقولون من أنّ إلهاً نال عبادُه منه مثلَ ما تذكرون أنّه نيل منه؟» (٢/ ٣٣١).

ثمّ يتساءل متعجِّباً عن كيفيّة ألوهيّة المسيح، ويقول: «إنْ كان المسيح هو الأزلي الخالق، أو كان متّحداً به، فكيف لم ترجفْ بين يديه الجبال، ولم تتصرّف بمشيئته الأنهار والبحار؟ أو كيف لم تظهر منه آيات باهرات أجلّ من آيات الأنبياء قبله، مثل المشي على متون الهواء، والاضطجاع على أكناف الرياح، والاستغناء عن المآكل والمشارب، وإحراق مَن قَرُبَ منه من الشياطين والجنّ..، ويمنع الآدميّين من نفسه!!!» (٢/ ٣٣٦).

---

(٨) مؤسّس مدرسة عرفت باسمه. نازعت الأشعريّة في الانتساب إلى أهل السنّة. سلكت منهجاً وسطاً بين العقل والنقل. له: **كتاب التوحيد**، ص ٢١٣ ــ ٢١٤. عن الشرفي، ص ٣٤٥.

(٩) هو مسيحي أسلم. له: **رسالة إلى أخيه عليّ**، في ٤٩ صفحة في كتاب "**الجواب الصحيح**"، لابن تيميّة (٢/ ٣٢٣ ــ ٣٧٢). يذكر فيها سببَ إسلامه.

ثمّ يقول: «وما يشهد بصحّة عبوديّة المسيح أنّ متّى التلميذ، حين بنى كتابه، أوّل ما ابتدأ به أن قال: "كتاب مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم"، فنسّبه إلى مَن كان منه على الصحّة، ولم يقل إنّه ابن الله، ولا إنّه من إله» (٢/ ٣٦٠).

ويعلّق ابن أيّوب على تجارب الشيطان للمسيح، فيقول: «أفلا يعلم مَن كان في عقله مسكة أنّ هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إله! ولو كان (المسيح) إلهاً لأزاله عن نفسه قبل أن يأتيه المَلَك من عند ربّه، ولما قال: "أمرنا أن لا نجرّب الله وأن نسجد للرب ولا نعبد شيئاً سواه". وكيف لم يَربط الشيطانَ عن نفسه قبل أن يربطه عن أمّته؟» (٢/ ٣٣٤ ــ ٣٣٥).

ويقول في رفض ألوهيّة المسيح بالحجج العقليّة: «قالوا: إنّ المسيح ولد من أبيه قبل العوالم، وليس بمصنوع؛ فليس يخلو الأبُ من أن يكون أولد شيئاً موجوداً أو غير موجود. فإنْ كان لم يزل موجوداً فإنّ الأب لم يلد شيئاً. وإنْ كان غير موجود وإنّما هو حادث لم يكن، فهو مخلوق» (٢/ ٣٦١).

ويسأل **القاضي أبو بكر الباقلاني** (ت ٤٠٣/ ١٠١٢) النصارى عن معنى الاتّحاد بين الكلمة التي هي الابن وجسد المسيح: «خبّرونا كيف اتّحدت الكلمة التي هي الابن بجسد المسيح دون الأب والروح، مع قولكم بأنّه غيرُ مباينٍ لهما، ولا منفصل عنهما؟ (ص ٩٤)[١٠].

---

(١٠) **كتاب التمهيد**، الباب الثامن، ص ٧٥ ــ ١٠٣؛ **تثبيت دلائل النبوّة**، ١٦٦.

«ثمّ خبّرونا كيف ولدتْ مريمُ الابنَ دون الأبِ وروحِ القدس، وهو غير مباينٍ لهما، ولا منفصلٍ عنهما. فيكون المتَّحِد بالجسد حملاً في بطن مريم، والأب والرّوح والجوهر الجامع للأقانيم لا في بطن مريم. وهما مع ذلك غير متابينَين ولا منفصلَين ممّا هو حالّ في الجسد في بطن مريم؟! فما لا ينفصل ولا يتميّز بالذات، كيف يكون منه مولود ومنه غير مولود، ومنه متَّحِد ومنه غير متَّحِد، لولا الجهل والعجز؟

ويأخذ **القاضي عبد الجبّار** (ت ٤١٥/ ١٠٢٤)[١١] على النصارى تفسيرهم "كلمة الله" التي يطلقونها على المسيح، فيقول: «وأمّا تسميتهم له بأنّه "كلمة الله" فلا تصحّ في الحقيقة، لأنّ الكلام، على الحقيقة، هو الحروف المنظومة، وعيسى هو جسم. فلا يصحّ كونه كلاماً، وإنّما قيل فيه إنّه "كلمة الله" من حيثُ يُهتدَى به وبدعائه»[١٢].

ويأخذ عليهم أيضاً تفسيرهم "روح الله"، فيقول: «إنّما سُمّي عيسى "روحاً" على حسب ما سمّي جبريل روح الله وروح القدس، وعلى حسب ما سمّى جلّ وعزّ القرآنَ بذلك.. ولم يوجب

---

(١١) له: **المغني في أبواب التوحيد والعدل**. الجزء الخامس: الفِرَق غير الإسلاميّة. في حوالي ٧٠ صفحة عن النصارى. وله أيضاً: **شرح الأصول الخمسة، وتثبيت دلائل النبوّة**، حيث «ركّز على فكرة أساسيّة عنده، وهي أنّ دين النصارى مخالف لدين المسيح في الأصول والفروع معاً. فهم، في نظره، أعداء المسيح من حيث لا يشعرون».

(١٢) **المغني**، ٥/ ١١٢.

ذلك القول بأنّ جبريل، أو القرآن، أبناء الله. فكذلك لا يجب مثله في المسيح»[١٣].

ثمّ يعلّق مستهزئاً بما عمله الشيطان بعيسى: «هل سمعتَ بشيطانٍ يأسر إلهَه ويحصره وينقله من مكانٍ إلى مكان، ويطمع في إلهه أن يستعبده؟ والشيطان لا يقدر أن يأخذ حمار اليهودي، وعند النصارى أنّه قد أخذ ربّه إلى أن جاء المَلَك فخلّصه وفكّ أسره!!»[١٤].

أمّا **ابن حزم الأندلسي** (ت ٤٥٧/ ١٠٨٤)[١٥] فيأخذ على النصارى إيمانَهم باتّحاد اللاّهوت بالنّاسوت في المسيح، ويسألهم: «أخبرونا: أتعبدون الطبيعتَين معاً، أم تعبدون إحداهما دون الأخرى؟ فإن قالوا: نعبدهما جميعاً، أَقَرّوا بأنّهم يعبدون إنساناً مخلوقاً مع الله تعالى. وهذا أقبح ما يكون من الشرك. وإنْ قالوا: بل نعبد اللاّهوت وحده، قيل لهم: فإنّما تعبدون نصف المسيح لا كلّه، لأنّه طبيعتان ولستم تعبدون إلاّ إحداهما.

ثمّ يقول: يقول النّصارى: المسيح «ربّ خالق. وفي الإنجيل أنّه جاع وأكل الخبز والحيتان، وعرق، وضُرب، ولُطم وصلب. وكفى بهذا رذلة وفحش قول وبيان بطلان» (١/ ٦٢).

---

(١٣) **المغني**، ٥/ ١١٣.

(١٤) **تثبيت دلائل النبوّة**، ١٦٦.

(١٥) **الفِصل في الملل والأهواء والنحل**. خمسة أجزاء. ما يعود إلى النصارى موجود في الجزء الأوّل، ص ٤٨ ــ ٦٥؛ ٩٨ ــ ١١٧؛ وفي الثاني ٢ ــ ٩١.

ويقول **أبو حامد الغزالي** (ت ٥٠٥/ ١١١١) في إنكار ألوهيّة المسيح، مستنداً إلى نصوص الإنجيل[١٦]:

«النص الأوّل ذكره يوحنا: "أنا والأب واحد". يقول الغزالي: «إنّ ذلك من قبيل المجاز؛ وذلك كما قال: "إنّكم آلهة". ولستم آلهة حقيقة؛ وإنّما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنىً، وهو: صيرورة الكلمة إليكم. وأنا قد شاركتكم في ذلك» (ص ١٠٢).

«النص الثاني نصّ عليه يوحنا المذكور في إنجيله: "أيّها الأب القدوس! احفظهم باسمك الذي أعطيتني، ليكونوا معك واحداً، كما نحن". «أي: تكون تلك الوحدة (بين الله والتلاميذ) كوحدتي معك. فإنْ تكن وحدته مع الإله موجبةً له استحقاقَ الإلهيّة، فيلزم أن يكون داعياً لتلامذته، أن يكونوا آلهة... وهذا محمول على المجاز. ثمّ هو، في قوله: "احفظهم باسمك"، يكون داعياً لهم الإله الذي بيده النّفعُ والضَرُّ. ولو كان نفسُه إلهاً، لكان قادراً على حفظهم من غير أن يتضرّع لغيره، ويسألَه الحفظ».

«النّص الثالث قوله: "قدّسْهم بحقك. فإنّ كلمتَك خاصّة هي الحقّ... ليكونوا بأجمعهم واحداً كما نحن واحد". يريد: أنّ وحدتَه معه ليست مقتضيةً لإلهيّته. وإلاّ لزم أن تكون وحدتهم مع الإله الذي سأله أن يكونوا معه واحداً، كذلك».

---

(١٦) **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل**، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمّد عبد الله الشرقاوي؛ دار الجيل بيروت، ومكتبة الزهراء القاهرة، ط ٣، ١٩٩٠؛ ١٨٤ ص.

«النّص الرابع ذكره مرقس: "فأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعرفها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلاّ الأب وحده". يقول الغزالي: «صرّح في هذا النّص بالإنسانيّة المحضة نافياً عنه العلم المختصّ بالإله. وهذا من أوضح الأدلّة على إنسانيّته.

«النّص الخامس ذكره يوحنا: "وهذه حياة الأبد، أن يعرفوك أنّك الإله الحقّ وحدك. والذي أرسلته يسوعَ المسيح". هذا النّص. بحسب الغزالي، صرّح للإله بالإلهيّة والوحدانيّة؛ وصرّح لنفسه بالرسالة... ومعلومٌ أنّ المرسِل غيرُ المرسَل».

النّص السادس ذكره يوحنّا في قوله: "وأنا إنسان كلّمتُكم بالحقِّ الذي سمعتُه من الله". يقول الغزالي: «صرّح في هذا النّص بالإنسانيّة بقوله: "إنسان كلمتكم بالحقّ. أي: أنا إنسان. وصرّح بالرّسالة، وأنّه لا يفعل إلاّ ما أُمِرَ به، بقوله: "كلّمتكم بالحقّ الذي سمعتُه من الله"، وبقوله: "كما أمرني الأب، كذلك أتكلّم" (ص ١٢١ ــ ١٢٢).

وفي الخوارق التي حدثت على يدي عيسى، يقول الغزالي: «وأمّا ظهور الخوارق على يده بالسؤال والطلب، فذلك ثابت لغيره من الأنبياء...

وخلاصة القول: «لا أعرف أحداً اجترأ على الله كجرأة هذه الطائفة عليه، إذ لا يوجد خزيٌ أفحش من خزي قومٍ يعتقدون أنّ إله العالم قُبِرَ...» (ص ١٥٢).

ويأخذ **ابن أبو عبيدة الخزرجي** (ت ٥٨٢/ ١١٨٦) على النصارى قولهم بطبيعتَين في المسيح[١٧]، فيقول: «فإنْ قلتم: إنّ نصفَه هو إله تامّ، والنصفَ الآخر ليس بإله، فيلزمكم، إذا دعوتموه، أن تقولوا: يا نصفَ المسيح ارحمنا! وإذا قيل لكم: مَن إلهكم؟ فقولوا: هو نصف المسيح! وكيف يكون نصفه خالقاً، ونصفه معبوداً لنصفه، وليس بإله تامّ؟.. فإذا جعلتموه كلّه إلهاً، فأنتم تعبدون غير الله. ولا فرق عندكم بين الله وبين مخلوقاته» (ص ٢١٧ ــ ٢١٨).

ويقول عن إبطال دعوى ألوهيّة عيسى وإثبات نبوّته من نصوص الأناجيل: «أخبرني أيّها الجاعل إلهَه المسيح من حيث هو من الله روح! لِمَ تظلم آدم؟.. لماذا أوجبتَ الألوهيّةَ لعيسى ولم توجبْها لآدم، وأنت تُقرّ له هو أيضاً بروح من الله في حجاب من تراب؟» (ص ١٥٧ ــ ١٥٨).

«أخبرني أيها المسكين: متى ادّعى عيسى عليه السلام الألوهيّة تصريحاً؟ أو متى ذكر الأقانيم التي تقولونها توضيحاً؟ ألم تقرأ في إنجيلك عن عيسى أنّه قال: "لم يكرَّم أحدٌ من الأنبياء في وطنه!" (لو ٤/ ٢٤)! وحسبك هذا من دليل على أنّه ما ادّعى غيرَ النبوّة المعلومة.

---

(١٧) **مقامع الصلبان**، نشره عبد المجيد الرافعي سنة ١٩٧٥ تونس؛ ونشره محمد شامة، تحت اسم **"بين الإسلام والمسيحيّة"**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٢؛ ط ٢، ١٩٧٥؛ ٤٣٢ ص.

«وفي الإنجيل لمرقس: أنّ رجلاً أقبل على المسيح وقال له: "أيّها المعلّم الصالح!.. فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله" (مر ١٠/ ١٧ ــ ١٩).

وعن رفض ألوهيّة عيسى، يقول الخزرجي: «لعمري! إنّ العرب، عبدةَ الأوثان، الذين بعث الله فيهم سيّدَ النبيّين والمرسلين، محمّداً، صلّى الله عليه وسلّم، كانوا أشدّ الكفّار عبادةً للأوثان، وأشنعهم إلحاداً. ورغم هذا، فلقد اتّقوا من مثل ما أنتم عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم: "مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى" (٣٩/ ٣). فكأنّهم نزّهوا اللهَ تعالى. إلاّ أنّهم جعلوا واسطةً بينهم وبينه جهلاً منهم.

ما أبينَ فضلُ هؤلاء على مَن اعتقد أنّ الله، نزل من السماء عن كرسي عظمته، ودخل في امرأة، وأقام يتخبّط تسعة أشهر في بحرٍ بين بولٍ ودمٍ وطمثٍ، ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خدّيه، وصفعِهم في قفاه، وبصقِهم في وجهه، ووضعِهم تاجاً من الشوك على رأسه، وقصبةً في يده استخفافاً به، وتسميرِهم يديه ورجليه في خشبة، وصلبِهم إيّاه عليها، وإيجابِه، تبارك وتعالى، على نفسه اللّعنةَ بذلك، لأنّه تعالى قال في التوراة: "مَلْعُونٌ، ملعُونٌ مَنْ تَعَلَّقَ بالصَّليب" (تث ٢١/ ٢٢ ــ ٢٣) ».

ويرفض **الزاهدي** (ت ٦٥٩/ ١٢٦٠) إيمان النّصارى بكون عيسى ولداً لله، وينقل حواراً جرى بين شيخٍ مسلم وأحد عظماء النصارى، فيقول:

«قال الشيخ لعظيم النّصرانيّة: كيف حالك؟ كيف أهلك؟ وولَدُك؟

«قال: فأخذتْه العزّةُ وقال: أَمِثْلي يكونُ له ولد؟

«وقالت البطارقة: اقتلوه.

«قال الشيخ: فأنتَ تزعُمُ لله أهلاً وولداً، وتأنفُ أن يكون لك ولَدٌ، وتختلط بالنساء الحُيَّض؟ وتزعم أنّ ربّ العالمين سكن ظلمة البطن، وضيقَ الرّحِم؟!!

فسكت القسُّ.

«فقال الشيخ: مالكَ لا تُجيبُني؟

«قال القسّ: هذا شيطانٌ رمى به البحر إلى بلادكم فأخْرِجوه إلى بلاده كيلا يُفْسِدَ عليكم دينَكم.

«قال الشيخ للقَسّ: إنْ عبدتُم عيسى لأنّه لا أبَ له؛ فهذا آدم لا أب له ولا أم، خلقَه الله تعالى بيده، فضمّوه إلى عيسى.

«وإنْ عبدتموه لأنّه أحيا الموتى؛ فهذا حِزْقيل تجدونه في الإنجيل، إنّه مرّ بميتٍ فدعا الله فأحياه، فضُمّوا حزقيلَ إليهما.

«وإنْ عبدتموه لأنّه أراكم الأعاجيب؛ فهذا يوشع بن نون قاتلَ العمالقة حتى كادت الشمس تغرُب، فقال: ألا ارجعي بإذن الله، فرجعتْ..

«وإنْ عبدتموه لأنّه عُرِجَ به إلى السماء؛ فإنّ الملائكة تعرُجُ إليه في كلّ يوم، ومع كل إنسانٍ اثنان بالليل وإثنان بالنهار»[١٨].

---

(١٨) **الرسالة النّاصريّة**، حققها محمّد المصري، تحقيق التراث، رقم ١١. منشورات

ويردّ **القرافي** (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥) على قول النصارى بأنّ المسيح «تجسّم إنساناً من الروح القدس ومن مريم»، ويقول:

«هذا موضع الخبط والجهل والكفر، وعدم الإنسانيّة بالكلّيّة. كيف يتخيّل عاقلٌ أنّ النطق يصير جسماً؟.. وكيف يتخيّل عاقلٌ أنّ المعاني تنقلب أجساماً؟.. فكيف ينقلب المتفتقر لذاته مستغنياً لذاته، وذلك كانقلاب الممكن واجباً لذاته، والزوج فرداً والفرد زوجاً، السواد بياضاً. فإنْ كنتم تجوّزون هذا كلّه.. سقطت مكالمتكم، لأنّ الكلام مع البهائم عبث وسفه...» (ص ٣٧ ــ ٣٨).

ونقل **أبو عمر السكوني** (ت ٧١٧/ ١٣١٧)، في المناظرة ١٤١[١٩]، ما جرى بين الفخر الرازي وأحد النّصارى في شأن حلول عيسى في بدن إنسان. يقول: «اتّفق أنّي حين كنت بخوارزم أُخبرتُ أنّه جاء نصراني يدّعي التحقيق والتعمّق...، يقول بـ "حلول الإله في بدن عيسى، عليه السلام". يسأله الرازي: "فكيف عرفتَ أنّ الإله ما حلّ في بدني وبدنك وفي بدن كلّ حيوان ونبات وجماد؟»"

أمّا شيخ الإسلام، **ابن تيميّة** (ت ٧٢٨/ ١٣٢٧)، فينكر ألوهيّة المسيح وبنوّته لله على الشكل التالي:

١ ــ إذا كانت أسماء الله كثيرة... فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل.

المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١، ١٩٩٤؛ ٨٨ ص. رَاجع: ص ٥٩.

(١٩) **عيون المناظرات**، تحقيق سعد غراب، منشورات الجامعة التونسيّة، ١٩٧٦.

٢ ــ إنّ القول بأنّ الابنَ نطقُ العقلِ يعني أنّ الابنَ متأخّرٌ عن العقل كتأخر النطق عن العقل.. وكذلك القول بأنّ الروح حياة، يعني أنَّ الروح متأخّرة عن الله مبدئِها. وهذا باطل كلّه.

٣ ــ إنّ القول بأنّ الابن مولود من الله، والولادة صفة لازمة لله، كذلك الحياة صفة لازمة لله، فيكون الروح القدس أيضاً ابناً ثانياً لله.

٤ ــ إنّ تسمية حياة الله روح القدس أمر لم تنطق به الكتب فهو تبديل وتحريف من النصارى.

ثمّ يبيّن ابن تيميّة تناقضَ النصارى في قولهم باتّحاد اللاّهوت بالنّاسوت، فيقول: «والنّصارى تدّعي اختصاص المسيح بالاتّحاد، مع أنّ المتّحد بالناسوت صار هو والناسوت شيئاً واحداً. ومع الاتّحاد فيمتنع أن يكون لأحدهما فعل، أو صفة خارج عن الآخر. والنّصارى يدّعون الاتّحاد ثم يتناقضون»[٢٠].

ويطيب **لابن قيّم الجوزيّة** (ت ٧٥١/ ١٣٥٠) الحديث عن ألوهيّة المسيح وهو في بطن أمه يتخبّط بين البول والدم، ويعجب كلّ العجب من إلهٍ هذا شأنه. يقول:

«ألا يستحي (النصراني) من أصل دينه الذي يدين به اعتقاده أنّ ربّ السموات والأرض، نزل عن كرسيّ عظمته

---

(٢٠) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، مطبعة المدني بمصر، ١٩٥٩؛ ٣ أجزاء؛ رَ: ١/ ٢٥٩ ــ ٢٦٠.

وعرشه، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوّط وتحيض، فالتحم ببطنها، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبّط بين نجْوٍ وبول ودمٍ وطمثٍ!! ثم خرج إلى القماط والسرير!! كلّما بكى ألقمتْه أمّه ثديها؛ ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان».

«ثم آلَ أمْرُه إلى لَطْم اليهودِ خدّيه، وصفْعِهم قفاه، وبصْقِهم في وجهه، ووضْعِهم تاجاً من الشوك على رأسه، والقصبة في يده، استخفافاً به وانتهاكاً لحرمته. ثم قرّبوه من مركب خُصّ بالبلاء راكبُه، فشدّوه عليه، وربطوه بالحبال، وسمّروا يديه ورجليه، وهو يصيح، ويبكي، ويستغيث من حرّ الحديد وألَم الصلب. هذا وهو الذي خلق السموات والأرض، وقسم الأرزاق والآجال. ولكن اقتضتْ حكمتُه ورحمتُه أن يمكِّن أعداءه من نفسه، لينالوا منه ما نالوا؟!».

ثمّ يتساءل ابن قيّم الجوزيّة عن ألوهيّة المسيح، وينتظر من النصارى «أمّة الضلال» جواباً. فيقول: «يا معشر المثلّثة وعبّاد الصليب! أخبرونا مَن كان الممسكُ للسموات والأرض حين كان ربُّها وخالقُها مربوطاً على خشبة الصليب!.. أم تقولون: استخلف على تدبيرها غيرَه!.. أم تقولون: كان هو المدبّر لها في تلك الحال!.. أم تقولون: لا ندري!.. ما الذي دلّكم على إلهيّة المسيح؟!..

«إن قلتم: إنّما استدللنا على كونه إلهاً بأنّه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر. فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله كالمسيح، وهو أحقّ بأن يكون إلهاً

منه، لأنّه لا أم له ولا أب، والمسيح له أم؛ وحوّاء أيضاً، اجعلوها إلهاً خامساً، لأنها لا أم لها. وهي أعجب من خلق المسيح؟!

«وإن قلتم: استدللنا على كونه إلهاً بأنّه أحيا الموتى، ولا يحييهم إلاّ الله. فاجعلوا موسى إلهاً آخر، فإنّه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره، وهو جعل الخشبة حيواناً عظيماً ثعباناً. فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسمٍ كانت فيه أوّلاً.

«فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى! فهذا أليسع النّبي أتى بإحياء الموتى وهم يقرّون بذلك؛ وكذلك إيليّا النّبي أيضاً أحيا صبياً بإذن الله؛ وهذا موسى قد أحيا بإذن الله السبعين الّذين ماتوا من قومه. وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريّين! فهل صار أحد منهم إلهاً بذلك؟!

«وإن قلتم: جعلناه إلهاً للعجائب التي ظهرتْ على يديه! فعجائب موسى أعجب وأعجب؛ وهذا إيليا النّبي بارك على دقيقِ العجوز ودهْنِها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق وما في قارورتها من الدهْن سبع سنين!!

«وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس! فهذا موسى قد أطعم أمّته أربعين سنة من المنّ والسلوى!! وهذا محمّد بن عبد الله قد أطعم العسكر كلّه من زادٍ يسيرٍ جداً حتّى شبعوا وملئوا أوعيتَهم، وسقاهم كلّهم من ماءٍ يسير؟!.

«وإن قلتم: جعلناه إلهاً لأنّه صاح بالبحر فسكنتْ أمواجُه! فقد ضرب موسى البحرَ بعصاه فانفلق اثنَي عشر طريقاً وقام الماء

بين الطرق كالحيطان، وفجّر من الحجر الصلْد إثني عشر عيناً سارحة؟!

«وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكمه والأبرص! فإحياء الموتى أعجب من ذلك، وآيات موسى ومحمد أعجب من ذلك؟!

«وإنْ قلتم: إنّما جعلناه إلهاً لأنّه أخبر بما يكون بعده من الأمور. فكذلك عامّة الأنبياء، وكثيرٌ من الناس يُخبر عن حوادث في المستقبل جزئيّة، ويكون ذلك كما أخبر به، ويقع من ذلك كثير للكهّان والمنجّمين والسحرة؟!

«وإن قلتم: إنّما جعلناه إلهاً لأنه سمّى نفسه ابن الله في غير موضع من الإنجيل كقوله "إنّي ذاهب إلى أبي"، و"إنّي سائل أبي"، ونحو ذلك، وابن الإله إله! قيل: فاجعلوا أنفسكم كلَّكم آلهة!!

«وإن قلتم: إنّما جعلناه إلهاً لأنّه صعد إلى السماء! فهذا أخنوخ والياس قد صعدا إلى السماء، وهما حيّان مكرَّمان، لم تشكّهما شوكةٌ، ولا طمع فيهما طامع. والمسلمون مجمعون على أنّ محمداً صعد إلى السماء وهو عبدٌ محض؛ وهذه الملائكة تصعد إلى السماء؛ وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان، ولا تخرج بذلك عن العبودية. وهل كان الصعود إلى السماء مُخرِجاً عن العبودية؟!

«وإن جعلتموه إلهاً لأنّه صنع من الطين صورةَ طائرٍ، ثمّ نفخَ فيها فصارتْ لحماً ودماً وطائراً حقيقةً، ولا يَفعَل هذا إلاّ الله!

قيل: فاجعلوا موسى بن عمران إلهَ الآلهة، فإنّه ألقى عصاً فصارتْ ثعباناً عظيماً، ثم أمسكها بيده فصارتْ عصا كما كانت!!.

«وإن قلتم: جعلناه إلهاً لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك!.. قيل لكم: فاجعلوا جميع الرسل آلهة فإنّهم خَلَّصوا الأمم من الكفر والشرك، وخلّصوهم من النار بإذن الله وحده. ولا شكّ أنّ المسيح خلّص مَن آمن به واتّبعه من ذلّ الدنيا وعذاب الآخرة، كما خلّص موسى بني إسرائيل من فرعون وقومه، وخلّصهم بالإيمـــان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة، وخلّص الله سبحانه بمحمّد بن عبد الله عبدِه ورسولِه من الأمم والشعوب ما لم يخلّصه نبيّ سواه. فإن وجبت بذلك الألوهيّة لعيسى فموسى ومحمد أحقُّ بها منه؟!».

وخلاصة الكلام، إنّ المسيحيّين، في رأي ابن قيّم الجّوزيّة، هم أضلّ من الحمير في إيمانهم وعقائدهم. يقول: «وأمّا أمّة الضلال وعبّاد الصليب والصّوَر المزوّقة في الحيطان، وإخوان الخنازير، وشاتمو خالقهم ورازقهم أقبحَ شتم وجاعلوه مصفعةً لليهود، وتواطؤهم على ذلك وعلى ضروب المستحيلات وأنواع الأباطيل، فلا إله إلاّ الله الذي أبرز للوجود مثلَ هذه الأمّة التي هي أضلّ من الحمير ومن جميع الأنعام السائمة»[٢١].

---

(٢١) **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**، توزيع الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة؛ المملكة السعوديّة؛ ١٣٩٦ هـ؛ ١٩٤ ص.

ويتحيّر **الترجمان الميُورَقي**[٢٣]، في أمر ألوهيّة عيسى وبنوّته لله، كيف هو "بكر الخلائق"، فيما هي كانت قبلَه؟ ينقل قولَ أحد النّصارى، فيقول: «قد قال اللّعين إنّ المسيح خالق كلّ شيء، ثمّ قال وُلد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلّها. فمتى خَلَقَ كلَّ شيء؟ قبل ميلاده، وهو عدم؟! أم بعد ميلاده، وهو صبيّ رضيع؟! ومَن كان يدبّر السموات والأرض ومَن فيهما وما بينهما قبل ميلاده؟! وكيف يكون بكر الخلائق، وهو خالقها؟!».

ويتابع: «انظر قول هذا الخبيث: إنّ المسيح إله حقّ من جوهر أبيه؛ ثمّ قال: إنّه نزل من السماء فتجسّد في بطن مريم... والعجب أنْ يتجسّد مَن ليس بجسد ولا جوهر. ويتعالى ربُّنا خالقُ الجواهر والأعراض عن أن يكون له جوهر يتكوّن منه المسيح، وأن يتجزّأ أجزاء، يستقرّ منها جزء في بطن مريم مختَلطاً بدمها وبولها ورَوثها. فما أعظم جرأة هؤلاء الكفرة على الله، وما أعظم حلم الله عليهم! والحمد لله الذي عافانا ممّا ابتلاهم» (ص ١٧٤).

وعن تصريح الأناجيل بناسوت المسيح، يقول الترجمان: «نطق الإنجيل الأوّل (متّى) بأنّ المسيح قلّم أظافرَه، وقصّ شعرَه، ونما جسدُه طولاً وعرضاً. فإنْ كان على قولهم خالِقاً أزليّاً، وقد بانت منه هذه الأجزاء من الشعر والأظافر، وانفصلت عن كلّه، وصارت رميماً، وتلاشتْ حتّى لم يبقَ لها وجود. فالخالق الأزلي، على هذا، قد فسد بعضُه وتلاشى، وبقي بعضُه على حاله. ومَن

---

(٢٣) تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب.

فسد بعضُه فالفساد واصلٌ إلى كلِّه. ومَن كان له بعضٌ وكلٌّ، فهو محدودٌ ومحتاجٌ إلى ما يحمله ويحدّه» (ص ١٩٩ ــ ٢٠٠).

«ويقال لهم أيضاً: هذا المسيح الذي تعتقدون أنّه الله الخالق الأزلي، هل كان في بلدٍ أو في زمانٍ أم لا؟ ولا يقدرون على إنكار ذلك لأنّ إنجيلَي متّى ولوقا صرّحا بأنّه وُلد في بلد بيت لحم في زمن رودس الملك، وأنّه قتل وصلب في أيّام بيلاطوس الملك. وكلّ مَن كان في زمان وفي مكان، فالزمان لا بدّ وأن يكون قبلَه، والأمكنة محيطة به. ومن كان كذلك فهو مخلوق.» (ص ٢٠١ ــ ٢).

أمّا **رحمة الله الهندي**(٢٤) فيُبطل ألوهيّة المسيح بالاستناد إلى ما جاء في الإنجيل نفسه. فهو يستشهد بنصوص عديدة تفيد حجَّتَه ومأخذه على المسيحيّين في عقيدتهم.. ثمّ يقدّم الحجج على إبطال ألوهيّة المسيح فيقول:

أوّلاً ــ إنّ إطلاق لفظ "ابن الله" على المسيح، هو «دليل في غاية الضعف بوجهين: أوّلاً ــ لأنّ هذا الإطلاق معارض بإطلاق "ابن الإنسان"، وبإطلاق "ابن داود". وثانياً ــ فلأنّه لا يصحّ أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي؛ لأنّ معناه الحقيقي، باتّفاق لغة أهل العالم مَن تولّد مِن نطفةِ الأبوين. وهذا محال ههنا. فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح» (٢/ ١٥ ــ ١٦).

---

(٢٤) **إظهار الحقّ**، وهو مناظرة جرت بين المؤلّف والقسيس فندر صاحب كتاب «**ميزان الحقّ**»؛ دار الجيل، بيروت ١٩٨٨؛ جزءان: ٣٥٨ و٢٤٢ ص.

ثانياً ــ في يو ٨/ ٢٣: "قال لهم: أنتم من أسفل، أمّا أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أمّا أنا فلست من هذا العالم"... إلاّ أنّ عيسى قال مثل هذا القول في حقّ تلاميذه في يو ١٥/ ١٩: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحبّ خاصّته. ولكنّكم لستم من العالم"، وقال أيضاً في يوحنا ٧/ ١٤: "إنّهم ليسوا من العالم، كما أنّي لست من العالم". هكذا سوّى عيسى بينه وبين تلاميذه في عدم الكون من هذا العالم. فلو كان هذا مستلزماً للألوهيّة، كما زعموا، لَزِمَ أن يكونوا كلّهم آلهة. والعياذ بالله» (٢/ ٢٠).

ثالثاً ــ في يو ١٠/ ٣٠، قال عيسى: "أنا والأب واحد". مثل هذا الكلام وقع في حقّ الحواريّين في يو ١٧/ ٢١ ــ ٢٣: "ليكونوا واحداً، كما أنك أنت أيّها الأب فيّ وأنا فيك. ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... ليكونوا واحداً كما أنّنا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد". لقد سوّى في القول الثاني بين اتّحاده بالله وبين اتّحاده فيما بينهم» (٢/ ٢١).

رابعاً ــ في يو ١٤/ ٩ ــ ١٠، قال عيسى: "الذي رآني فقد رأى الأب... ألست تؤمن أنّي أنا في الأب والأب فيَّ". مثل هذا الكلام قاله بالنسبة إلى تلاميذه في يو ١٤/ ٢٠: "في ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في أبي وأنتم فيّ وأنّي فيكم" (٢/ ٢١ ــ ٢٢).

وهكذا يستمرّ الهندي، في معظم كتابه، في إظهار تناقض الأناجيل؛ وذلك في إظهار ما هو عليه عيسى مع الآب هو عليه مع تلاميذه.

أمّا **منصور حسين عبد العزيز**[٢٥] فيستفيض في إنكار ألوهيّة المسيح، مستنداً إلى الأناجيل وإلى الحجج العقليّة معاً, فيقول: إنّ بنوّة المسيح لله مثلها مثل بنوّة كلّ إنسان: «يَرِدُ على لسانه قوله: "أبي الذي في السموات"، كذلك يرِد على لسانه قوله: "أبوكم الذي في السموات". وكما يقال عنه "ابن الله"، يقال عن صانعي السلام أنّهم "أبناء الله".

وعلى هذا فإنّ هذه البنوّة التي وردت في هذه الأناجيل (الإزائيّة) الثلاثة على لسان المسيح ــ وحتّى بفرضِ صحّتها ــ لا تعني تمييزاً خاصّاً للمسيح عن الناس» (ص ٤٤٣).

ثمّ يستند عبد العزيز إلى أقوال الأناجيل لينفي ألوهيّة المسيح، فيقول:

١. عن تجارب المسيح[٢٦]، يقول: «إنّه من غير المتصوّر أن إبليساً يختبر الله. إنّه للغوٌ حقّاً مثل هذا القول. فليس الله بالذي يمكن أن يجرِّبه إبليس، أو أن يتعرّض لإغراء إبليس» (ص ٤٥١).

٢. وعن صلاة المسيح لله[٢٧] يقول عبد العزيز: «وفي هذه الآيات نرى المسيح يصلّي، يصلّي لله. ويقضي الليل كلّه في الصلاة لله. فهل كان يصلّي لنفسه؟ إنّ غير معقول. بل كان يصلّي لله» (ص ٤٥٤).

---

(٢٥) **دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام**، مكتبة علاء الدين، الإسكندريّة.

(٢٦) في متى ٤/ ١ ــ ١٠، ولوقا ٤/ ١ ــ ١٣.

(٢٧) متى ١١/ ٢٥؛ لوقا ٦/ ١٢؛ ١٠/ ٢١؛ مرقص ٦/ ٤٦.

٣. وعن الرّوح القدس[٢٨] يقول: «مفهوم هذه الآيات أنّ الرّوح القدس الذي هو الله أيضاً عند المسيحيّين، غير المسيح الذي أشير إليه على أنّه ابن الإنسان، لأنّهما إن كانا واحداً لوجب أن يكون الحكم واحداً بالنسبة لمن يجدّف على أيّ منهما. ولكن التجديف هنا يُغفر إذا كان على المسيح، ولا يُغفر إذا كان على الروح القدس الذي هو الله أيضاً في اعتقادهم. ومن ثمّ فلا يمكن أن يكون المسيح هو الله» (ص ٤٥٤ ــ ٤٥٥).

٤. وعن وصف المسيح نفسه بالنّبيّ[٢٩] يقول عبد العزيز: «هنا لا نرى المسيح يصف نفسه في هذه الآيات إلاّ بالنّبي. ولم يزد على ذلك شيئاً»، أي لم يقل عن نفسه بأنّه إله أو ابن لله (ص ٤٥٥).

٥. ثمّ «ها هو يتحدّث عن ساعة انقضاء الدهر، فيقول بأنّ أحداً غير الله، وحتّى هو نفسه، لا يعلمها، فيقطع بذلك لمن يعي أنّه ليس الله، وإلاّ لكان على علمٍ بتلك الساعة» (ص ٤٦٩).

٦. وأخيراً، إنّ المسيحيّين «يسلّمون بأنّ المسيح لم تعرفْه أمُّه العذراء الطاهرة إلاّ إنساناً، رغم أنّها أدرى الناس بأنّها ولدته ولم يمسَّها بشر، وعرفه الناس جميعاً طفلاً وشاباً ورجلاً، مجرّد إنسان مثلهم. ثمّ بدأ يبشّر بدعوته. فعرف فيه الناس فوق ذلك رسولاً نبيّاً. ولم يعرف فيه أحدٌ أنّه إلَه، ولم يدرْ بخلد أحدٍ أنّه قد يكون كذلك. وظلّ الناس على هذا الاعتقاد بشأنه طوال فترة

---

(٢٨) متى ١٢/ ٣٢؛ مرقص ٣/ ٢٨ ــ ٣٠؛ لوقا ١٢/ ١٠.

(٢٩) متى ١٣/ ٥٧؛ مرقص ٦/ ٤؛ لوقا ٤/ ٢.

دعوته. وحتّى بعد رفعه ومرور أيّام على ذلك» (ص ٤٩٠).

ويتّهم **عبد الله العلمي**(٣٠) القدّيس بولس بتأليه المسيح، ويقول عنه بأنّه هو السبب: «الأصل في دين النّصارى هو التوحيد. ولكن بولس، الذي يُعتبر أفضل مقدَّس عندهم بعد المسيح. نقض الناموسَ حجراً حجراً، ولبنة لبنة» (ص ١٥).

وفي رأي العلمي أنّ القرآن خصّ المسيح وحده بتعبير «وروح منه» دون سائر الأنبياء؛ وذلك لأنَّ «لفظ "روح" كان دائراً كثيراً على الألسنة.. وكان موضوع حديث القوم. ولقد يروق لذوقهم التعبير بهذا اللفظ؛ ولردّ طعن اليهود في المسيح بقولهم إنّ فيه روحاً شيطانيّة؛ ثمّ لرد طعن أقربائه فيه بأنّه مختلّ العقل.. فنطق القرآن في شأن المسيح عليه السلام بما ينفي عنه وصمة ما ألصقوه به قائلاً "وروح منه"» (ص ٤٦ ــ ٤٨).

ثمّ، كما أطلق على المسيح بأنّه «ابن الله» (متى ٢١/ ٢٧)، كذلك أطلق هذا التعبير على كثيرين غيره.

وكذلك «قد أطلق لفظ "الابن البكر" على غير المسيح».

ثمّ إن ّالقول بأنّ "الله أب المسيح" ليس هو خاصّاً بالمسيح، بل «إنّ لكلّ من له صلة بالله، يُطلق على الله أنّه "أبوه"».

ثمّ إنّ القول بـ «أنّ المسيح عليه السلام وُلِد من الله (إش ٩/ ٦)، وأنّه مولود في الرّوح القدس (متى ١/ ٢٠)، وأنّه أتى من فوق

---

(٣٠) كتاب سلاسل المناظرة الإسلاميّة النصرانيّة بين شيخ وقسّيس.

ومن السماء (يو ٣/ ٣١)، فقد كان بنو إسرائيل جميعاً أولاداً للربّ إلههم، وأنّ كلّ من يحبّ إخوانه فقد وُلد من الله».

ثمّ إنّ القول بأن المسيح هو "الله" ليس خاصّاً بالمسيح وحده، فـ «إنّ الأسفار أَطلقت لفظ "الله" على ذواتٍ آخرين، كما أطلقته على المسيح، بلا فرق».

وكذلك لفظ "ربّ"، كما أطلقت على المسيح، فقد أطلقت على القاضي والكاهن، وعلى المعلّم والسيّد، وعلى الملاك، وعلى قايين.

وكذلك لقب "مسيح"، الذي أطلق على يسوع، لم يكن لقباً خاصّاً به. فهو لقب أطلق على كثيرين.

وكذلك «لا خصوصيّة للمسيح بتسميته "يسوع" حيث سمّي غيره به أيضاً.

وكذلك إسناد لقب "مخلّص" إلى المسيح ليس خاصّاً به وحده.

وكذلك إسناد لقب "فادي" إلى المسيح فهو إسناد مجازي لا حقيقيّ، لأنّ الفداء يُسند إلى الله حقيقة وإلى غيره مجازاً».

وأخيراً، يقول عبد الله العلمي: «إنْ كان المسيح فدى الناس بلاهوته، فقد لزمك القول بأنّ اللاّهوت صُلب ومات ودُفن. وإنْ كان فدى الناس بناسوته فقد نفى أن يكون الإنسان فداء الآخر. فإذا كان الذي تألّم وصُلب وقُتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح أن يكون "فادياً"» (ص ١٩١ ــ ١٩٨).

يعلّق **عصام الدين حفني ناصف** على اتّحاد اللاّهوت بالناسوت في يسوع المسيح، فيقول: إنّ المسيحيّين «غير مدرِكين أنّهم بهذا الخلط بين الخالق والمخلوق قد مزجوا النقصَ بالكمال، وأدمجوا الضعفَ في القوّة، وأنشبوا المحدودَ في غير المحدود، وهبطوا بحاكم الكون من فوق عرشه الرفيع ليُضْجِعوه في مذودٍ وضيعٍ مع بهيمة خسيسة من ذوات الأربع، ولفُّوا القهّارَ الذي يَطوي السماوات طيَّ السجل للكتاب، في قماط، وأَسَفُّوا بالقدير من ذروة السماء إلى حضيض الأرض في أحشاء امرأة حملتْ به على وهَن، وولدتْه بعونٍ من قابلةٍ، وتركوه يعول، وينشج، ويرضع، ويبول على نفسه، ثم يحبو، ويتعثّر في مشيته.

«فيا لها من عقيدة غامضة، أفقدت الناسَ التمييزَ بين الخالق والمخلوق.. وما هي إلاّ عبادة الأوثان مزدهرة في كلّ مكان»(٣١).

ويقول داعي العصر **أحمد ديدات** في معتقد المسيحيّين بألوهيّة المسيح بأنّه مولود غير مخلوق: «إنّ المسلم يعترض على كلمة "مولود"، لأنّ الولادة فعل من الأفعال الحيوانيّة، يخصّ وظائف الغريزة الجنسيّة الدنيا للحيوان. فكيف نعزو لله مثل هذه الصفة الوضيعة؟!».

ويقول عن ألوهيّة المسيح: «يُصرّ المسيحي، في صبيانته، على أنّ عيسى هو الله، لأنّه أعاد للميت الحياة. فهل إحياء الآخرين

---

(٣١) **المسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩؛ ص ٩.

للموتى يجعل منهم آلهة أيضاً!!»[٣٢].

وينفي **نبيل الفضل**[٣٣] بنوّة المسيح لله، فيقول: «هذا كفر في نظر اليهود، وهو كفر في نظر المسلمين، وهو كفر في نظر الكثير من المسيحيّين أنفسهم. ولكنّه، للأسف، من مقوّمات المسيحيّة المنتشرة في العالم. وهذا شيء لا يختلف كثيراً عن الوثنيّة وعبادة الأصنام» (ص ٤٧).

ويقدّم البراهين من الإنجيل على قولته هذه، فيقول: «لو أنّ المسيح كان إلهاً، أو ابنَ إله، فهل يعقل أن يجوع؟ "ولمّا خرجوا من بيت عنيا جاع" (مر ١١/ ١٢).

وهل يعقل أن يعطش؟ "فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان" (يو ١٩/ ٢٨).

أو يعقل أن يتعب؟ "فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر" (يو ٤/ ٦).

أو يعقل أن يخاف؟ "لم يرد أن يتردّد في اليهوديّة لأنّ اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه" (يو ٧/ ١) (ص ٤٩ ــ ٥٠).

«وهل يُعقل أن لا يكون عارفاً بالمواسم؟ "فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعلّه يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلاّ ورقاً، لأنّه لم يكن وقت التين" (مر ١١/ ١٣). هل

---

(٣٢) **المسيح في الإسلام**، القاهرة ١٩٩٠؛ ص ٩٨...

(٣٣) **هل بشّر المسيح بمحمّد**، لندن، ١٩٩٠.

يُعقل هذا؟! إله ولا يعرف الفصول التي تثمر فيها الأشجار التي يعرفها أغلب أبناء الشعب المزارع في ذلك الوقت في فلسطين؟!

«... هل يعقل أن الشيطان يجرِّب، أو يحاول إغراء إله؟ والشيطان والله ضدّان لا يلتقيان. فكيف يحدث هذا لو كان المسيح إلهاً. ولكن.. ليس هناك ألوهيّة تجرَّب...

«وحسبنا أن نقول: لو أنّ الله أراد له ولداً لما كلّفه ذلك سوى أن يقول: "كن. فيكون".

«ولو أراد الله أن يرسل ابنه هذا إلى الأرض والناس لما جعله جنيناً في بطن امرأة ليخرج من أحشائها بين دماء وقذارة. ولما تركه للجوع ولحلمات امرأة تُرضعه.

«ولو أنّ الله أراد أن يرسل ابناً له آيةً وهدايةً للبشر، لأنزله من السماء كاملاً محاطاً بهالات المجد بين الملائكة» (ص ٥١).

أمّا سماحة الإمام الأكبر **محمد الحسين آل كاشف الغطاء** فعناوين فصوله، وحدَها، تكفي للدلالة على نظرته وموقفه من المسيح. فمسيح الإنجيل، في نظره، لا هو إله، ولا نبيّ. إنّه: «إنسانٌ محتالٌ مبدِّلٌ لأحكام الناموس، عاقٌّ لوالديه، ملعونٌ، سكّيرٌ، مسرفٌ، لا كرامةَ فيه ولا أمانة، يغازلُ النسوان ويُجلس الغلمانَ في حضنه».

يقول معلِّقاً على عدم تطبيق الحدّ على الزانية: «أنا لا أدري كيف نسيّ (عيسى) قولَه: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول

حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس. وقد أكّدتِ التوراة، وشدّدتْ في إقامة الحدّ على الزانية بما لا مزيد عليه. وقد عطّل سيدنا المسيح حداً من حدود الله من غير سبب ولا توبة ولا كفّارة.

«ثمّ في قوله: وأنا لا أُدينك أيضاً بعد قوله: مَن كان بلا خطيئة فليرمها. هذا دليل على أنّه هو أيضاً من أهل الخطايا، وإلاّ لدانها. فالواقع لا يخلو، منطقياً، من أحد أمرين: إمّا أن يكون ذا خطيئة، فيكون عذراً في عدم إقامته للحدّ عليها، أو يكون منزّهاً عن الخطيئة، فيكون قد عطّل الحدّ وأبطل الناموس.

ويعلّق الإمام الأكبر على حادثة المرأة التي مسحت بشعرها قدمَي يسوع، فيقول: «ما سمعنا في شيء من النبوّات أن نبياً تُقبِّل رجلَيه المومساتُ، وتسكبُ على قدمَيه قارورةَ طيب ناردين خالصٍ كثيرِ الثمن... نعم ربُّهم اليسوع... وكان يومئذ شاباً وسيماً، ابن ثلاثين سنة أو دونها، فلعلّه صبا إلى تلك الخاطئة كما صبتْ هي إليه، فمرغتْ وجهَها وشعرَها على قدميه... إنّه كان يشتهي أن يُقبِّلَها وتُقبِّلَه، ولكن الظروف ما سمحتْ بذلك لرقابةِ الفرّيسي ويهوذا الإسخريوطي».

ويختم الإمام الأكبر كتابه قائلاً: «الحقّ أنّ يسوع، بحسب ذات أناجيلهم، كان مجموعة خطايا وجرائم وجرثومة فساد ومآثم»(٣٤).

---

(٣٤) **التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح**؛ دار الغدير؛ ص ٦٠ ــ ٦٧؛ ٧١...

أمّا العلاّمة **الشيخ البلاغي** فتستهويه سيرة المسيح مع المرأة الخاطئة، التي قبّلت قدمَي يسوع وغسلتْهما ومسحتْهما بشعر رأسها ودهنتْهما بالطيب: «حتى إنّ صاحب البيت أنكر هذا العمل من امرأة خاطئة مع شاب عمره نحو الثلاثين سنة. ولكن المسيح صار يوبّخه ويشكر محبّتها الكثيرة. يا ولدي! هل هذا العمل من تعليم التوبة والقداسة والعفّة! أو كما يقال: إنّ الغرام لأهله فضّاح!»[٣٥].

ويراقب الشيخ العلاّمة المسيحَ يُجلس الغلمانَ في حضنه، فيقول بلسان أحد المسيحيّين عن اتّكاء يوحنا على صدر المسيح: «إنّي لأخجل كثيراً من وجود هذا الكلام في إنجيلنا المقدس. فإنّ المسيح الذي جاء ليعلّم الناسَ بأخلاق الأدب والعفاف، كيف يترك الشابَ يجلسُ في حضنه، ويتّكأ (كذا) على صدره، حاشا المسيح وحاشا الإنجيل الحقيقي من ذلك!» (ص ١٢٥ ــ ١٢٦).

ولكن، يبدو، بالنسبة إلى الشيخ، أنّ التهمة ثابتة على المسيح، «فكم كان عمر يوحنا حينما كان متّكئاً في حضن المسيح، ويتّكأ (كذا) على صدره، ويتغنّج عليه. هل كان يوحنا ابن أربع سنين أو ثلاثة حتى لا يكون هذا العمل قبيحاً؟.. يوحنّا كان، قبل الإتّكاء في حضن المسيح بثلاث سنين، يعمل في السفينة ويصيد السمك ويصلح الشباك. ولا يمكن أن يكون عمره، بحسب العادة

---

(٣٥) **الرحلة المدرسية**، ص ١٣٩.

حين الإتّكاء، أقل من أربعة عشر سنة». فإذاً «المسيح كان يُجلس يوحنا الحبيب في حضنه ويتركه يتدلّل عليه، ويتّكأ (كذا) على صدره، إذ ذاك في غضارة الشباب ونعومة الجسد. أهكذا تكون عفّة الرسل وتأديبهم لتلاميذهم وتعليمهم للناس؟» (ص ١٢٥).

ويتساءل **ابن الخطيب:** «من أين جاءت الألوهيّة لمَن نزل من فرج امرأة؟ أين جاءت الألوهيّة لمن أكل الطعام ضمن الآكلين، ودخل بيت الخلاء كسائر الداخلين؟»[٣٦].

أمّا **شريف محمد هاشم**[٣٧] فكان همّه في التركيز على أنّ عيسى كان نبياً لا غير، وكان نبيّ اليهود فقط. ولم يفكّر بهداية غير اليهود. فهو أيضاً لم يتصوّر أن تتخطّى مبادؤه ووصاياه عتبةَ الديانة اليهودية والشعب اليهودي (ص ١٦٩).

ويرفض السيد هاشم ألوهيّةَ المسيح، وبنوّته لله. ويعتبر هذه البنوّة لله «هديّةً» من القديس بولس الذي أراد أن يكفّر عن أعماله المشينة بحقّ المسيحيّين قبل ارتداده. ومع هذا يكتشف السيد هاشم أنّ بولس إيّاه هو الذي «كشف بصراحة ووضوح عن نظريّته القائلة بأنّ عيسى هو ابن الله» (ص ٢٢٨)، وهو الذي «أدخل أبّوة الله للمسيح، أو بنّوة المسيح لله، على خط الإيمان المسيحي، ولأوّل مرّة» (ص ٢٢٩).

---

(٣٦) **هذا هو الحقّ!** ص ٦٣.

(٣٧) **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**، بيروت، ١٩٨٨.

أمّا سماحة مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة، **الشيخ حسن خالد**[٣٨]، فيفيدنا، بأسلوبه المعاصر، بما قاله المسلمون من قبل.

يقول في ألوهيّة عيسى: «لقد جحد القائلون بألوهيّة عيسى الحقيقةَ.. ولو كان المسيح إلهاً، أفما كان بمقدوره أن يدافعَ عن نفسه قهْرَ الله! فقد ثبت أنّ الأسفار القديمة قد أطلقتْ لفظةَ الله على المسيح وأطلقتها أيضاً على الملك وعلى القاضي، وعلى الشريف والقويّ وعلى النبيّ.. يضاف إلى ما تقدّم أمران هامّان هما: إنّ المسيح وصفَ نفسَه أكثر من مرّة في الأناجيل الأربعة بأنّه «ابن الإنسان»... وأنّه أبدي عدمَ رضاه لوصفه بالصلاح من قِبل بعض الناس» (ص ٦٦١ ــ ٦٦٣).

وعن بنوّة عيسى لله، يقول الشيخ: «يسترسل القرآن الكريم في تتبّع أخطاء النصارى وضلالاتهم العقدية، ويتصدّى لدعواهم بنوّة عيسى لله، وينفيها نفياً قاطعاً، ويقول: «ما كان لله أن يتّخذَ من ولَدٍ سبحانَه» (١٩/ ٣٥)..

ويعلّق الشيخ: «أوليس مثل هذا الاعتقاد ممّا يشتّت ذهن الإنسان الذي يرغب بأن يكون مؤمناً، ويدفعه دفعاً للوقوع في القول بتعددِ الآلهة!.. إنّ مثل هذا لا يقبله الإسلام..

هذه النبوّة لله، «كانت معروفة من قَبلُ لفراعنة مصر، وكذلك بعضِ قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس.. ورُوي مثلُ هذا

---

(٣٨) موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.

عن أتباع الفيلسوف فيثاغورس إذ كانوا يعتقدون بأنّه الإله أبولون.. ويمكن تتّبع هذه العقيدة عند وثنيّي اليونان وغيرهم، بحيث نراها جليّةً واضحةً عند الأمم الخالية» (ص ٥٩٦ ــ ٥٩٨).

أمّا **أحمد زكي**، الذي كتبَ مطوّلاً في مَن هو يسوع المسيح، فيطعن، في كلّ صفحة من صفحات كتابه[٣٩]، بألوهيّة المسيح وبنوّته لله. المسيح، عنده، تبعاً لكلام القرآن، والمسلمين عامّة، إنسانٌ، اختاره الله، مثل سائر الأنبياء. أرسله إلى بني إسرائيل فقط، ليخلّص "الخرافَ الضالّة". ولم تكن نبوّتُه عامّة شاملة، كما سيكون عليه "النبيّ المنتظر"، خاتم الأنبياء، محمّد.

يبتدئُ السيّد زكي ساخراً: «إذا كان المسيح هو الله، فمَن تكون اليصابات أمُّ يوحنّا المعمدان؟ خالةَ الله! ومَن يكون زكريّا؟ زوجَ خالة الله! ومَن يكون يوحنّا المعمدان؟ ابنَ خالة الله! ثمّ، باللهِ، تعَالَوا نتساءل: لو تزوّج المسيح، فماذا نسمّي أولادَه؟ وبناته؟ وأصهارَه؟.. هل تقول: بنتَ الله! وصهرَ الله! وحماة الله! وكنّة الله!».

ثمّ «من قال لهم: إنّ الإله يكون جنيناً، ثم يولد، ويرضع ثديَ أمّه، ويحبو، ويبوّل في فراشه، فينمو، ويكبر، ويغدو إلهاً؟!

«ثمّ نسألهم أيضاً: ما الذي يجعل اللهَ يتقوقع وينحشر في رحم مريم تسعة شهور؟!

---

(٣٩) أنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.

«كما نسألهم: مَن كان يديرُ السماء، ويُنزلُ المطر، ويُرزق البشر على هذا الكوكب؟!.. وكيف غاب عن الشيطان أن يستولي على الحكم في هذا الكون.. وإلهه محشور في رحم مريم؟!.

«ونقول لهم: «أين ترك (المسيح) ألوهيّتَه عندما تجسّد؟ ومَن الذي ائتمنه عليها طيلةَ ثلاثةٍ وثلاثين عاماً؟ أي حياته على الأرض!؟ وكيف لم يستغلّها ذاك (الشيطان)؟ ويحكم العالم؟!» (ص ٤٦٢).

ثمّ يقدّم السيّد زكي البراهين من الإنجيل نفسه على بطلان ألوهيّة عيسى. فيقول: خذوا مثلاً:

١. وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد.. أحد.. إلاّ إلهي وحدَه (متى ٢٤/ ٣٦). فها هو شيء غاب عن علم عيسى. والله الحقيقي لا يغيب عن علمه شيء.

٢. وأمّا الجلوس عن يمين فليس لي أن أعطيه (متى ٢٠/ ٢٣). وهذا شيء لا يستطيعه عيسى. بينما الله الحقيقي يستطيع كلّ شيء.

٣. مَن الذي لَمسَني؟ (لوقا ٨/ ٤٥). إذا كان عيسى لا يعرف مَن الذي لمسه مِن الخلف، فأنّى له أن يعرفَ ماذا كان يجري في إيطاليا أو البرازيل أو الفلبّين!

٤. ولمّا دخل السفينة.. وكان نائماً (متى ٨/ ٢٤). من صفات الله أنّه لا ينام. وها هو عيسى كان نائماً. فإذا كان إلهُ

الكنيسة ينام، فمَن يحصي الحسنات والسيّئات ليكافئ أو يجازي بها البشر؟!

٥. وفي الصبح.. جاع. فنظر شجرةَ تين.. فلم يجد إلاّ ورقاً (متى ٢١/ ١٨). فلو كان عيسى إلهاً لما جاع، ولعرف مسبقاً أنّها لا تحمل إلاّ ورقاً. علماً أنّ الله غنيٌّ عن الطعام والشراب (ص ٢٦٠ ــ ٢٦١).

٦. على متى (٩/ ٣٥ ــ ٣٨) حيث "يسوع يطوف في المدن، يعلّم ويكرز"، يقول السيّد زكي: «سؤالنا لكلّ الذين يعتقدون أنّ عيسى إلهاً، هل الذي يعلّم ويكرز في المدن والقرى يكون إلهاً أم نبياً؟!» (ص ٤٦٤).

٧. وعلى أنّ عيسى "كان يصلّي" (لو ٣/ ٢١)، يعلّق السيّد زكي: «نحن نقدّم نصَّ لوقا هذا للقساوسة.. الذين يزعمون أنّ عيسى إله.. فهلاّ قالوا لنا لمَن كان يصلّي؟! هل كان يصلّي لنفسه؟! أي إنّ ناسوتَه كان يصلّي للاهوته؟!.. إنّنا، حتّى في الوثنيّة، لا نقرأ أنّ إلهاً صلّى لإله» (ص ٤٦٥).

٨. وعلى ما جاء في متّى (٨/ ١٩): "يا معلّم! أتبعك أينما تمضي"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ، إنّ الكاتب قال له "يا معلّم". والتلميذ ناداه "يا سيّد". هكذا كانت نظرة الناس والتلاميذ إلى المسيح. معلّم وسيّد. ولم ينظر له أحدٌ قط على أنّه إله. ولو ناداه أحدٌ: يا الله! لقطعوا رأسَه. وهذا يناقض زعم الكنيسة التي منحتْه ترقيةً برتبة إله» (ص ٤٤٥).

٩. وعلى قول المسيح في متّى (٨/ ٢٠): "وأمّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه"، يعلّق السيّد زكي: «هذا القول يؤكّد أنّ عيسى ليس الله، ولا بحال. أخالقُ السموات والأرض وما بينهما، وما عليهما، وما فوقهما، وما تحتهما، لا يملك مكاناً يسند فيه رأسَه؟! كيف غدا إلهُ العالمين فقيراً؟!» (ص ٤٤٥).

١٠. «ثمّ إنّ لقب "ابن الإنسان" هذا يتناقض تناقضاً صارخاً مع لقب "ابن الله".. ومن حقّ كلّ مسيحي أن يسأل قساوسته عن هذا التناقض. هل عيسى ابن الله أم ابن الإنسان؟!».

١١. وعلى قول متّى (٩/ ٨): "لمّا رأى الجميع ذلك تعجّبوا ومجّدوا اللهَ الذي أعطى الناسَ سلطاناً مثل هذا"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ: "إنّهم مجّدوا اللهَ"، ولم يمجّدوا المسيحَ الواقف أمامهم، والذي صنع لهم المعجزات» (ص ٤٥٦).

١٢. وعلى قول المسيح في متّى (١١/ ٢٥): "أحمدك أيّها الأب ربَّ السموات والأرض"، يعلّق السيّد زكي: «أتوجّه من كلّ قلبي إلى جميع البابوات والكرادلة والمطارنة وعموم القساوسة في شتّى أنحاء العالم.. إشرحوا لنا، بعد إذنكم، قول المسيح هذا.. فإذا كان عيسى يعترف أنّ إلهه هو ربّ السموات والأرض، أي الكون بما فيه ومن فيه من كلّ صغيرة وكبيرة، فهلاّ أخبرتمونا إذاً عيسى يكون ربَّ مَن!؟ لم يبقَ شيء في السموات والأرض حتّى يكون عيسى ربَّه إلاّ إذا كنتم أنتم وعيسى خارج نطاق السموات والأرض!» (ص ٥٠١).

١٣. وعلى قول الناس عن المسيح في متّى (١٣/ ٥٥): "أليس هذا ابن النّجار؟"، يعلّق السيّد زكي: «ألا تخجلُ الكنيسة من القول بأنّ إلهها كان نجّاراً! أي صاحبَ ورشة نجارة! والنجارة، في العادة، تحتاج إلى الخشب والمسامير والبراغي والغراء والدهان، وإلى باعة ومشترين ومسوّقين... بينما إله العالمين لا يحتاج إلى شيء.. ثمّ متى كان النّجّارُ أو ابنُ النّجّار يصبحُ إله (كذا)؟!» (ص ٥٤٩).

١٤. وعلى قول المسيح في متّى (١٣/ ٥٨): "ليس نبيٌّ بلا كرامة إلاّ في وطنه"، يعلّق السيّد زكي: «نقدّم هذه الجملة إلى جميع النّصارى المعاصرين ليحملوها إلى كنائسهم وأساقفتهم وقساوستهم ليسألوهم كيف يزعمون أنّ عيسى هو إله وابن إله. وها هو نفسه يصرّح أنّه نبيّ وليس أكثر من نبيّ.. متى يستيقظ النّصارى ويقرأون التاريخ ليعلموا أنّ الذين رفعوا عيسى من سلك النبوّة، ودسّوه في مرتبة الألوهيّة، لم يكونوا سوى بضعة نفر من القساوسة المندسّين في المجامع الكنسيّة، لم يكن لهم هدف سوى حرمانهم من الجنّة، وإنّهم ما زالوا بالعِين هذا الطعم حتّى يومنا هذا. إذ متى وكيف يصبح النبيُّ إله (كذا)؟! (ص ٥٥٠).

١٥. وعلى ما جاء في متّى (١٤/ ١٣): "فلمّا سمع يسوع بموت يوحنّا المعمدان"، يعلّق السيّد زكي: «لو كان (عيسى) إلهاً لما انتظر حتّى يسمع من الناس، لأنّه، كإله، مفروض أن يكون هو الذي كتب هذه الميتة على يوحنّا، وأن يكونَ عالماً بها قبل حدوثها».

١٦. وعلى أعجوبة تكثير الخبز والسمك في متّى (١٤/ ١٤ ــ ٢١)، يعلّق السيّد زكي: «إنّي لأدعو جميعَ الذين ما زالوا يعتقدون أنّ عيسى إلهاً أن يتأمّلوا في الجملة التي أوردها متّى "ورفع نظرَه نحو السماء"، لماذا يرفع عيسى نظرَه نحو السماء!؟ ومَن هو الجالسُ على العرش فوق السماء!؟» (ص ٥٥٦).

١٧. وعلى قول متّى عن المرأة الكنعانيّة (١٥/ ٢٥) التي "أتت وسجدت له"، يعلّق السيّد زكي: «لو كان (عيسى) إله (كذا) لعرفَ إيمانَها سَلَفاً، ولما قال لها في البداية: "ليس حسناً أن يؤخذَ خبز البنين ويطرح للكلاب"، ثم جاء في النهاية قال لها: "يا امرأة عظيم إيمانك"، لأنّ هذا تخبّط. والإله لا يتخبّط» (ص ٥٧٥).

١٨. وعلى قول متّى (١٥/ ٣١) عن الجموع الذين شهدوا أعمالَ المسيح المذهلة، بأنّهم "مجّدوا إله إسرائيل"، يعلّق السيّد زكي: «لاحظ عزيزي القارئ ما ذكره متّى. لماذا إله إسرائيل!.. لو كان عيسى إلهاً حقّاً لقال متّى عنهم: "ومجّدوا عيسى"، ممّا يؤكد أنّ عيسى لم يكن إلهاً» (ص ٥٧٧).

١٩. وعلى قول متّى في أعجوبة ثانية لتكثير الخبز والسمك (١٥/ ٣٢ ــ ٣٩): "شكر وكسر وأعطى تلاميذَه"، يعلّق السيّد زكي: «المسيحُ شكرَ مَن؟! الجموع؟ طبعاً لا. شكرَ ربَّه وخالقَه. ممّا يُثبت عبوديّتَه لله. فليس من المعقول أن يكون إلهٌ على الأرض يشكر إله (كذا) في السموات» (ص ٥٧٧).

٢٠. وعلى قول متّى: "أخذه بطرسُ إليه وابتدأ ينهره،

قائلاً: حاشا يا ربّ. لا يكون لك هذا" (١٦/ ٢٢)، يعلّق السيّد زكي: «لو كان المسيحُ إلهاً، كما يحلو للكنائس أن تزعم، فهل ينهرُ بطرسُ الإنسانُ الرّبَّ إلَهَه؟ هل سمعتَ عزيزي القارئ أنّ مخلوقاً ينهر (أي يؤنّب) خالقَه!؟ هذا في الشاؤوليّة الكنسيّة جائز. لأنّهم فعلوا أكثر من ذلك مع إلههم. بصقوا في وجهه. وجلدوه. ثمّ صلبوه. ودفنوه. وأقاموه. لقد جعلوه عجينةً في أيديهم يشكّلونه كيفما يشاؤون. فساعةً يؤنّبوه (كذا). وساعةً يبصقون في وجهه. وساعةً يجلدونه. وساعةً يقتلوه (كذا)» (ص ٥٩٤).

٢١. وعلى قول المسيح في متّى: "إنِ اتّفق إثنان منكم على الأرض في أيِّ شيء يطلبانه، فإنّه يكون لهما من قِبَل إلهي" (١٨/ ١٩)، يعلّق السيّد زكي: «مرّةً أخرى.. لو كان عيسى هو الخالق الرازق، كما يعتقد بعضُ المضلّلين، فلماذا قال: "مِن قِبَل إلهي"، ولم يقل مِن قِبَلي؟!» (ص ٦٢١٩.

٢٢. وعلى قول واحدٍ للمسيح: "أيّها المعلّم الصالح.. فقال له: لماذا تدعوني صالحاً. ليس أحدٌ صالحاً إلاّ واحد وهو الله" (متّى ١٩/ ١٦)، يعلّق السيّد زكي: «مرّة أخرى نقدّم هذا النّصَّ الصريحَ والواضحَ هديّةً للبابوات والكرادلة والأساقفة، وإلى الذين يظنّون أنّهم أتباع المسيح، وما هم إلاّ أتباع شاؤول والمجمّعات الكنسيّة الوثنيّة. كما نقدّم هذا النّصَّ الصريحَ إلى جميع أفراد النّصارى الذين يشعرون بالضياع وسط هذه الأناجيل والمعتقدات المتناقضة، وأصبحوا لا يعرفون ماذا يصدّقون وماذا يكذّبون.. إنّي

لاستغرب للكنيسة التي جعلت من عيسى إلهاً كيف نسيت أن تشطب هذا النّصَّ من أناجيلها؟!“ (ص ٦٣٣ ــ ٦٣٤).

٢٣. وعلى قول المسيح في متّى (٢٠/ ٢٠ ــ ٢٣): ”أمّا الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلاّ الذين أعدّ لهم من إلهي“، يعلّق السيّد زكي: قول المسيح هذا، «نقدّمه هديّة للكنيسة التي جعلت المسيح هو الله نفسه، وبادئ الأشياء كلّها وعلّتها. بينما نرى هنا أنّ إلهها الذي فبركَتْه لا يقدر أن يُجلسَ اثنين من أحبّ تلاميذه إليه عن يمينه ويساره؟! بالله! ألا يَنسفُ هذا عند كلّ ذي عقل سليم كلَّ المعتقدات الشاؤوليّة الكنسيّة التي ألّهت عيسى؟» (ص ٦٥٥).

٢٤. وعلى باعة الهيكل في متّى (٢١/ ١٢ ــ ١٣)، يعلّق السيّد زكي: «إنّه لمن الغريب أن يصنع عيسى سوطاً يطرد به الباعةَ والصيارفة، لأنّه، إذا كان هو الله، كما تزعم الكنيسة، فيكفي أن يقول للشيء كن فيكون، كأن يقول للباعة اختفوا فيختفوا» (ص ٦٧٤).

٢٥. وعودة إلى شجرة التّين وجوع يسوع (متّى ٢١/ ١٨ ــ ٢٢)، يعلّق السيّد زكي: «قولهم: ”جاع“، إنّ الله الحقيقي.. لا يجوع. وقولهم: ”لعلّه يجد فيها شيئاً“، إنّ الله الحقيقي بكلّ شيء عليم.. فلو كان عيسى إلهاً لعرف سلفا أنّه ليس فيها إلاّ ورقاً. وقولهم: ”لأنه لم يكن وقت التين“، إنّ الله الحقيقي هو خالق الفصول الأربعة.. وليس من المعقول أن يكون عيسى إلهاً، ولا

يعرف الفصول، وأنّ الوقت ليس وقت التين، وإلاّ لعرف أنّها بغير ثمر قبل أن يصلها. وقولهم: "تعجّب التلاميذ"، إن صحّ هذا فهذا دليل على أنّهم كانوا ينظرون إليه كإنسان، لأنّه لو كان في نظرهم إله (كذا) لما تعجّبوا. وقولهم: "لو كان لكم إيمان"، لو كان عيسى إلهاً لقال لهم: "لو كنتم آلهة مثلي"، أو "أبناء آلهة" لاستطعتم أن تفعلوا مثلي"» (ص ٦٧٦ ــ ٦٧٧).

٢٦. وعلى قول المسيح عن موعد الساعة الأخيرة ونهاية العالم وجهله لهما (متّى ٢٤/ ٣٦)، يعلّق السيّد زكي: «يقرّ (المسيح)، أوّلاً، بأنّ له إلهاً واحداً لا يعلم الغيب إلاّ هو. وثانياً، هو يتكلّم عن شيء يجهله. وهذا إقرار منه أنّه ناقصُ علْم.. إذ كيف يكون هو الدّيّان ولا يعرف ذلك اليوم، ولا تلك الساعة. فهل يجتمع العلم والجهل في الإله، بينما أي قاضٍ صغيرٍ، في محكمة الصلح، يعرف اليومَ والساعةَ التي سينظر فيها القضيّة» (ص ٧٢٧ ــ ٢٨).

٢٧. وعلى مؤامرة اليهود على قتل المسيح في دار قيافا (متّى ٢٦/ ٣ ــ ٥)، يعلّق زكي: «إنْ كان عيسى هو الله، فهل يُعقل أنْ يُصدِرَ قيافا، وهو المخلوق، حكمَه بالإعدام على الله الخالق؟! إنّ هذا تخريفٌ. لا يقول به إنسان عنده ذرّةُ عقل» (ص ٧٤٦).

٢٨. وعلى قول متّى: "أخذَ الكأسَ وشكرَ" (٢٦/ ٢٦)، يعلّق السيّد زكي: «إنّنا نسألهم: "شكر" مَن!؟ لا شكّ أنّه شكر الله رازقَ الخبز والطعام. وهذا ينفي الألوهيّةَ عنه. لأنّه لو كان إلهاً، فالإله لا يَشكرُ الإله» (ص ٧٦٨).

٢٩. وعلى قول المسيح في متّى: "لا أشربُ بعدُ من نتاج الكرمة إلى أنْ أشربه في ملكوت الله" (٢٦/ ٣٠)، يعلّق السيّد زكي: «هنا دليل قاطع على أنّ المسيح ليس إلاّ بشراً. وليس فيه ذرّة من الألوهيّة لا في الدنيا ولا في الآخرة. لماذا؟.. لأنّ الإله لا يأكل ولا يشرب» (ص ٧٧٣).

٣٠. وعلى ما قاله يسوع: "نفسي حزينة جداً حتّى الموت. الآن نفسي قد اضطربت" (متّى ٢٦/ ٣٨)، يعلّق السيّد زكي: «الله الحقيقي لا يقول هذا.. إذ لو كان إلهاً واضطرب، كما يزعمون، لاضطرب معه الكونُ كلّه بنجومه وأفلاكه وأرضه وسمائه. لكنّ شيئاً من هذا لم يحدث. لأنّه ببساطة ليس إله (كذا) » (ص ٧٨٨).

٣١. وعلى طلب يسوع من الله: "أيّها الأب! نجّني من هذه الساعة" (متّى ٢٦/ ٣٩ أ)، يعلّق السيّد زكي: «أين هذا من زعم الكنيسة أنّه الأقنوم الثاني في الألوهيّة المساوي لله!.. لو كان هو الله، أو مساوٍ لله، لاستطاع أن ينقذ نفسَه بنفسِه» (ص ٧٨٨).

٣٢. وعلى قول يسوع: "ولكن، ليس ما أريدُ، بل كما تريد أنت" (٢٦/ ٣٩ ب)، يعلّق السيّد زكي: «نحن هنا أمام إرادتَين مختلفتَين: إرادة الله وإرادة المسيح. وقد فرّق المسيحُ بينهما بكلّ وضوح. وجعل إرادتَه تستسلم لإرادة الله. ولو كان المسيح هو الله، لكانت إرادتُه واحدة من نفس إرادة الله» (ص ٧٨٨ ــ ٧٨٩).

٣٣. وعلى قول متّى عن يسوع: "وخرّ على وجهه" (٢٦/ ٣٩ ج)، وقول مرقص: "خرّ على الأرض" (١٤/ ٣٥)، وقول لوقا:

"جثا على ركبتّيه" (٢٢/ ٤١)، يعلّق السيّد زكي: «خرّ على الأرض، وخرّ على وجهه، تعبيران خشنان.. أما لوقا فلطّفه قليلاً.. وهذا دليل آخر نسوقه لمن لا يزالون مضلّلين، يؤكّد لنا أن عيسى كان عبداً لله، وليس الله، ولا إله مع الله» (ص ٧٨٩ ــ ٧٩٠).

٣٤. وعلى قول لوقا: "وظهر ملاك في السماء يقوّيه. وإذ كان في جهاد، كان يصلّي بأشدّ الحاجة. وصار عرقُه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض" (٢٢/ ٤٣ ــ ٤٤)، يعلّق السيّد زكي: «من حقّنا أن نسأل: إن كانت التقوية لعيسى الإله الكامل فهذا هراء، لأنّ الإله الكامل لا يحتاج لأحد من خلقه ليقوّيه؛ أمّا إنْ كانت التقوية لعيسى الإنسان، فسؤالنا عندها كيف انفكّ عن اللاّهوت الذي زعمت الكنيسة أنّه التحم به!.. ثمّ.. هل الإله يعرق؟! إنّ الإله الذي يعرق، أو تخرجُ منه إفرازات، يا سادة، ليس بإله» (ص ٧٩١ ــ ٧٩٢).

٣٥. وعلى ما روت الأناجيل بأنّ المسيح صُلب، وهو إله، يعلّق السيّد زكي: «من حقّنا أن نسألَ جميع الشاؤوليّين: إذا كان المصلوب هو الله.. فكيف يقول: "في يديكَ أستودع روحي!؟". إنّ الإله الذي يستودع روحَه عند إله آخر ليس بإله. بينما الله الذي يستردّ جميعَ الأرواح، بعد موت أصحابها، ويودعها عنده، هو الإله الأزلي الحقيقي» (ص ٨٥٢).

٣٦. وعلى قول مرقص: "وجلس عن يمين الله" (١٦/ ١٩)، يعلّق السّيد زكي: هذا «القول.. يثير تساؤلاً: إذا كانت السماء كرسيَّ الله، والأرضَ موطئَ قدمَيه، فأين جلس المسيح؟!

خارجَ السماء والأرض!؟. والسؤال الذي يطرح نفسَه: كيف يجلسُ المسيحُ عن يمين الله، والشاؤوليّون الكنسيّون يقولون إنّه هو الله؟! أليسَ هذا دليلاً آخَر على استحالة تطبيق العقائد الكنسيّة على عيسى، وأنّ الله ليس عيسى، ولا يمكن أن يكون عيسى هو الله؟!» (ص ٨٨١).

٣٧. وعلى ما جاء في إنجيل يوحنّا (١/ ١٨): "اللهُ لم يره أحد"، يعلّق السيّد زكي: «وهذه حقيقة يعرفها الجميع. ولكن، إذا كان الله لم يره أحد، فكيف جعلوا من عيسى إله (كذا)، وعيسى رآه كلّ مَن عاصره!

ولو كان عيسى حقّاً هو الله لما ميّز نفسَه عن الله بقوله: "إلهي أعظم منّي" (يوحنا ١٤/ ٢٨)؛ ولما قال عن الله: "لم تسمعوا صوتَه قط، ولا أبصرتم هيأته" (٥/ ٣٧). وأكثر من ذلك، لما قال عن نفسه أنّه نبيّ (متّى ٢٣/ ٥٧).. إذ لم يسمع أحدٌ بأنّ الإله كان في الأساس نبيّاً. وكان الأولى بالكنيسة أن تسحب الأناجيل الثلاثة الأولى المتداولة في الأسواق التي ذكرت أنّ عيسى كان نبيّاً، أن تغلق ورشة النجارة التي كان يعمل فيها قبل أن تُنزل إنجيلَها الرابع إلى السوق التي جعلت من عيسى فيه إلهاً يسبق الخلق كلّهم» (ص ٨٩٢، ٨٩٤ ــ ٨٩٥).

تأليه عيسى هذا الذي تتكلّم عنه الكنيسة، هو من صنع شاوول بولس، وغايته من ذلك، في نظر السيّد زكي، أن يُبقي الأممَ في ضلالهم، وتبقى الجنّةُ خالصةً لليهود وحدَهم. والكنيسة، التي

أنشأها شاؤول، وقعتْ في ما خطّط لها اليهود. فكانت المجامع الكنسيّة، البابوات والكرادلة والأساقفة والقساوسة، كلّهم ليدعموا مخططَ شاؤول.

وأهم مجمع عُقد لهذه الغاية كان مجمع نيقية سنة ٣٢٥. قال فيه السيّد زكي: «والقساوسة الذين اجتمعوا في نيقية، وقرّروا تأليه عيسى قد غشّوا الأمّة المسيحيّة قاطبة، بجهلهم الفاضح، أو نيّتهم الخبيثة. وقبل ذلك غشّوا أنفسَهم» (ص ٢٥٧).

ويتساءل السيّد زكي: كيف يقبل المسيحيّون اليوم بمقولة التجسّد الإلهي! كيف هو هذا الالتحام بين الله والجسد البشري!.. كيفَ يغيبُ عن ذهن الفاتيكان المبجّل أنّ الله لا يتجسّد؛ لأنّ الجسد البشري لا يحتمل الإلوهة.. كما وإنّ الإله المتجسّد ليس بإله، لسبب بسيط هو أنّه إنْ حلّ في مكان يشغله، يخلو منه بقيّة العالم.. ثمّ إنّ الله المتجسّد، أين ترك ألوهيّتَه عندما تجسّد؟ ومَن الذي ائتمنه عليها طيلة ثلاث وثلاثين عاماً؟» (ص ٤٦).

والأغرب من هذا كلّه، في عمليّة التجسّد، أنّ الحسابات الفلكيّة لم تلعب دورَها، والكنيسة لم تعرْها ما تستحقّ. «فالمسيح يعترف بأنّه، وهو على الأرض، له إله في السموات، أي يبعدُ عنه بلايين السنين الضوئيّة. لكنّ الكنيسةَ القديمة، بعبقريّة قساوستها من الإسكافي والحافي والجاهلي والانتهازي، اختزلوا المسافات الفضائيّة، ولحَمُوا اللهَ الذي ليس كمثله شيء مع عيسى الإنسان، بدمه، وعظمه، ولحمه، وشحمه... ألا يوجد عاقل واحد بين

الشاؤوليّين الكنسيّين يسأل قساوستَه كيف اختزلوا تلك المسافات الفلكيّة؟! وما هي مادّةُ اللّحام التي استعملوها في لحامهم حتّى أصبحا شخصاً واحداً، أو كيف التحمَ الأزلي بالفاني، والكامل بالناقص، والخالق بالمخلوق، أي الإله بالطِّيْن والطّين بالإله، ومن كان الشاهد على ذلك الالتحام؟!..

وباختصار الكلام، «إنّ جعل عيسى الإله المتجسّد.. كان أكبر خدعة في تاريخ الأديان، قام بها شاؤول والمجمّعات الكنسيّة القديمة لجَرِّ البشريّة نحو الوثنيّة، ومنها إلى جهنّم، لتبقى الجنّة لليهود» (ص ٣٨٢)...

وقد لا يكون لأحد خلاص إلاّ باعتناق ديانةٍ لا يزال التوحيدُ فيها قائماً، خالصاً من كلّ شائبة، هي الديانة الإسلاميّة، بدون شكّ. إنّها «لا تتهاون مطلقاً في التجديف على الله. وجزاءُ مَن يفعلُ ذلك هو الإعدامُ في الدنيا، والنارُ الأبديّةُ في الآخرة» (ص ٥٢٦).

***

وأخيراً، لا بدّ من ملاحظتَين بسيطتين على نظرة المسلمين كافّة إلى هويّة يسوع المسيح:

أوّلاً ــ إنّ المسلمين يقبلون بعيسى القرآن على أنّه نبيّ عظيم، فيما يرفضون يسوع الإنجيل على أنّه شخصيّة مزوّرة؛ ذاك، لأنّ الإنجيل، الذي يتكلّم عليه، في نظرهم، كتاب حرّفتْه الكنيسة، وخبّأتِ النسخةَ الأصليّة التي جاء بها عيسى من عند الله، كما جاء محمّد بالقرآن من «اللّوح المحفوظ».

ثانياً ــ إنّ مفهوم المسلمين للوحي ولكتب الوحي يختلف اختلافاً تاماً وجوهرياً عن مفهوم الكنيسة والمسيحيّين. فالوحي في الإسلام «إنزال» حرفيّ على محمّد؛ والوحي في المسيحيّة «إلهام» للذين كتبوه. ذاك مقيّد بالحرف؛ وهذا خاضع لحرّيّة الذين كتبوه. لهذا لا يجب على المسلمين، ولا يحقّ لهم أن يتعاملوا مع نصوص الإنجيل كتعاملهم مع آيات القرآن[٤٠]. ولهذا، أيضاً، نأخذ على المسلمين كافّة مفهومَهم الحقيقي لهويّة يسوع المسيح الحقيقيّة.

---

(٤٠) رَاجع: فصل «الوحي»، في كتابنا «**المسيحيّة في ميزان المسلمين**»؛ وأيضاً في كتابنا «**بين المسيحيّة والإسلام**» الذي يلي هذا الكتاب.

الفصل السابع
صلب المسيح عيسى

جاء في سورة النساء (٤/ ١٥٧ ــ ١٥٩): «وَقولِهِم (أي اليهود): إنّا قَتَلْنا المسيحَ عيسَى ابنَ مريمَ، رسولَ اللهِ. (وقول الله): **وَما قَتلُوهُ. وَمَا صَلَبُوهُ. ولَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ.** وَإنَّ الّذِيْنَ اخْتَلَفوا فيه لَفِي شَكٍّ منه. مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّبَاعَ الظَّنِّ. **ومَا قَتَلوهُ يَقِيْناً. بل رَفَعَهُ اللهُ إليهِ.** وكان اللهُ عزيزاً حكيماً. وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاّ لَيُؤمِنَنَّ به، قَبْلَ مَوتِه، ويومَ القيامَةِ يَكُونُ عَليهم شَهيداً».

يقولُ المسلمون: إنّ روايةَ الإنجيل في صلْبِ المسيحِ وقتْلِه مرفوضةٌ قَطعاً، علمياً وتاريخياً ولاهوتياً. وما حرصهم على نفي الصلب والقتل عن عيسى إلاّ من باب حرصهم على ما جاء في القرآن. فالمسيح لم يُصلَب ولم يُقتل؛ بل شُبِّه لليهود ذلك. والصلبُ والقتلُ إنّما وقعا على غير عيسى، أي على شخصٍ **يُشبهه**. وحاشا للمسيح أن يُصلب ويُقتل على أيدي أعدائه، بهذا الشكل المهين واللّعين، كما تروي الأناجيل. فاللهُ لا يُرسِلُ أنبياءَه إلى العالَم، لينتصرَ العالَمُ عليهم. فاللهُ هو الغالب لا العالَم.

يؤكّد المسلمون، منذ البدء، نفيَ الصلب والقتل عن عيسى. ويستندون إلى القرآن والأحاديث النبويّة؛ ويعتمدون على الاختلاف بين روايات الأناجيل وتناقضها؛ ويأخذون ببعض الشيع النصرانيّة، وبنوع خاص، "الظاهريّة"، و"الأبَولونيّة"، و"الدُّوسِت"، التي تعلّم بأنّ المسيحَ لم يُصلَب ولم يُقتل. بل وقع الصلبُ والقتلُ على الشَّبَه؛ أو أنّ المسيحَ، العنصرَ الإلهي، انفصل عن يسوع عند الصلب والموت...

ويهزأ المسلمون من المسيحيّين الذين يتّهمونَ اللهَ الأبَ بقتلِ ابنِه، حبّاً بالبشر. ويعجبون من إلهٍ يقتله الناس ويموت، ولا يدافع، وهو الإله الكلي القدرة، عن نفسه؛ بل يجعل أعداءَه الأشرار ينتصرون عليه. لقد غلبَ الشرُّ الخير؛ وانتصر الشيطان على الله. أيُّ عقلٍ يمكنه أن يقبل مثلَ هذا المنطق؟!

فها **الناشئ الأكبر** يتعجّب من إلهٍ أزليّ يُقال إنّه يُصلب ويُقتل. كما يعجب من قول النصارى بأنّ القتل جرى على النّاسوت دون اللاّهوت، فيما النّاسوت واللاّهوت في عيسى جوهران متلاحمان لا ينقسمان. يقول: «إنّ من مات فقد بطل ودثر. والأزلي لا يجوز عليه ذلك.. والذين قالوا: إنّ المسيح جوهران وأقنومان ليقسموا كلامهم فيقولون: "مات من جهة ناسوته، ولم يمت من جهة لاهوته".. فلا وجه لإطلاق القول»[١].

---

(١) **الكتاب الأوسط في المقالات**، ص ٨٣ ــ ٨٤. عن الشرفي، ص ٣٩٣.

ويتعجّب **الحسن بن أيّوب** من الله الذي أرسلَ عيسى لخلاص البشر، فيفتكُ به البشر ويهلكونه؟! «هل تقبل العقول ما يقولون من أنّ إلهاً نال عبادُه منه مثلَ ما تذكرون أنّه نِيل منه؟!»(٢).

ويقول **القاضي الباقلاني**: إنّ مصدر القول بالقتل والصلب هم أربعة إنجيليّين يجوز عليهم الكذب. وما قالوه وَهْمٌ وظنّ: «خبّرونا عن اتّحاد الابن بالجسد، أكان باقياً موجوداً في حال وقوع القتل والصلب به، أم لا؟ فإنْ قالوا: كان باقياً موجوداً، قيل لهم: فالذي مات مسيح من طبيعتَين: لاهوت هو الابن، وناسوت هو الجسد. فيجب أن يكون ابن الله القديم قد مات، كما قُتل وصلب، لأنّ جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت. وإذا صار الابن عند القتل ميتاً، لم يجز أن يكون في تلك الحال إلهاً، لأنّ الإله لا يكون ميتاً ولا ناقصاً، ولا ممّن يجوز عليه الموت. ولو جاز ذلك عليه، لجاز موت الأب والرّوح.

«وإنْ قالوا: إنّ الاتّحاد بطُل عند القتل والصلب، قيل لهم: فيجب انتقاض الاتّحاد عند القتل والصلب. ويجب أيضاً ألاّ يكون المقتول مسيحاً، لأنّ الجسد عند انتقاض الاتّحاد ومفارقة المتَّحد به ليس بمسيح. وإنّما يكون الجسد وما اتّحد به مسيحاً مع ثبوت الاتّحاد ووجوده. فإذا بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن إنساناً، ولا معنى لقولهم: إنّ المسيح قُتل وصلب»(٣).

---

(٢) **الجواب الصحيح**، ٢/ ٣١٩ ــ ٣٢٠.

(٣) **كتاب التمهيد**، ص ١٧٤.

ويقول أيضاً: «إذا كان الصلبُ والقتلُ يجوزان على الابن، فيجوزان أيضاً، لا محالة، على الأب. والنّصارى ينكرون هذا، ويجوّزون ذاك. فكيف يكون ذلك؟»[٤].

وكذلك القاضي **عبد الجبّار** يتّهم الإنجيليّين بالكذب في نقلهم صلب عيسى وقتله. وينكر الصلبَ لأنّ الصلبّ قد يغيّر صورة المصلوب. ثم يقول بأنّ المسيحَ كان بين حاضري الصلب إلى جانب أمّه. ولذلك قال له المصلوب: "هذه أمّك".

ويقول أيضاً في إنكار الصلب: «إنّ الصلب بعد القتل قد يغيّر صورةَ المصلوب ويشبّه حاله بغيره. فمتى نُقل جاز أن تشتبه الحالُ فيه»[٥].

ويقول أيضاً: «وفي الإنجيل أنّ المسيح كان قائماً في ناحية في موضع الصلب، وأنّ مريم أمَّ المسيح جاءت إلى الموضع، فنظر إليها المصلوب فقال لها، وهو على الخشبة: هذا ابنك. وقال للمسيح: وهذه أمّك، وأنّ مريم أخذت بيده، ومضت من بين الجماعة»[٦].

ويلوم النصارى الذين يستمرّون في تعنّتهم، فيقول: «قلنا للنصارى: فكم في هذا من دلالة على أنّ المقتول المصلوب غير المسيح. فأنتم، لا إلى حجج العقول تَرجعون، ولا إلى ما كتبتم

---

(٤) **كتاب التمهيد**، ص ٩٧ ــ ٩٨.

(٥) **المغني**، ٥/ ١٤٣.

(٦) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٤٣.

وسطّرتم تتدبّرون، ولا على ما نعلَم تعوّلون. ولكنّكم تمشون مكبّين على وجوهكم»(٧). ويعجب قائلاً: «عجباً لإلهٍ يُضرب رأسُه! تعالوا فانظروا إلى الإله يُلطم ويُضرب على رأسه!»(٨).

ويؤكّد **أحمد بن حسن الهاروني** أنّ المصلوب كان شبيهاً بعيسى ألبسَه بعضُ اليهود ثيابَ عيسى، وستروا وجهه، ثم قتلوه. وأوهموا الباقين بأنّه هو عيسى لا غيره. قال:

«واختلف أهل العلم في كيفيّة التشبيه. فذهب الأكثر إلى أنّه تعالى ألقى شبهَ عيسى صلّى الله عليه على رجل من أصحابه، فظنّوا أنّه عيسى. وهذا التأويل عندي سائغ. وذهب بعض العلماء إلى أنّ اليهود، لمّا لم يجدوا عيسى، لأنّ الله كان قد رفعه إليه، أخذوا رجلاً من أصحابه، فألبسوه مثل ثيابه، وستروا وجهَه، ثمّ قتلوه، وصلبوه، وأوهموا الباقين أنّهم قد قتلوا المسيح صلّى الله عليه. والذين فعلوا ذلك من اليهود كانوا عدداً يسيراً من رؤسائهم. وهذا أيضاً محتمل وجائز»(٩).

«وكذلك يُسألون عن موت المسيح وصلبه، فمن قول الملكيّة والنسطوريّة إنّ الموت والصلب إنّما وقع على النّاسوت خاصّة. فيقال لهم: فأنتم في قولكم مات المسيح وصلب كاذبون، لأنّه إنّما

---

(٧) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٤١.

(٨) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٠٤.

(٩) هو أحمد بن الحسين (+ ٤١١/ ١٠٢٠) في كتابه **إثبات نبوّة النبي**، ص ١٥٣ ــ ١٥٤. عن الشرفي، ص ٣٨٥، حاشية (٢٨).

مات نصفه وصلب نصفه فقط؛ لأنّ اسم المسيح عندكم واقع على اللاّهوت والناسوت كليهما معاً، لا على أحدهما دون الآخر».

أمّا **ابن أبي عبيدة الخزرجي**، فيطول كلامُه في إبطال دعوى الصلب. ويستند، في إبطاله هذا، إلى الإنجيل نفسه. يقول:

١. «ما معنى قول يهوذا الأسخريوطي، حين خرج مع اليهود إلى طلب عيسى، وقال لهم: "إنّي لأستحي منه. ولذا فسوف أجعل الأمارة عليه ــ حيث أنّكم لا تعرفونه بعينه ــ أن أقبِّلَه. فإذا فعلتُ فأنتم وذاك" (متى ٢٦/ ٤٨). فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه. وهذا منصوص في إنجيلكم»[١٠].

٢. ثمّ حين أحاط اليهود بعيسى ومَن معه، خرج بنفسه إليهم وقال: "من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري. قال: أنا هو. فنظروا إلى يهوذا نظرةَ تساؤل عن الإشارة التي اتّفقوا معه عليها ففعلها. فقبضوا عليه.. ورفعه الله، كما رفع أخنوخ النبيّ.

ولعلّكم صدقتم يهوذا الإسخريوطي في دلالته عليه. وفي نصّ إنجيلكم أنّه مرتدّ كافر ملعون. فشهادته إذاً غير جائزة. أو لعلّه، عندما عاينه وأدركتْه الندامة، جعل الإمارة على غيره من التلاميذ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه.

٣. «ثمّ إنّ الإنجيل عندكم ناطق بأنّ عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم، يَعظهم

---

(١٠) **مقامع الصلبان، أو بين الإسلام والمسيحيّة**، ص ١٩٢

ويعلّمهم ويناظرهم، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله، حتّى كانوا هم يقولون: أليسَ هذا ابن يوسف؟ أليست أمّه مريم؟ أليس أخواه عندنا؟ فمن أين له هذه الحكمة؟

«وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، فَلِمَ نصّ الإنجيل على "أنّهم وقتَ ما أرادوا القبضَ عليه لم يحقّقوا، حتّى دفعوا لأحد تلاميذه، وهو يهوذا، ثلاثين درهماً ليدلّهم عليه.

«فلمّا جاء قال: السلام عليك. ثمّ قبّله. فقال له يسوع: لماذا جئتَ يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه. وتركه التلاميذ كلّهم وهربوا. (ص ٢٠١ ــ ٢٠٢).

٤. «ثمّ في الإنجيل أيضاً: أنّ يسوع، عليه السلام، كان مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم، عليه السلام، وقال لهم: مَن تريدون؟ قالوا: يسوع. وقد خفي شخصُه عنهم. ففعل ذلك مرّتَين (يو ١٨/ ٤ ــ ٨)، وهم ينكرون صورتَه. وما ذلك إلاّ دليل الشّبه. ورُفع عيسى عليه السلام. لا سيّما وقد حكى بعضُ منكم أنّ المسيح أُعطي قوّة التحوّل من صورةٍ إلى صورة» (ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣).

ويستمرّ الخزرجي، بمنطقه، يرفض عمليّة الصلب. ويركّز رفضه على تحليل نصوص الإنجيل، وعلى تصديق القرآن. غير أنّه لم يعيّن "الشَبَه" الذي صُلب مكان عيسى.

أمّا **شهاب الدين القرافي** فيقول: إنّ الصلب مرفوض لأسباب استخرجها من روايات الأناجيل نفسها:

أحدها: قال لوقا: صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنّا. فبينما هو يصلّي إذ تغيّر منظر وجهه عمّا كان عليه، وابيضّت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلّتهم، فوقع النومُ على الذين معه. فظهور الأنبياء، وتظليل السحاب، ووقوع النوم على التلاميذ، دليل ظاهر على الرفع إلى السماء وعدم الصلب. وإلاّ فلا معنى لظهور هذه الآيات.

ثانيها: لقد استسقى المصلوبُ اليهودَ، فأعطَوه خلاً مذاقاً بمرّ... والأناجيل مصرِّحة بأنّه عليه السلام كان يطوي أربعين يوماً وأربعين ليلةً. ويقول للتلاميذ: إنّ لي طعاماً لستم تعرفونه. ومَن يصبر أربعين يوماً على العطش والجوع، كيف يُظهر الحاجة والمذلّة والمهانة لأعدائه وأعداء الله، بسبب عطشِ يومٍ وليلة؟!

وثالثها: قوله: إلهي إلهي لِمَ خذَلتَني فتركتَني. وهو كلام يقتضي عدم الرضاء بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله. وعيسى منزّه عن ذلك. فيكون المصلوب غيره[١١]..

وأخيراً، إنّ القرافي لم يعيِّنْ هويّةَ الشبه.

وينقل **شيخُ الإسلام ابن تيميّة** عن النصارى أنّهم يقولون بصلب المسيح من أجل التكفير عنهم. ولم يتمّ ذلك من دون حيلةٍ ماكرةٍ منه على إبليس. يقول:

---

(١١) **الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة**، ص ٥٤.

«والنصارى يقولون: إنّ المسيح، الذي هو عندهم اللاّهوت والناسوت جميعاً، إنّما مكّنَ الكفّارَ من صلْبه ليحتالَ بذلك على عقوبةِ إبليس. قالوا: فأخفى نفسَه عن إبليس لئلاّ يعلم. قالوا: ومكّن أعداءَه مِن أخذِه وضربِه، والبصاقِ في وجهِهِ، ووضعِ الشوك على رأسه، وصلبِه. وأظهر الجذع من الموت وصار يقول: يا إلهي! لِمَ سلّطتَ أعدائي عليّ، ليخفى بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليسُ أنّه الله، أو ابن اللّه، ويريد إبليس أن يأخذ روحَه إلى الجحيم، كما أخذ أرواحَ نوح وإبراهيم وموسى وغيرِهم من الأنبياء والمؤمنين، فيحتجّ عليه الرّبّ حينئذٍ ويقول: بماذا استحللتَ يا إبليس أن تأخذَ روحي؟ فيقول له إبليس: بخطيئتك. فيقول: أنا لا خطيئة لي. «قالوا: فلمّا أقام اللهُ الحجّةَ على إبليس جاز للربّ حينئذٍ أن يأخذ إبليسَ ويعاقبَه ويخلّصَ ذرّيّة آدم من إذهابهم إلى الجحيم»[١٢].

يطول كلامُ السيّد **منصور حسين عبد العزيز**، في إنكار وقوع الصلب على المسيح. وننقل عنه ما نجده طريفاً في تحليله لما يؤمن به المسيحيّون كافّةً وينكره المسلمون عامّة. يقول:

«إنّه بينما يؤمن المسيحيّون أنّ هذا الذي قُبض عليه وحوكم وصُلب هو المسيح، عليه السلام، يجري اعتقاد المسلمين على أنّه يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيحَ سيّدَه»[١٣].

---

(١٢) ابن تيميّة، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ٢/ ٨٧.

(١٣) **دعوة الحق، أو الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام**، الباب الثاني بعنوان: «في

١. بعد استعراض المزامير التي يعتمد عليها المسيحيّون ليؤكّدوا عمليّة صلب المسيح، يعتمد عبد العزيز على المزامير نفسها ليؤكّد أنّ عمليّة الصلب هذه لم تُنَفَّذ إلاّ في الإسخريوطي، عدوِّ المسيح. ثمّ ينقل المزامير التي تشير إلى دعاء المسيح لله أن يخلّصه من الصلب؛ كما ينقل الآيات التي تشير إلى تخليص الله للمسيح من الصلب ورفعه إليه؛ والآيات التي تشير إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلاً من المسيح ثم يستنتج:

«وهكذا يَبِين بكلّ جلاء، أنّ المزامير إنّما تتنبّأ بصلب يهوذا الإسخريوطي بدلاً من المسيح، عليه السلام، فتعطينا أوصافاً للمصلوب نعلم منها أنّه لا يمكن أن يكون المسيح، وإنّما يهوذا الذي خانه... فهذا الذي خزي وخجل ولحق به العار لا يمكن أن يكون المسيح، وإنّما يهوذا الذي خزي وخجل ولحقه العار حتّى يومنا هذا، حتّى أنّه أضحى يُضرب به المثل على الخيانة والغدر».

٢. ثمّ يقول عبد العزيز: «إنّ الذين توجّهوا للقبض عليه (المسيح) لم يكونوا يعرفونه[١٤]، وما كانوا ليتعرّفوا عليه لو رأوه أمامهم، وإلاّ لما كانوا بحاجة لعلامةٍ من يهوذا حتّى يعرفوه، ولكفاهم أن يدلّهم على مكانه ليذهبوا إليه بأنفسهم فيقبضوا عليه. وإذا كان هذا هو حالهم بالنسبة للمسيح، فمن بابٍ أَولى يكون هذا هو حالهم بالنسبة لتلاميذه، إذ هم أقلّ أهمّيّة منه بالنسبة لهم، فهم

الحقيقة، بين صلب المسيح أو عدم صلبه»، ص ٦٥.

(١٤) بحسب ما جاء في متّى ٢٦/ ٤٧ ــ ٤٨؛ ومرقس ١٤/ ٤٣ ــ ٤٤...

لهذا لا يعرفون أيّاً من تلاميذ المسيح، بما فيهم الإسخريوطي بطبيعة الحال الذي لم يعرفوه من قبل أن يلجأ هو إليهم.

ثمّ إنّ لقاء يهوذا برؤساء الكهنة لا بدّ من أن يكون ليلاً، وتحت جناح الظلام لئلا تشتهر خيانته. و«لا نحسب أنّ مثل هذا اللقاء يمكن أن يترك في أذهان رؤساء الكهنة أو الجند، صورةً لهذا الشخص تعلق بذاكرتهم فلا ينسوه» (ص ٢٠٤).

سألهم المسيح مَن تريدون؟ فقالوا: يسوع النّاصري. فقال لهم إنّه هو. فلما قال لهم إنّي أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض (يو ١٨/ ٦). وكانت الفرصة بأن يرتفع المسيح من بينهم، وبقي يهوذا وحده وسطهم، يشاهد ارتفاعَ المسيح، إذ كان في المقدّمة. وتمكّنوا من القبض عليه بدلاً من المسيح. واستسلم يهوذا لهم، ندماً على خيانته معلّمَه.

و«يتكرّر سكوت المقبوض عليه، كلّما سئل عن حقيقة شخصيّته، فلا يجيب بشيء. ولنا أن نتساءل: لو كان هو المسيح حقّاً ففيمَ سكوته... إنّه يهوذا وليس المسيح. إنّه يهوذا وقد ندم فأبى أن ينطق بغش فيدّعي أنّه المسيح» (ص ٢١٩)...

٣. وعن مصير الجسد الذي صُلب، يعتقد المسيحيّون بأنّ المسيح هو الذي صلب ودفن وقام. ولذا لم يوجد الجسد في القبر في اليوم الثالث[١٥]. يقول عبد العزيز: «فمن هذه الآيات نعرف أنّه

---

(١٥) اجتمع رؤساء الكهنة مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضّةً كثيرة قائلين:

قد أشيع، بعدَ عدمِ العثور على جسد المصلوب في قبره، أنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه. وقد شاع هذا القول إلى يوم كتابةِ إنجيل متّى عند اليهود.

ولسنا نعرف، كيف تحقّق كاتب هذا الإنجيل من أنّ ما أشاعه العسكر كان بناء على اتّفاقهم على ذلك مع رؤساء الكهنة والشيوخ؟!. فلسنا نعتقد أنّ هؤلاء العسكر على صلة بتلاميذ المسيح. ولذا فليس ببعيدٍ أن يكون بعضُ الناس، أيّاً كان قصدهم، قد سرقوا الجسد بالفعل، سواء أكانوا من أتباع المسيح، أو من أعدائه... كما أن سرقة هذا الجسد هو أوّل ما تبادر إلى ذهن مريم المجدليّة عندما اكتشفت عدم وجود جسد المصلوب في قبره.

٤. وعن قيام المسيح من الأموات وظهوره لبعض الأشخاص، يقول عبد العزيز: «وللمرء أن يعجب، إذ يقرأ أنّ مريم المجدليّة، وهي من أعرف العارفين بالمسيح، تلقاه، وقد علمتْ بعدم وجوده في القبر، ثمّ لا تعرفه، أفيكون هذا هو المسيح حقّاً؟!

٥. وعن هويّة تلميذَي عمّاوس، يقول عبد العزيز: «فأيّ عقلٍ يصدّق ويقطع بأنّ هذا الذي كان معهما هو المسيح حقّاً، وخاصّة أننا بصدد شخص يقال أنّه صلب وقبر، ويقال أيضاً أنّه رُفع إلى السماء! وهل يكفي هذا الذي قال به المنطلقان للقول والإيمان بأنّ هذا الذي كان معهما هو المسيح حقّاً! بالقطع لا.

قولوا إنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام (متى ٢٨/ ١١ ــ ١٥).

«ثمّ ما معنى ما ذكره إنجيل مرقس عمّن قال إنّه قابل هذين المنطلقَين باعتباره المسيح! ولكنّه ظهر لهما بهيئة أخرى! فأيّ هيئة أخرى هذه التي قصدها إلاّ أن يكون بشكل رجلٍ آخر ليس له شكل المسيح. ولمجرّد أنّه أخذ منهما خبزاً وكسر وناولهما ظنّا أنّه المسيح. ويختفي الرجل. وله العذر أن يفعل، فقد أشيع أنّ المسيح صُلب، ولو أشيع أنّه هو نفسه المسيح، فهل ينتظر غير الصلب، فيختفي؟ ويقولون بعد هذا إنّه المسيح؟ فأيّ عقل يصدّق هذا؟ ثم لِمَ يستبعِد البشيران متّى ويوحنا هذه الرواية؟ ألا يوحي ذلك بأنّه حتّى هما لم يطمئنّا إليها؟» (٢٤٦ ــ ٢٤٧).

٦. ويسأل عبد العزيز: كيف يستدلّ المسيحيّون من العهد القديم على أن الذي صلب هو المسيح لا يهوذا الإسخريوطي؟ يقول إنّ المصلوبَ في المزمور **٢٢** يعرّفنا بنفسه فيقول: "أمّا أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر". ويعلّق فيقول: لقد «وجدنا بحقّ أنّ هذا الوصف لا يمكن أن يكون مقصوداً به المسيح، عليه السلام، الذي لم يكن ليكون إلاّ فخراً للبشر ومجداً لهم، ولا يكون المصلوب هنا عاراً عند البشر إلاّ أن يكون هو يهوذا الإسخريوطي، كما يجري اعتقاد المسلمين وليس المسيح، عليه السلام، كما يعتقد المسيحيّون. فيهوذا هو الذي لحقَ به العار إلى يومنا هذا لخيانته المسيح سيّده»: (ص ٢٥١).

وفي قول المزمور: "وأُحصي مع أثمة"، يقول عبد العزيز: «هذا القول لا ينطبق على المسيح، بل على يهوذا، إذ يقول الكتاب

في الإصحاح نفسه: "أمّا الرّب فسرّ بأن يسحقه بالحزن". ولا يتصوّر أنّ الربّ يسرّ بأن يسحق المسيح بالحزن. وإنّما هو يسرّ فعلاً بأن يسحق يهوذا بالحزن جزاءاً وفاقاً لخيانته المسيحَ سيّدَه» (ص ٢٦٠).

وثمّة مثال آخر هو ما جرى بين إبراهيم وإسحق والكبش الذي افتُدي به. فالمسيحيّون، تارة يرمزون عن المسيح بإسحق؛ وطوراً بكبش الفداء. وهم، إذا ما رمزوا عنه بإسحق عليهم أن يكمّلوا فيقولوا بأنّ الله خلّص إسحق، فعليه أيضاً أن يخلّص المسيح. والكبش يكون، بدون شكّ، يهوذا الذي صُلب بدلاً منه (ص ٢٦٩).

٧. ثمّ يسأل عبد العزيز: كيف لا يستدلّ المسيحيّون من العهد القديم على تخليص الله للمسيح وصلب يهوذا بدلاً منه؟ فيجيب: لنأخذ على سبيل المثال المزمور ٢٠، فهو يتنبّأ بكلّ جلاء وقطع، بأن "الربّ مخلّص مسيحه"؛ ويقطع بأن ذلك التخليص سيكون لحظة محاولة القبض على المسيح، بوصفه الأعداء بأنّهم "قادمون بمركبات وبخيول"؛ لا كما يقول المسيحيّون، بأنّ تخليص المسيح كان في يوم القيامة. فالمزمور يتكلّم على التخليص لحظة فيها مركبات وخيول، وليس في القبر (ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧).

٨. وأخيراً، يقول عبد العزيز: «إذا كان الله قد أراد أن يمتحن إيمانَ مسيحِه، فأوحى إليه بأنّه يريد له أن يُصلب. فإذا كان الأمر كذلك، فليس طبيعيّاً أن يعرف المسيحُ مقدِّماً أنّ الله

مخلِّصُه من الصلب ورافعُه إليه عندما يحاول الأعداء القبضَ عليه، وإلاّ لَفَقَدَ الامتحانُ قيمتَه كامتحان... تماماً كما لو عرف إبراهيم مقدِّما أنّ الله لن يدعه يذبح وحيده الذي يُحبّه. فأي معنى كان سيكون لامتحانه بعد ذلك؟» (ص ٣١٧).

ويستعرضُ داعيةُ العصر **أحمد ديدات** نصوص الأناجيل ليكتشف فيها أنّ عيسى هو نفسه الذي صُلِب، ولكنّه لم يمت[١٦]. ويقدّم الحجج التالية:

أوّلاً ــ عن ذهاب يسوع وتلاميذه إلى البستان، يسأل: لماذا ذهبوا جميعاً إلى ذلك البستان؟ ألكي يصلّوا؟ كلاّ! لقد ذهبوا إلى البستان ليكونوا في موقف أفضل بالنسبة لموضوع الدفاع عن معلّمهم وعن أنفسهم!.. هذا وقد كانوا، على ما تقول النصوص، مدجَّجين بالسلاح كما يقتضي موقف الدفاع والكفاح (ص ٣٤).

ثانياً ــ ويقول ديدات إنّ اليهود لم يقتلوا المسيح: «لو صحّ قتل اليهود للمسيح فعلاً لصحَّ ادّعاءُ اليهود بأنّ عيسَى ليس هو المسيح الذي وُعدوا به» (ص ١٥).

ثالثاً ــ ويقول عن نوم التلاميذ في البستان: «إنّ نظريّة (لوقا) عن نوم الرّجال بتأثير الحزن إنّما هي نظريّة فريدة. فهل في مثل هذا الظرف يمكن للإنسان أن يستسلم للنوم؟! أم أنّ

---

(١٦) أحمد ديدات، **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٨ ص مع الأصل الإنكليزي.

التلاميذ ناموا بعد أن أكلوا كثيراً وشربوا خموراً فأتخمتهم الأطعمة وأسكرتهم الخمر؟» (ص ٤٢).

رابعاً ــ ثمّ أين كان تلاميذه الأبطال الّذين كانوا يدقّون بأيديهم على صدورهم قائلين: "نحن مستعدّون، يا سيّد، أن نموت من أجلك، ومستعدّون أن نذهب إلى السجن فداءً لك". يقول القديس مرقس، وهو من أوائل من دوّنوا الإنجيل، دون خجلٍ أو وجل، يقول: "فتركه الجميع وهربوا" (١٤/ ٥٠) (ص ٤٨).

خامساً ــ وعن إعجاب المسيحيّين بهزيمة معلّمهم، يقول: إنّ الحرفيّين من أصحاب الإنجيل قد ابتدعوا مرضاً جديداً هو الافتتان بالخِسَّة والعار. وكلٌّ منهم، ذكوراً وإناثاً، لن تُعوزهم الحيلة كي ينسبوا خطاياهم وآثامهم وفُسوقهم وسُكرهم وعربدتهم إلى هذا المشجب. ويبدو أنّ الإنسانَ يلزمه أن يكون من حثالة البشر ليكون عضواً في زمرة "الذين وُلدوا من جديد" born again (ص ٥٠).

سادساً ــ وعن استجابة الله دعاء يسوع ساعةَ الصلب، يقول ديدات: إن القديس بولس يؤكّد أنّ الدعاء لم يقع على آذان صمّاء: "وسمع له من أجل تقواه" (عب ٥/ ٧). جاء في إنجيل لوقا: "وظهر له ملاكٌ من السماء يقوّيه"» (لو ٢٢/ ٤٣) (ص ٧٤).

وأنقذه اللهُ فعلاً، بسبب:

١. التوكيد المطئن من السماء.

٢. يجده بيلاطس غيرَ مذنب.

٣. زوجة بيلاطس وفيها تُنبئ بأنّ عيسى يجب ألاّ يمسه أذى.

٤. لم تقطع ساقاه.

٥. اليهود يتعجّلون إنزاله عن الصليب.

«الملحوظة الرابعة "لم يقطعوا ساقيه" تفيد ما يلي: لو حُفظتْ عظامُ الضحيّة من الأذى، فإنّها تكون نافعة له فحسب لو ظلّ حيّاً. وبالنسبة لشخص مات فعلاً، فإنّ سلامة عظامه لا تفيده بشيء. وسواء كانت قد قطعت أو هشّمت، فهي لن تفيد الجسم الذي مات» (ص ٧٦). وعندما يقول يوحنّا: "فلمّا جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنّهم رأوه قد مات" (يو ١٩/ ٣٣)، فإنّه يقصد أنّ الجند قدّروا أنّه مات، إذ لم يكن لديهم جهاز "استيذوسكوب" حديث للتحقّق من الوفاة، ولا كان أحدهم قد لمس جسده، أو قاس ضغط دمه، أو نبضه، لكي يخلص إلى نتيجة أنّه كان "قد مات فعلاً" (ص ٧٨).

سابعاً ــ وعن غزّة الرمح والدم والماء، يقول ديدات: «غزّة الرمح جاءت لتنقذه. وبخروج شيء من الدم استطاعت الدورة الدمويّة أن تستعيد مسارها وعملها وإيقاعها.. وهنا أيضاً يؤكّد يوحنّا بقوله: "وعلى الفور" (يو ١٩/ ٣٤) ممّا يُعَدّ دليلاً مؤكّداً على أنّ يسوع كان حيّاً» (ص ٨٤)

ثامناً ــ وعن معنى الرعد والكسوف والزلزال، يقول ديدات: ذهب يوسف وقائد المئة إلى بيلاطس وطلبا جسد يسوع.

"فتعجّب بيلاطس أنّه مات كذا سريعاً. فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات" (مر ١٥/ ٤٤). ماذا كان سبب تعجّب بيلاطس؟ كان يعرف، بحكم تجربته وخبرته، أنّ أيَّ رجلٍ لا يمكن أن يموت على الصليب في غضون ثلاث ساعات» (ص ٨٦). ولذلك ارتاب اليهود في أنّ يسوع ما زال حيّاً. وكان كلّ شيء يدعو للارتياب:

١. كان طريق الاقتراب من المقبرة سهلاً متاحاً.

٢. زميلاه على الصليب لا يزالان أحياء.

٣. لم تُقطع ساقاه بينما قُطعت ساقا كلٍّ مِن رفيقَيه.

٤. التصريح السهل السريع الذي منحه بيلاطس للحصول على جثمان يسوع.

«ولهذه الأسباب، هرعوا إلى بيلاطس» (ص ٩٠). وطلبوا منه حرّاساً على القبر، لأنّهم أدركوا غلطتهم، إذ قالوا له: "مُرْ بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلاّ.. فتكون الضلالة الأخيرة شرّاً من الأولى" (متى ٢٧/ ٢ ــ ٦٤).

تاسعاً ــ ثمّ السؤال الكبير حول ذهاب مريم المجدليّة وحدَها، ومع زيت لتمسح يسوع، يقول ديدات: «لماذا ذهبت هنالك؟ هل ذهبت هنالك لكي تمسح عليه بالزيت، كما يخبرنا القديس مرقس؟ (١٦/ ١). والسؤال الثاني: هل جرى العرف بين اليهود أن يمسحوا جسد المتوفّى بالزيت في اليوم الثالث لوفاته؟.. لكن هنالك معنى، ومعنى كبير ومفهوم: وهو أنّ مريم المجدليّة كانت تبحث عن شخص حيّ لتساعده بالدهن.

وكانت تتساءل مَن يدحرج لها الحجر ولكنّها وجدتْه بقربها معتقدةً أنّه البستاني، كما يقول يوحنّا، وقد سألها: "يا امرأة لماذا تبكين" مَن تطلبين؟" (يو ٢٠/ ١٥). وقد تنكّر يسوع بلباس بستاني «لأنّه خائف من اليهود! ولماذا يخاف من اليهود؟ لأنّه لم يمت. ولو كان قد مات وقام لما كان ثمّة داعٍ للخوف».

«وإذ تظنّ المجدليّة يسوعَ في تنكّره، تظنّه البستاني، فإنها تقول: "يا سيّد! إنْ كنتَ أنتَ حملتَه فقلْ لي أين وضعتَه؟" إنّها لا تبحث عن جثّة.. تبحث عن إنسانٍ حيّ..

«تأخذه معها؟ أين؟ ماذا تفعل بميت عندما تأخذه معها؟.. ليس في مقدور يهوديّة مرفّهة كي تحمل جسماً ميتاً يزن ما لا يقلّ عن مائة وستّين رطلاً (ص ١٠٠).

لكنّ عيسى يقول لها: "لا تلمسيني". ولمَ لا؟ هل هو حزمة مكهربة، أم مولّد كهربي لو تلمسه تصعق؟ كلاّ. "لا تلمسيني" لأنّها ستسبّب له ألماً...

وفي قوله: "لم أصعد بعد"، يعني لم أمت حتّى الآن. ولمّا سمع الحواريّون أنّه حيّ وقد نظرته مريم المجدليّة "لم يصدّقوا" (مر ١٦/ ١١) (ص ١٠٢).

١. مريم المجدليّة تشهد أنّ يسوع حيّ!

٢. رفيقا الطريق إلى عمّاوس يشهدان أنّه حيّ!

٣. تقول الملائكة أنّ يسوع حيّ! (لو ٢٤/ ٢٣).

٤. رجلان كانا يقفان قرب النسوة يقولان لهنّ "لماذا تبحثن عن

الحيّ بين الموتى؟" (لو ٢٤/ ٤ ــ ٥). ومعنى ذلك أنّه حيّ.

ومع كلّ ذلك لن يصدّقوا!!» (ص ١٠٤ ــ ١٠٦).

عاشراً ــ ويقول الداعي ديدات عن الأبواب المغلقة في العلّيّة: «وبينما كان تلميذا عمّاوس يخبران المستمعين المتشكّكين أنّهما قد قابلا يسوع بجسمه الحي، يدخل يسوع، وتُقفل الأبواب خوفاً من اليهود.. ولكن، لماذا استغرق عيسى وقتاً طويلاً جدّاً لكي يصل إلى الحجرة العلويّة.. تأخّر في المجيء. هل كان من الممكن أن يكون يداوي جراحَه في الطريق؟

ولم يكن بحاجة إلى أن يقرع الباب» (ص ١٠٨ ــ ١٢٠).

حادي عشر ــ وأخيراً، يذكر الداعي ديدات عاملَ الوقت. هل هو ثلاثة أيام وثلاث ليال؟ يقول: «معظم المسيحيّين يعتقدون أنّ ذلك قد تمّ يوم الجمعة بعد الظهر، منذ قرابة ألفَي عام مضت... ومن المفروض أنّه كان بداخل المقبرة يوم السبت وليل يوم السبت. ولكن صباح يوم الأحد، عندما زارت مريم المجدليّة المقبرة وجدتْها خاوية خالية... فيكون «مجموع الوقت: يوم واحد وليلتان. وحاول ما استطعتَ، لن تجدَ أبداً ثلاثة أيّام وثلاث ليال.. وحتّى أينشتاين، أكبر أساتذة الرياضيّات، لا يجدي نفعاً في هذا» (ص ١٤٤ ــ ١٤٩).

أمّا **د. مصطفى شاهين،** ينكر موت المسيح على الصليب إنكاراً جازماً، ويعتبر أنّ ما تعرّض له يسوع، وهو على الصليب، حال إغماء، لا أكثر ولا أقلّ. وهو يقدّم البراهين من نصوص الأناجيل نفسها. وهو، بالتالي، ينكر أنْ يكونَ هنالك بديلٌ شبيهٌ

بالمسيح صُلب مكانه. وأدلّته على ذلك كثيرة، مأخوذة من الداعي أحمد ديدات[١٦].

أمّا **سليم الجابي**[٤٢] فيأخذ أدلَّتَه من فم المسيح نفسه، الذي تنبّأ وقال: "جيلٌ شرّير فاسق يلتمس آيةً، ولا تُعطى له إلاّ آية يونان النّبيّ" (متّى ١٦/ ٤). ويونان هو الذي ابتلعه الحوت وهو حيّ، ولفَظَه بعد أيّام وهو حيّ أيضاً... والمشابهة بين عيسى ويونان هي «في تعليق المسيح على الصليب، وهو حيّ، وفي إنزاله عنه، وهو حيّ أيضاً. أي إنّ النبوءة أشارت بوضوح إلى عدم موت المسيح الناصري على الصليب» (ص ١٠).

وفي تعليقه على شربِ المصلوب خَلاً، يقول الجابي: «إنّ ما زعمه متّى خَلاً لم يكن إلاّ ذاك المزيج من الخلّ والمرارة نفسه. هذا المزيج الذي كان الأطبّاء الجرّاحون يستعملونه في ذاك التاريخ كمادّة تخدير للمرضى.. وإلاّ فلا يُعقل أن يحملَ أحدُ المتفرِّجين مزيجاً من خمرٍ ومرارة، ولا يقوم صاحبُ هذا المزيج بالإقدام على سقاية المسيح، وهو يصيح، تخفيفاً له من آلامه.

وتعليقاً على قول المسيح: "ولي خراف أخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي وتكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد» (يوحنا ١٠/ ١٦)؛ يقول السيّد الجابي:

---

(١٦) **النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة.**

(٤٢) **هل مات المسيح على الصليب؟** سلسلة سليم الجابي، ٩؛ دمشق، ١٩٩٥.

«هذه الأقوال تعدُّ قرينة واضحة على أنّ المسيح الناصري، إنْ مات على الصّليب. فلا يعود قادراً على الهجرة لتبشير جميع الخراف الضالّة التي ليست هي من حظيرة فلسطين» (ص ١٠٧).

والغاية من نزول المسيح حيّاً من على الصليب، على ما يبدو، هي في هجرته إلى شتات بني إسرائيل، حيث هم؛ وإلى تبشير العالم، وبخاصّة أعالي جبال نيبال والتبت وكشمير. يقول الجابي: «فما خطر لأحدٍ من هؤلاء الباحثين.. أنّ تعاليم المسيح النّاصري قد تركت بصماتها على البوذيّين وليس العكس» (ص ١٥٢ ــ ١٥٣).

والدليل الثابت على هجرة المسيح إلى خارج وطنه يأتي من معنى اسمه: «إنّ كلمة "المسيح"، كما يقول الجابي، اشتُقّت من السياحة أصلاً. ولا يُسمّى إنسانٌ ما لم يُغادر وطنَه إلى غيره من الأوطان» (ص ١٥٦).

أمّا **نبيل الفضل**[٤٣] فيقول: إنّنا «نجد القرآن يقول: إنّ عيسى لم يصلب ولم يُقتل، وإنّه إنّما شُبِّهَ للناس ذلك... ومفسّرو القرآن يقولون: إنّ اليهود صَلَبوا شخصاً يشبه عيسى.. والذي حيّرني هو السؤال الآتي: «هل من المعقول أن يخطئ اليهود فيعتقلون ويطلبون ويقتلون إنساناً آخر لمجرّد أنّه يشبه عيسى؟ لم أقتنع بقصّة الشبه هذه» (ص ٥٩).

---

(٤٣) **هل بشّر المسيح بمحمّد؟** رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠.

فنبيل الفضل يعترف بالصلب إذاً. ولكنّ عمليّة الصلب هذه لم تكن سبباً للموت. المسيح هو نفسه الذي صُلب، وليس سواه.

ثمّ إنّ «كلمة "شُبِّه لهم" لم تكن تعني أنّه كان هناك إنسان شبيه بعيسى، عليه السلام، وصَلَبَه اليهود ظنّاً منهم بأنّه المسيح... بل إنّها تعني أنّهم اشتبهوا في موته، ولم يتيقّنوا من موته. ولذلك تنتهي الآية بقوله سبحانه وتعالى: "وما قتلوه يقيناً" (سورة النساء ٤/ ١٥٧).

والقبر أيضاً يسمح لنا بإنكار الموت. قال الفضل: «إنّ اليهود كانوا يضعون الجسد الميت في تجويفٍ منحوتٍ في الصخر، ثم يغلقون عليه حجراً، ويسمّونه قبراً أو ناووساً. وهذا التجويف في الصخر عادة ما يكون واسعاً ليسمح لحاملي الميت بالدخول والحركة. ومن ثمّ، فإنّ هناك اتساعاً وهواءً يكفي لتنفّس الإنسان إذا كان موجوداً هناك بعد إغلاق باب التجويف بالحجر.

وقصّة الطيوب التي اشترتها المجدليّة هي أيضاً فيها نظر، يقول الفضل: «ترى في أي تقاليد أو شعائر أو عادات، وفي أي شعوب أو أمم، نجد فيها الناس يدهنون الميت بالحنوط بعد وفاته ودفنه بثلاثة أيّام؟!

«"لا تلمسيني. لأني لم أصعد بعد إلى أبي" (يو ٢٠/ ١٧)، أي إنّني لم أمت وأنتقل إلى رحمة الله بعد. فأنا حيّ. والحيّ يحسّ الجراح، ويتألّم من ملامستها. «ها هو المسيح نفسه يقرّ بأنّه لم يمت. يقرّها بطلبه من المجدليّة بأن لا تلمسه. ولو كان المسيح قد

قام من الأموات لما همّه أن تلمسه مريم المجدليّة وأن تحضنه، لأنّه سوف لن يحسّ بألم الجراح في جسده عندما تلمسه أو تحضنه» (ص ٩٥).

أمّا مقولة **المفتي حسن خالد**، في صلب عيسى، فعلى ظاهر القرآن. ويميل إلى أنّ الذي صُلب هو يهوذا بدلَ عيسى[٤٨]. يقول: إنّ الأناجيل «تقطع بأمر الصلْب: فكيف يدلُّ يهوذا على المسيح؟! وكيف يقول له المسيح: يا صديق! يا صاحب! لِمَ أقبلت؟ وهو الذي دلّ عليه؟! وهو المفسِد الآثِم إثماً كبيراً! وكيف يشهد المسيح لتلاميذه الإثني عشر بالسعادة، وقد وقع من بعضهم هذا الذي وقع؟! أليس يحمل هذا على الظنّ بإمكانيّةِ أن يكونَ المسيح قد ذهب من الجماعة الذين أطلقهم الأعوان؟!»[٤٩].

وأمّا **أحمد زكي** فبراهينه كثيرة[٥٠]. وهي من الإنجيل، ولكنّه يستخدمها ليبرّر مقولةَ القرآن. وهو يخالف المسلمين في مَن صُلب مكان المسيح. يقول: إنّ ملاكاً نزلَ فخلّصه من أعدائه، واستبدله بشبيهٍ له صُلب مكانه. ولكنّه لا يعيّن هويّة "الشبيه"؛ سوى أنّه من "العالم الخارجي". قد يكون "ملاكاً"، أو "جنِّياً"، أو "مخلوقاً آخر" أوجده الله خصّيصاً لهذه الغاية. يقول: «هل سمعتَ أنّ القتلَ يُسمّى حبّاً؟! كيف جعلوا اللهَ قاتلاً، بينما القاتل

---

(٤٨) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة.**

(٤٩) **موقف الإسلام...** ص ٦٧٩؛ انظر أيضاً: ٥٩٩ ــ ٦٠١؛ ٦٧٣ ــ ٦٨٥.

(٥٠) في كتابه: **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح.**

هو بيلاطس، وقيافا، رئيس كهنة اليهود... فما شأن اللهِ الذي زجّوا باسمِه في هذه الجريمة المزعومة النكراء؟ فقيافا هو الذي خطّط، وبيلاطس البنطي الذي نفّذ.

ويحقّ للمرء أن يتساءل: إذا كان المسيحُ هو الله. وإذا كان اللهُ قد صُلب وقُتل ومات. فمَن هو ذاك الذي كان، في موته، يهتمّ بالكون وما فيه!!!

ويتساءل المرء أيضاً: أيُعقل أن يَقْتلَ المخلوقُ خالقَه!! بأي منطق يقال مثل هذا الكلام؟! وهل يُعقل أن يبصقَ المخلوقُ في وجه خالقه؟ ويجلده؟ ويكلّله بالشوك؟ ويُسقيه خلاً ومرّاً؟ ويطعنه بالرّمح؟ ويعرّيه من ثيابه حتى تبان عورتُه؟ ويرفعه على خشبة العار؟ ويحكم عليه شرَّ ميتة؟ كيف ذلك؟ ثم كيف؟

أمّا **الدكتور أيّوب**، بمحاولته التوفيقيّة، يفسّر تفسيراً شخصيّاً لم نجدْه عند مسلم سواه. فهو يعترف بأنّ المسيحَ نفسَه صُلب ومات. ويقرّ بأنّ معنى "شُبِّه لهم" أي اشتبه عليهم الأمر، ولم يعودوا يميّزوا مجريات الأحداث. وبالتالي، فإنّ القرآن لا يجزم، لا بصلبِ المسيح ولا بعدم صلبه[٥١] (ص ٦٥).

وكذلك **عبد المجيد الشرفي**، الباحث بامتياز في ردود المسلمين، يقول في قتل عيسى وصلبه: «نفى القرآن أن يكون اليهود قتلوا عيسى أو صلبوه. فهل تعني هذه الآية أنّه قُتل

---

(٥١) **الحوار مع المسيحيّن في منظور إسلامي**، في كتاب: **نحو الجدال الأحسن**.

وصُلب، ولكن على غير أيدي اليهود! أم أنّه لم يُقتل ولم يُصلب البتة؟ لا شيء مبدئيّاً يمكّننا من ترجيح أحد الاحتمالَين إن اقتصرنا على النّصّ القرآني وحده ولم نعتمد السنّة التفسيريّة التي بتّت في اتّجاه نفي الصلب...

«فليس من المستبعد أن يكون إنكارُ قتلِ اليهودِ عيسى وصلبهِ من باب المجادلة المقصود بها التنقيص من شأن المجادلين، لا سيّما أنّ كلّ الأحداث المتعلقة بحياة المسيح لم تزل، منذ القديم، محلَّ أخذ وردّ واختلاف. ولا أحد يستطيع ادّعاء اليقين فيها.

يُضاف إلى هذا أنّ إقرار القرآن بـ"رفع عيسى" في الآية الموالية يتّفق والعقيدة المسيحيّة في هذا "الرفع" (ص ١١٩).

الفصل الثامن
الفداء والخلاص والكفّارة

إنّ المسلمين، جميعهم، بسبب رفضهم ألوهيّة المسيح وصلبه، يرفضون أيضاً الفداء والكفّارة والخلاص وقيامة المسيح التي هي عربون قيامة الأموات وأساسُها. والسبب هو أنّ الإنسانَ وحدَه يتحمّل وزرَ أعماله. وليس مِن مخلِّصٍ أو فادٍ منه، إلاّه.

يقول **علي بن ربّن الطبري**: «إنّ سببَ إرسال الله ابنَه من السماء هو مناوأةُ الشيطان الذي عجز عنها الأنبياء.. إلاّ أنّ الشيطان أخذه، وقتله، ثمّ صلبه على يدي شرذمة من أحزابه»[(١)].

لكنّ «الفداء لم يعط ثمارَه. بل العكس حصل: فبدلاً من أن يكون المسيح مُغيثاً للناس، صار هو مستغيثاً بالله من الشيطان.. وما أحسن أنّ هاجياً هجا الله منذ قامت الدنيا، ولا مدحَ الشيطانَ مادحٌ أكثر ممّا يقوله النصارى من ذلك؟ إنّهم زادوا الشيطان تمرّداً»[(٢)].

---

(١) ابن ربّان الطبري، **الدين والدولة**، ص ١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١ و٢٧.

ويعرض **القاسم بن إبراهيم الحسني** عقيدة النصارى بالفداء، بطريقته الخاصّة، فيعتبر اتّخاذ الابن جسداً آدميّاً ليس إلاّ تنكّراً منه، ليحتال على الشيطان، ويخلّص البشر من بين يديه»[٣].

أمّا الغريب فهو في ما يقول **أبو جعفر الطبري** (ت ٣١٠/ ٩٢٣)، الذي يكاد يكون فريداً بين المسلمين. يقول: «والنصارى يزعمون أنّه توفّاه الله سبع ساعات من النهار، ثمّ أحياه الله فقال له: إهبط فانزل على مريم المجدلانيّ في جَبَلها، فإنّه لم يبكِ عليكَ أحدٌ بكاءَها، ولم يحزنْ عليكَ أحدٌ حزنَها. ثم لتَجمَعَ لكَ الحواريّين. فبثَّهم في الأرض دعاةً إلى الله. فإنّك لم تكن فعلتَ ذلك (من قَبل). فأهبَطَه اللهُ عليها. فاشتعلَ الجبلُ حين هبط نوراً. فجمعتْ له الحواريّين. فبثَّهم. وأمرهم أن يبلِّغوا الناسَ عنه ما أمره به الله. ثم رفعه إليه فكساه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب. فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش. فكان إنسيّاً مَلَكيّاً سمائيّاً أرضيّاً. وتفرّق الحواريّون حيث أمرهم»[٤].

أمّا **الحسن بن أيّوب**، وهو نصرانيْ اعتنق الإسلام، فقد كان أشدّ تهكّماً من سواه. قال: «إنّ الابن الذي جاء ليخلّص البشر، لم يخلّصهم. بل لقد أصبح الشيطان، بعد مجيئه، أعتى ممّا كان. فلا الخطيئة أُبطلتْ، ولا الموت تلاشى، ولا الخلاص أتى، ولا الشيطان رُبط. بل العكس حصل..

---

(٣) **ردّ الحسني على النصارى**.

(٤) **تاريخ الطبري**، ١/ ٦٠٢ ــ ٦٠٣.

ثمّ إنْ كانت الخطيئة بطلتْ بمجيئه، فالذين قتلوه إذاً ليسوا خاطئين ولا مأثومين، لأنّه لا خاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة. وكذلك أيضاً الذين قتلوا حواريّيه وأحرقوا أسفارَه غيرُ خاطئين. وكذلك مَن يُرى من جماعتكم، منذ ذلك الدهر إلى هذا الوقت، يَقتل ويسرق ويَزني ويلوط ويسكر ويكذب ويركب كلَّ ما نُهي عنه من الكبائر وغيرها، غيرُ خاطئين.

ويقول أيضاً إنّ الهالكين هالكون بسبب خطاياهم، والناجين ناجون بسبب أعمالهم الصالحة. فلا شأن للمسيح ولا لصليبه، لا بهلاك الهالكين، ولا بنجاة الناجين»[٥].

ويردّد **مؤلّف مجهول** ما قاله الحسن بن أيّوب: «زعمتم أنّ الشيطان هو دلّ على عيسى وسلّطه عليه وأمكنه منه، فهلاّ ربط عيسى الشيطانَ عن نفسه وامتنع منه، إنْ كان الشيطان هو فعل ذلك به، كما زعمتم! معاذ الله أن يفعل الله ذلك. عيسى أكرم على الله من أن يفعل ذلك به. ولكنّكم قوم تجهلون».

كما يرفض المؤلّف المجهول أن يكون عيسى نزلَ إلى الجحيم ليخلّص نفوسَ الأنبياء السابقين والأبرار الصدّيقين. فلو كان الشيطان مسلّطاً على هؤلاء لما تمكّن عيسى من تخليصها[٦].

أمّا **القاضي عبد الجبّار** فيقول إنّ النصارى لا يخافون عذابات جهنّم، بسبب أنّ المسيح قد مات من أجل أن يخلّصهم منها:

---

(٥) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ٢/ ٣٥٢ ــ ٣٥٣.

(٦) **الردّ المجهول المؤلّف والعنوان**، ص ٢٨ ــ ٢٩.

«قلّما تجد منهم مَن يخاف عذاب الآخرة، لأنّهم يعتقدون أنّ المسيح إنّما قتَل نفسَه ليقيهم من الذنوب والعذاب، وأنّه جالسٌ عن يمين أبيه، وأمُّه جالسةٌ ممّا يلي يساره. فهي تتلقّى الذنوب إذا طلعتْ وتقول لابنها: سلْ يا بُنَي أباك الربَّ غفرانَها، فهو، عندهم، يغفرها ويسأل أباه غفرانَها»[٧].

ويقول **الغزالي** عن افتداء الله لبني آدم ولجميع الأنبياء والأولياء وتخليصهم من الجحيم، وذلك بإرساله ابنَه إليهم، وصلبِه من أجلهم. وذلك كلّه في غاية الحمق؛ «لا أقالَ اللهُ لهذه العصابة النَّوكَى عثاراً»[٨]..

أمّا **أبو عبيدة الخزرجي** فيقول إنّ الله لم يستطع ــ بزعم النّصارى ــ أن يغفر خطايا آدم وذرّيته، إلاّ بإرساله ابنَه للصلب والموت. بذلك يخلّصهم، وينتصف لنفسه منهم. ثمّ يقول: إنّ هذا لغاية الظلم ونهاية الجَور. لقد نسب النصارى إلى الله تعالى ما يُنسب إلى شرار الآدميّين من الحقد والغائلة.

«أخبرني أيّها المغرور عن رجل أخطأ عبدُه في حقّه، فبقي بعده مدّة غاضباً عليه، ساكتاً على معاقبته، حتّى ولد لنفسه ولداً، فعمد إلى قتله بذنب العبد؟

---

(٧) **تثبيت دلائل النبوّة**، ص ١٩١.

(٨) **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل**، ص ١٤٢/ **النَّوكى**، الذين بلغوا غاية الحمق.

«أخبرني! ما الذي أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفاً لديكم بهذه الشتائم، وهو أبو البشر، والله قد تاب عليه واجتباه؟.

«أخبرني أيّها المغرور عن موسى! كيف نفهم أنّ الله تعالى أدخله الجحيم وأخلده فيها بعد أن كلّمه واصطفاه وفضّله وبعثه إلى عباده نبيّاً وهادياً؟ وكذلك إبراهيم الذي كان قد اتّخذه خليلاً واصطفاه وفضّله بهدايته ونبوّته وأظهر على يديه توحيده؟»[٩].

وأمّا **شيخ الإسلام ابن تيميّة** فيقول عن النّصارى، بأنّهم، في قولهم بالصلب والفداء، إنّما يشتمون اللهَ شتماً لم يشتمْه قبلَهم ولا بعدهم أحد. «فهم من أبعد الأمم عن توحيده، وتمجيده، وحمده، والثناء عليه. وذلك أنّهم يزعمون أنّ آدم، لمّا أكل من الشجرة، غضبَ الربُّ عليه وعاقبه، وأنّ تلك العقوبة بقيت في ذريّته إلى أن جاء المسيح وصُلب، وأنّه كانت الذرّيّة في حبسِ إبليس. فمن مات منهم ذهبتْ روحه إلى جهنّم في حبس إبليس، حتّى قال ذلك في الأنبياء، نوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وغيرهم»[١٠].

وينقل عن النصارى أنّهم يقولون بصلب المسيح كفّارة عن ذنوب آدم وذرّيّته؛ وذلك بأن احتالَ على إبليس وسلّمَه نفسه.

---

(٩) **مقامع الصلبان**، أو "**بين الإسلام والمسيحيّة**"، ص ٢١١؛ ٢١٤ ــ ٢١٥

(١٠) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، ١/ ٢٢١.

وفي رأي **عبد الله العلمي**، إنّ إسناد لقب "مخلّص" إلى المسيح ليس خاصّاً به وحده... ثمّ «إنّ المسيح لم يخلّص جميع العالم، ولم ينجّهم. بل بقي أكثرهم في حالة الهلاك إلى هذا اليوم. وإنّ مشروطيّة الخلاص بشرط الإيمان مزيّة مخصوصة بكلّ رسول ونبيّ. وليست خاصّة بالمسيح وحده». ثمّ إنّ المسيح لم يخلّص جميعَ الأمم، ولا حتّى الأمم النّصرانيّة (ص ١٩٠).

وكذلك إسناد لقب "فادي" إلى المسيح فهو إسناد مجازي لا حقيقيّ، لـ «أنّ الفداء يُسند إلى الله حقيقة وإلى غيره مجازاً. وموسى جاء "فادياً" كالمسيح تماماً.

ثمّ «إنْ كان المسيح فدى الناس بلاهوته، فقد لزمك القول بأنّ اللاّهوت صلب ومات ودفن. وإنْ كان فدى الناس بناسوته فقد نفى أن يكون الإنسان فداء الآخر. فإذا كان الذي تألّم وصلب وقتل هو الناسوت الإنساني فقط، لم يصلح أن يكون "فادياً"» (١٩١ ــ ١٩٨).

وعن فداء عيسى يقول **داعي العصر أحمد ديدات** متهكّماً: «لماذا يعرض عيسى عليهم (أي المسيحيّين) الحل "المستحيل" بضرورة حفظهم للشريعة، وهو أمر لا طاقة لهم به، إذا كان هناك سبيلاً (كذا) أيسر "للخلاص" على وشك الحدوث؟ ألمْ يعلم المسيح ما كان سيحدث وأنّه كان سيصلب؟ ألم يكن هنا عهداً (كذا) بين الآب و"الابن" قبل بداية العالم بشأن دمه الفادي الذي كان سيراق؟! هل فقَدَ المسيح ذاكرته؟ كلاّ! فلم يكن هنا مثل هذا الاتفاق

الخيالي المختلق للتضليل في ما يتّصل بعيسى. فقد كان يعلم أنّه لا يوجد سوى طريقاً واحداً (كذا) إلى الله، وكان هذا الطريق كما قال عيسى، عليه السلام: "احفظ الوصايا"!»[١١].

وعن الخلاص من الآثام، يقول ديدات، وهو، على ما يبدو، يردّ على قسّيس بروتستانتي يقول بأنّ الخلاص بالإيمان بيسوع المسيح لا بما يستحقّه الإنسان نتيجة أعماله، يقول: «الخلاص من الآثام رخيص الثمن في المسيحيّة! لا يتعيّن على المسيحي أن يصوم ويصلّي ويستقيم في حياته، كما يلزم بذلك المسلم. على المسيحي فقط أن يؤمن، والخلاص من الذنوب مضمون له»[١٢].

ويعتبر **الشيخ محمّد علي برّو العاملي** عقيدةَ الفداء غير مقبولة في العقل، ولا تنطبق على الله، ولا على الإنسان الذي يتحمّل مسؤوليّة أعماله وحده. يقول: «قد فتح بولس باب العصيان والفساد للمسيحيّين على مصراعيه بفتحه باب الغفران بالاعتراف عند رجال الدين. ومن هنا فتحتِ الكنيسة باب الغفران وباعت صكوكه، وقسمت الجنّة إلى قطاعات باعتها لأصحاب الأموال، فجنتْ بذلك الأموالَ العظيمة.

«وهذا ما شجّع المسيحيّين على الاستهتار بالمحرّمات وارتكاب جميع أنواع المعاصي بحيث لم يبق هناك محرَّمٌ في المجتمع المسيحي، وخاصة الغربي؛ ولذا لا يشعر الكثير منهم بأي

(١١) **المسيح في الإسلام**، ترجمة وتعليق محمد مختار، ١٩٩٠؛ ص ١٤٣ ــ ١٤٤.

(١٢) **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي الجوهري؛ ص ١٢٨.

ذنب مقابل الجرائم التي يرتكبونها. وقد ارتكبت الدول المسيحيّة أعظم الجرائم في حقّ العالم الثالث في استعبادها لهم وإخضاعهم لسلطانها بشتّى أنواع السلاح المدمّر. وإذا كان رجل الدين يغفر كلّ شيء جناه العاصي مهما كان في أقل من طرفة عين، فأيّ جريمة يتورّع عنها المسيحي؟»[١٣].

ويرفض **الدكتور مراد هوفمان**، سفير ألمانيا بالرباط، الذي اعتنق الإسلام، أن يكون الإنسان بحاجة إلى الخلاص، وأن يكون المسيح مخلِّصاً[١٤].

أمّا **الدكتور مصطفى شاهين** فيتخيّل حواراً جرى بين الله الأب وابنه الذي أرسله ليموت على الصليب كفّارةً عن خطايا البشر. يقول: إنّ «المسيح، بعد صعوده إلى السماء، توجّه إلى أبيه قائلاً: سلّمْ لي نفسَكَ لأنتقمَ منك، لأنّك حكمتَ بموتي على الصليب دون وجه حقّ؛ وأنتَ قلتَ في كلامك لموسى: "مَن قَتل يُقتل"، وها أنتَ قتلتَني. فسلِّمْ لي نفسَكَ لأقتلكَ. فقال له الأبُ: ألا يكفيك أن تكون أنتَ المسئول عن محاسبة الناس؟ فرضي بذلك، وهو الآن منتظر على يمين أبيه»[١٥].

أمّا مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة الشيخ **حسن خالد** فيأخذ على المسيحيّين إيمانَهم بفداء عيسى للبشر. يقول: «إنّ الإسلام

---

(١٣) **الكتاب المقدّس في الميزان**، بيروت ١٩٩٣؛ ص ٣١٧.

(١٤) **الإسلام كبديل**، ترجمة د، غريب محمّد غريب.

(١٥) **النصرانيّة، تاريخاً وعقيدةً.. وكتباً ومذاهب. دراسة وتحليل ومناقشة**؛ ص ١٠٨.

«يتصدّى لمفهوم الفداء في النصرانيّة... هذا المفهوم الذي يرتضي فيه النصارى الاعتقادَ بأنّ الله تعالى أرسل ولده الوحيد ــ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ــ ليُهان على أيدي الناس، وليُعذَّب، ويُبصَق عليه، ويُضرَب بالقصبة، ويُوضَع على رأسه إكليل من الشوك، ويُنشَر على الصليب، وتُسمَّر يداه، ويَسيل دمُه، ويموت وهو على الخشبة ليفدي الناس ويخلّصهم من عذاب جهنم بسبب خطيئة والدهم آدم. أجل يتصدّى الفكر الإسلامي لهذه الدعوى ويتساءل:

«لو صدقت (هذه العقيدة)، فما هو مصير موسى؟ هل أدخله الله تعالى الجحيم وخلّده فيها بعد أن كلّمه واصطفاه وأكرمه وأرسله رسولاً إلى بني إسرائيل؟ وما هو مصيرُ إبراهيم من قَبلُ، وهو مصير كلّ الأنبياء الذين سبقوا ظهور عيسى، كيحيى، وزكريا، ويوشع، وهارون، وداوود، وسليمان، ويونس، واليشع، وذي الكفل ويونس، ويعقوب، واسحق، وإسماعيل، ونوح، وادريس... هل سقط كل هؤلاء في جهنم؟!

«ولماذا لم تُنبِّهِ التوراةُ إلى أنّ ذنب آدم ظلّ معلّقاً في أعناق بنيه، وسيظل حتى يأتيهم في آخر الزمان مَن يفديهم منه بدمه وعذابه وموته؟ ولِمَ لم يصرّح بذلك الأنبياء والرسل على كثرتهم؟!

«نؤكّد بأنّ الإسلام يرفض دعوى الفداء أصلاً ويعتبرها غير متكافئة مع عظيمِ خيرِ الله ومَنِّه على عباده، وبخاصة بعد أن تحقّقتْ توبةُ الله على آدم قبل أن يُهبطَه إلى الأرض من الجنّة التي كان فيها.

«يضاف إلى ما تقدّم أن آدم هو الذي عصى وأثِم، وليس أولادُه من بعده... ثمّ ما ذنب إدريس ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى والأنبياء كلّهم ومحمّد... ما ذنب هؤلاء جميعاً وهم لم يأكلوا من الشجرة؟!»(١٦).

ويعلّق **أحمد زكي** ببعض الطرافة على حَدَثُ نزولِ عيسى إلى الجحيم ليُخرِجَ منها الأبرارَ والأنبياء السابقين، فيقول: «بالله، كيف يُنقذُ المسيحُ إبراهيمَ والأنبياءَ الآخرين، ويتركُ بقيّةَ المؤمنين الذين آمنوا بهؤلاء الأنبياء!..

«ثمّ، بالله، فليُخبرْنا أصحابُ هذا المعتقد المستحيل: كيف دخلَ هؤلاء الأنبياء وغيرهم جهنّمَ في الوقت الذي لا يتمّ دخولُها إلاّ يومَ الدينونة! والدينونة لم تقم!..

«ثمّ، بالله، فليُخبرونا أيضاً: مَن قال لهم إنّ مَن يدخلُ جهنّمَ يخرجُ منها!؟». ويسأل السيّد زكي: «كيف دخلَ المسيحُ جهنّمَ بدون أن يأخذَ مفاتيحَ السموات مِن بطرسَ بعد أن أعطاها له وهو على الأرض. لا سيّما وأنّ أناجيلَهم لم تخبرْنا أنّ المسيحَ وجدها مغلقة»(١٧).

---

(١٦) **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة**؛ ص ٦٨٩ ــ ٦٩٦.

(١٧) **انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**؛ ص ١١٤ ــ ١١٦.

الفصل التّاسع
نزول عيسى آخر الزمان

ينقل **الحافظ أبو الفضل الحَسَني**[١٨]، عن بعض المسلمين، حديثاً متواتراً عن النّبي يقرّ بنزول عيسى على الأرض في آخر الزمان. يقول: «أخبر النبي (ص) ــ وهو الصادق الصدوق ــ أنّ عيسى ابن مريم، عليهما السلام، سينزل في آخر الزمان فيقتل الدجّال الأعور اللّعين الذي يدّعي الألوهيّة، وكذلك يقتل الخنزير أيضاً، ويكسر الصليب، ويقاتل الكفّار على الإسلام، ولا يقبل منهم الجزية، وينتشر في زمنه الأمن والعدل، ويكثر المال حتى لا يقبله الناس، وفي وقته يخرج يأجوج ومأجوج، ويهلكهم الله بدعائه، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه».

يعلّق الحافظ أبو الفضل على هذا الحديث، فيقول: «تواتر هذا المعنى تواتراً لا شكّ فيه، بحيث لا يصحّ أن ينكره إلاّ الجهلة

---

(١٨) الحافظ أبو الفضل عبد الله بن محمّد بن الصدّيق الحَسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام**، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦؛ (١٤ × ٢٠)؛ ١٦٨ ص.

الأغبياء.. لأنّه نُقل بطريق الجميع حتّى استقرّ في كتب السنّة التي وصلت إلينا تواتراً بتلقي جيل عن جيل» (ص ٧)...

ثم يعدّد مئات المحدّثين والباحثين، في عشرات الصفحات (ص ٧ ــ ٣٠). ويقول: إنّ الأحاديث تدلّ صراحةً على أنّ عيسى لا يزال حياً في السماء؛ لأنّه، «لو كان ميتاً، لكان لا بدّ من إحيائه وخروجه ليقتل الدجّال واليهود، ثم يموت أيضاً. فيكون قد مات وأُحييَ أكثر من مرّتَين، وذلك مخالف لقوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكُنتُم أمواتاً فأَحْياكُم، ثمّ يُحييكُم، ثمّ إليهِ تُرجَعون" (٢/ ٢٨)، ولقوله تعالى "وقَالوا ربَّنا أمَتَّنا وأحييتَنا اثنتَين فاعترفْنا بذنوبِنا" (٤٠/ ١١).

«فالنصوص دالّة على حياته.. وأمّا كونه في السماء فلأنّ لفظ النزول والهبوط يقتضيانه؛ ولأنّه، لو كان في الأرض، لعُرِف محلُّه، ولَوَجب عليه أن يسعَى إلى رسول الله (ص) حين بَعْثِه، ويؤمِنَ به، ويجاهدَ معه، تنفيذاً للميثاق الذي أخذه الله عليه وعلى جميع الأنبياء.

«وقال في ذلك صاحبُ "عون المعبود": "فلا يخفى على كلّ منصف أنّ عيسى الآن حيٌّ في السماء لم يمت بيقين". والدليل قوله تعالى: "ويُكلّم الناسَ في المهدِ وكهلاً" (٣/ ٤٦). والمراد بقوله "وكهلاً" بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلّم الناس ويقتل الدجّال... والكهولة هي لعيسى بعد "رفعه"، لأنّه "رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.. وعندما ينزل

"يمكث في الأرض، بعد نزوله، أربعين سنة، كما دلّ عليه الحديث الصحيح» (ص ٣٠ ــ ٣٢).

وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن؟ قال: نعم قوله: «وكهلاً»، وهو لم يكن بكهلٍ في الدنيا، وإنّما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء[١٩].

وثمّة أحاديث كثيرة للرسول تقطع بأنّ عيسى لا يزال حيّاً في السماء، وأنّه سيعود إلى الأرض في آخر الزمان. من ذلك قولُه لليهود: "إنّ عيسى لم يمتْ. وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة"؛ وقوله: "كيف تهلك أمّة أنا في أوّلها وعيسى في آخرها؟!".

وعن أبي هُريرة: قال رسول الله: إنّي أَولَى الناس بعيسى ابن مريم، عليهما السلام، لأنّه لم يكن بيني وبينه نبيّ. ويوشك أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عدلاً، وإنّه نازل عن أمّتي وخليفتي عليهم. فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنّه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر، كأنّ رأسه تقطّر ولم يصبه بلل، ينزل بين مخصَّرتَين.. ثمّ يلبث في الأرض أربعين سنة، ويتزوّج، ويولد له. يتوفّى، ويُصلّي عليه المسلمون. ويدفنونه في المدينة[٢٠].

أمّا معنى الآية: "إنّي متوفّيكَ ورافعُكَ إليَّ ومُطهِّرُكَ مِن الذينَ كَفروا" (٣/ ٥٥)، فإنّ الله قبضَ عيسَى ورفعه إليه، وطهّره

---

(١٩) راجع: الثعلبي، **عرائس المجالس**، ص ٤٠٣.

(٢٠) عن المرجع المذكور آنفاً، ص ٤٠٣ ــ ٤٠٤.

بنقله إلى السماء حتى لا يلحقه أذى. وهذا المعنى هو المؤيَّد بالنظر الصحيح، لأنّ التوفّي معناه، في اللّغة، قبض الشيء وافياً...

والدليل هو أن ليس في القرآن موت ذُكر معه الرفع، إلاّ في عيسى، لأنّ الميت يدفن ولا يرفع. وهو من قوله تعالى في شأن الإنسان: "ثمّ أماته فأقبره" (٨٠/ ٢١). ولذا قال القرطبي: إنّ الله تعالى رفعه من غير وفاة، ولا نوم. وهو رأي الطبري وابن عبّاس.

والرفع حقيقته اللّغوية النَّقل من أسفل إلى علوّ، كما قال أبو حيّان وغيره من أئمّة اللّغة والتفسير»[٢١].

وكان كعب الأحبار يقول: يتّسع الرزق في زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، حتّى إنّ الحيَّ ليمرّ بالميت فيقول: يا فلان! قمْ فانظرْ ما أنزلَ اللهُ تعالى من البركة في الأرض.. ويكون الناسُ معه على خير زمان.

ومن المعلوم في إيمان المسلمين أن الساعة لا تقوم حتّى يمرّ عيسى ابن مريم بالروحاء حاجاً، أو معتمراً»[٢٢]... وعند قيام الساعة يقتل عيسى الدجّال، ثمّ تخرج دابّة الأرض تكلّمهم، ثمّ يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض.. وتتمّ أشراط الساعة العشر، كما هو معروف.

---

(٢١) أبو الفضل الحسَني، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى**، ص ٣٥.

(٢٢) الشعراني، **مختصر تذكرة القرطبي**، ١٨٠...

الفصل العاشر
المصادر والمراجع

المصادر والمراجع نعني بها الكتب الإسلاميّة، القديمة والحديثة، التي وضعها مسلمون، وتناولوا فيها شخصيّةَ المسيح وتعاليمه وحياته وما علّمته الكنيسة في شأنه، والفِرَقَ التي انشقّتْ بعضها عن بعض بسبب نزاعاتها فيه.

نذكر من هذه المصادر الموجود منها والمفقود، للدلالة على سعة الموضوع وأهمّيته في الفكر الإسلامي. ما هو مفقود، ذكره المؤرِّخون وأصحاب الفهارس؛ وما هو مطبوع، بعضه متيسّر في المكتبات ودُور النشر، وبعضه غير متيسّر.

بعضها وضعه مفكّرون مسلمون كبار، وبعضها وضعه مسلمون مؤمنون اتُّخذوا بحماسهم لإسلامهم. بعضها كان رداً هادئاً من دون تشنّج وخصام، وبعضها الآخر كان رداً على جدال وخصام بأسلوب فظٍّ عنيف[1].

---

(١) يقول د. منير خوّام: «ولا بدّ لي من أن أصرّح أنّني لم أجدْ كتاباً واحداً تقريباً يتحدّث عن العقيدة المسيحيّة بروح الموضوعيّة (Objectivité) الحقيقيّة، رغم أنّ

في سردنا لهذه المصادر، نذكر القديمة منها بحسب ترتيبها الزمني، أي بحسب وفاة مؤلّفيها؛ أمّا الحديثة فبحسب ترتيب مؤلّفيها الأبجدي.

أوّلاً ـ المصادر القديمة

١ ــ ٢. ضرار بن عمرو أبو عمر القاضي، معتزلي من البصرة (ت ١٩٠ هـ/ ٨٠٦ م). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرد على النصارى**.. وله أيضاً: كتاب يحتوي على عشرة كتب في **الردّ على أهل الملل.**

٣. **الهاشمي،** عبد الله بن إسماعيل (ت ٢٠٥/ ٨٢٠). له: **رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام**. ورسالة الكندي إلى الهاشمي يردّ بها عليه ويدعوه إلى النصرانيّة. طبعت مراراً. الرسالة والردّ، كلاهما، كما يُظنّ من يد الكندي. يعنينا، في هذه السلسلة، الرسالة دون الردّ.

٤. أبو سهل بشر بن المعتمر (ت ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرّد على النصارى.**

٥ ــ ٦. المردار أبو موسى عيسى بن صُبيح، معتزلي من بغداد، لقّب «براهب المعتزلة»، (ت ٢٢٦/ ٨٤٠). ذكر له ابن النديم: **كتاب الرّد على النصارى**. وله أيضاً: **كتاب على أبي قُرّه النصراني.**

٧. حفص الفرد (ت منتصف ق ٩). كان من المعتزلة ثم انفصل عنهم. له بحسب ابن النديم: **كتاب الردّ على النصارى.**

٨. أبو جعفر الإسكافي (ت ٢٤٠/ ٨٥٥). من رؤساء المعتزلة. له، بحسب القاضي عبد الجبّار: **كتاب في النصارى والردّ عليهم.**

المؤلفين يعلنون رغبتهم باحترامها، ص ٣٨.

٩ ــ ١٠. على بن ربّن الطبري (ت ٢٤٧/ ٨٦١)، نصراني نسطوري، اعتنق الإسلام بعمر ٧٠ سنة. وهو أوّل مَن أشار إلى تنبّؤات التوراة والإنجيل على محمّد. ومَن جاء بعده عيالٌ عليه. له: **الردّ على النّصارى**، نُشر في بيروت سنة ١٩٥٩ بدون تحقيق، في ٣٠ صفحة من Mélanges de l'Université Saint Joseph, tom XXXVI, Fasc. 4. وهو أقدم أثر في باب «الردّ على النصارى». فيه بيان وجيز لشريعة الإسلام.. ومسائل نصرانيّة في التثليث، وألوهيّة المسيح، وتناقض شريعة الإيمان... وفيه يبيّن التناقض في أمانة النصارى، أي «قانون الإيمان النيقاوي»... وله أيضاً: **الدين والدولة في إثبات نبوّة النبي محمّد**، حقّقه وقدّم له عادل نويهض، بيروت، ١٩٧٧؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٢٤٠ ص

١١. الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي (ت ٢٤٦/ ٨٦٠). من أركان المدرسة الزَّيديّة. له: **الردّ على النّصارى**. فيه ثلاثة أقسام: قسم في التوحيد وإنكار أن يكون المسيح إلهاً أو ابن الله؛ وقسم في عقيدة الثالوث والتجسّد؛ وقسم في الردّ على هذه العقائد.

١٢. أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٢٥٢/ ٨٦٦). فيلسوف شهير. له: **مقالة في الردّ على النّصارى**. لم يصلنا منها إلاّ مقتطفات أثبتها يحيى بن عدي ليردّ عليها.

١٣ ــ ١٤. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥/ ٨٦٩). من أبرز أدباء العرب. له: **كتاب الردّ على النّصارى**. وله أيضاً: **الرسالة العسلية في مسألة النصارى والردّ عليهم**. مفقودة، ذكرها القاضي عبد الجبّار.

١٥. محمّد بن سحنون (ت ٢٥٦/ ٨٦٩). من فقهاء أفريقيا. له بحسب القاضي عياد: **كتاب الحجّة على النصارى**.

١٦. أبو العياض الإيرانْشَهْري (ت بعد ٢٥٩/ ٨٧٣). له كتاب بدون عنوان، ذكر فيه عقائد اليهود والنصارى وما جاء في التوراة والإنجيل.

١٧ ــ ١٩. أبو الهذيل العلاّف (ت ٢٦٦/ ٨٧٩). شيخ معتزلة البصرة. ذكر له ابن النديم ثلاثة كتب: **كتاب الردّ على النّصارى، وكتاب علي عمّار البصري في الردّ على النصارى، وكتاب الردّ على أهل الأديان.**

٢٠ ــ ٢٤. ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦/ ٨٩٩). له كتب: **"المعارف"، و"مختلف الحديث"** و**"عيون الأخبار"** تدل على معرفة بكتب النصارى المقدّسة. وله أيضاً: كتاب **"البشارات بمحمد في التوراة"**، أو **"كتاب دلائل النبوّة"** الذي لم يصلنا.

٢٥. مجهول من أواخر القرن التاسع. له: **المنتقى من كتاب الرهبان.** نشره صالح الدين المنجّد، في كتابه: **مختارات من كتاب الرهبان،** سنة ١٩٥٦، ص ٣٤٩ ــ ٣٥٨.

٢٦. الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣/ ٩٠٦). هو أبو العباس عبد الله بن محمّد الأنباري. يعرف بابن شرشير. شاعر ومتكلّم معتزلي. له: **الكتاب الأوسط في المقالات.** أحتفظ لنا منها الكاتب النصراني ابن العسّال (ت ١٢٦٠ م) بمقتطفات. نشرها المستشرق يوسف فان إس J.Van Ess في بيروت سنة ١٩٧١ مع كتابه «مسائل الإمامة».

٢٧ ــ ٣٠. أبو عيسى محمّد بن هارون الورّاق (ت ٢٩٧/ ٩١٠). من مشاهير المتكلّمين والفلاسفة. ابتدأ إعتزاليّاً وانتهى زنديقاً مانويّاً ملحداً. له: **كتاب الردّ على النصارى الكبير، وكتاب الردّ على النصارى الأوسط، وكتاب الردّ على النصارى الأصغر، وكتاب المقالات.** لا نعرف عن الورّاق إلاّ ما جاء في ردّ يحيى بن عدي عليه، الذي ناقش نصَّ الورّاق فقرة فقرة. «وتكمن أهمّيّة هذا الردّ في أنّه، من أوّله إلى آخره، مجادلة بالحجج العقليّة والمنطقيّة. فلم يلتجئ فيه قط إلى حجج نقليّة، سواء من القرآن أو من كتب النصارى المقدّسة... وإنّ ردّه هذا قد كان له أثر بالغ في الردود التي تلته»، على ما قال الشرفي (ص ١٤٦). انظر أيضاً: Abu

‘lssa al-Warraq; *Yaha Ibn ‘Ad; De l’incarnation*, édité par E. Platti, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium; Lovanii, 1987; (17x24); 212 p.

جواب يحيى بن عدي عن ردّ أبي عيسى الورّاق على النّصارى في الاتّحاد.

٣١. مؤلفٍ مجهول الاسم والعنوان (بداية ق ١٠). له: **ردّ على النّصارى**. نشره د. سورديل مع ترجمته إلى الفرنسيّة، ١٩٦٦.

٣٢. **قصّة أبي يزيد البسطامي (+؟) مع الراهب**. نشره عبد الرحمن بدوي في شطحات الصوفيّة، ص ٢١٨ ــ ٢٢٢.

٣٣. أحمد بن محمد القحطبي (ت ٣٠٠/ ٩١٢): **الردّ على النصارى**.

٣٤. أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي (ت بين ٣٠٠ و٣١٠/ ٩١٢ و٩٢٢). متكلّم شيعي. ذكر له ابن النديم: **كتاب الآراء والديانات**.

٣٥. أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣/ ٩١٥). من مشاهير المعتزلة. له بحسب القاضي عبد الجبار: **كتاب الردّ على النصارى**.

٣٦. أبو عبد الله محمّد بن زيد الواسطى (ت ٣٠٦/ ٩١٩). متكلّم معتزلي بغدادي، تلميذ الجبائي. له، بحسب عبد الجبار، كتاب مفرد: **التبشير بمحمّد في التوراة**.

٣٧. محمّد بن جرير **الطبري** (ت ٣١٠/ ٩٢٢)، **جامع البيان في تفسير القرآن**، قال فيه السيوطي: "وكتابه أجلّ التفاسير وأعظمها". وقال فيه النووي: "أجمعت الأمّة على أنّه لم يصنّف في التفسير مثل تفسير الطبري".

٣٨. أبو القاسم البلخي الكعبي (ت ٣١٩/ ٩٣١). هو أحد رؤساء معتزلة بغداد. له: **أوائل الأدلّة**. احتفظ بمقتطفات منها الفيلسوف اليعقوبي ابن زرعة (ت ٣٩٨/ ١٠٠٧) في ردّه عليها.

٣٩. أبو بكر الرازي، محمّد بن زكريّا (ت بين ٣١٠ و٣٢٠/ ٩٢٢ و٩٣٢).

فيلسوف عالم وطبيب. لنا مقتطفات من كتابه: **كتاب مخاريق الأنبياء أو نقد الأديان.**

٤٠. أبو الهاشم الجبائي (ت ٣٢١/ ٩٣٣). من أهل المعتزلة. له بحسب عبد الجبّار: **البغداديّات.** وفيها كلام على النصارى.

٤١. أبو إسحاق إبراهيم بن حماد بن إسحاق (ت ٣٢٣/ ٩٣٥). من فقهاء المالكيّة. ذكر له ابن النديم: **كتاب دلائل النبوّة.**

٤٢ ــ ٤٦. أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤/ ٩٣٥). مؤسّس الأشعريّة. له، كما ذكر ابن تيميّة: **مقالات غير الإسلاميّين.** "وهو كتاب أكبر من مقالات الإسلاميّين. وله أيضاً ما ذكره ابن عساكر: **كتاب الفصول، وكتاب فيه بيان مذهب النصارى، وكتاب فيه الكلام على النصارى، وكتاب في دلائل النبوّة.**

٤٧. أبو بكر أحمد بن علي بن الإخشيد (ت بين ٣٢٠ و٣٢٧/ ٩٣٢ و٩٣٨). متكلّم معتزلي. له: **كتاب المعونة.**

٤٨. أبو الحسن أحمد بن المنجم، المعروف بابن النديم (ت ٣٢٧/ ٩٣٨)، صاحب كتاب الفهرست. له: **كتاب إثبات نبوّة محمّد.**

٤٩. عيسى بن داود ابن الجرّاح (ق ٤/ ١٠). وزير وكاتب. له: **جواب عن كتاب ملك الروم إلى المسلمين.**

٥٠. أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣/ ٩٤٤). مؤسّس مدرسة عرفت باسمه. نازعت الأشعريّة في الانتساب إلى أهل السنّة. سلكت منهجاً وسطاً بين العقل والنقل. له: **كتاب التوحيد.** "تتلخّص آراؤه في أنّ المسيح لا يختصّ بالبنوّة دون سائر البشر، وأنّ أفعاله ومعجزاته لا تدلّ على أنّه أتى بما يختلف به عن بقيّة الأنبياء. يقبل الماتريدي أن يكون المسيح ابناً "على الإكرام"، و"من جهة المحبّة والولاية، لا من جهة الولاد". "وله بعض الملاحظات الظريفة، مثل تعجّبه من أنّ النصارى «لم يكونوا في

حياته (عيسى) ومقامه في الأرض يرضون له رتبة الرسالة، مع ما له من البراهين؛ ثمّ بعد رفعه، أو موته عند عامّتهم، لم يرضوا بالعبوديّة والرسالة حتى جعلوا له رتبة الربوبيّة».

٥١ ــ ٥٨. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥/ ٩٥٦). رحّالة، مؤرّخ وأديب. اهتمّ بالنصرانيّة في العديد من كتبه. له: **أخبار الزمان ومَن أباده من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة**. وله أيضاً: **مروج الذهب ومعادن الجوهر، والتنبيه والإشراف، وأخبار الأمم من العرب والعجم، وخزائن الدين وسرّ العالمين، ومقالات في أصول الديانات، والمسائل والعلل في مذاهب الملل، وتقلّب الدول وتغاير الآراء والملل.**

٥٩ ــ ٦٠. السجستاني، أبو سليمان (ت ٣٧٥/ ٩٨٥). له: **كتاب التوحيد والكثرة والجوهريّة والأقنوميّة، وكتاب في مبادئ الموجودات.**

٦١. الحسن بن أيّوب (ت ٣٧٨/ ٩٨٨). له: **رسالة إلى أخيه عليّ**، في ٤٩ صفحة في كتاب "الجواب الصحيح"، لابن تيميّة (٢/ ٣٢٣ ــ ٣٧٢). يذكر فيها سببَ إسلامه، ويطعن بمن قال بثلاثة أقانيم؛ وبمن جحد نبوّة محمّد؛ ثمّ فصّل "شريعة النصارى". وقد خصّص الجزء الأوفر من رسالته لإنكار ألوهيّة المسيح، معتمداً على شواهد من العهدَين.

٦٢ ــ ٦٣. أبو الحسن العامري (ت ٣٨١/ ٩٩٢). له: **الإعلام بمناقب الإسلام**. وهو محاولة في التوفيق بين العقل والدين، والمقارنة بين الإسلام واليهوديّة والمسيحيّة والزرادشتيّة. بيّن فضيلة الإسلام عليها. نشره عبد الحميد غراب في القاهرة، سنة ١٩٦٧؛ وله أيضاً: **الإبانة عن علل الديانة.**

٦٤. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤/ ٩٩٤). من لغويّي البصرة. ذكر له القفطي: **نقض التثليث على يحيى بن عدي.**

٦٥. أبو عبد الله أحمد بن محمّد الجيهاني الكاتب (ق ٤/ ١٠). ذكر له ابن النديم: **كتاب الزيادات في كتاب الناشئ في المقالات.**

٦٦. حميد بن سعيد بن بختيار المتكلّم (ق ٤/ ١٠). ذكر له ابن النديم: **كتاب على النصارى في النعيم والأكل والشرب في الآخرة وعلى جميع من قال بضد ذلك.**

٦٧. اليمان بن رباب (ق ٤/ ١٠). يذكر له ابن النديم: **كتاب المقالات.**

٦٨. أبو بكر الزهيري الكاتب (ق ٤/ ١٠). له بحسب عبد الجبار كتاب مفرد في **التبشير بمحمّد في التوراة.**

٦٩. أبو سليمان المنطقي (ت ٣٩١/ ١٠٠٠). له: **كلام في مبادئ الموجودات ومراتب قواها والأوصاف التي توصف الذات الأولى بها وعلى أي وجه وصفتها النصارى بالتوحيد والكثرة والجوهريّة والأقنوميّة.** نشرها G. Troupeau وترجمها إلى الفرنسيّة بعنوان: *Un traité sur le principe des êtres, attribué à Abu Sulayman al-Sigistani*

٧٠. الإمام القاضي أبو بكر محمّد بن الطّيّب الباقلاني (ت ٤٠٣/ ١٠١٢). يعتبر من دعائم المدرسة الأشعريّة. كان فقيهاً مالكيّاً مشهوراً بمناظراته. له: **كتاب التمهيد**، عني بتصحيحه ونشره الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، منشورات جامعة الحكمة في بغداد، سلسلة علم الكلام، ١؛ المكتبة الشرقيّة، بيروت ١٩٥٧. الباب الثامن من ص ٧٥ ــ ١٠٣.

٧١. الشيخ المفيد ابن المعلّم، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان (ت ٤١٣/ ١٠٢٢). شيعي. له: **رسالة في ذبائح أهل الكتاب.**

٧٢ ــ ٧٤، القاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥/ ١٠٢٤). له: **المغني في أبواب التوحيد والعدل.** الجزء الخامس: الفِرَق غير الإسلاميّة. في حوالي ٧٠ صفحة عن النصارى. وله أيضاً: **شرح الأصول**

الخمسة، وتثبيت دلائل النبوّة، حيث «ركّز على فكرة أساسيّة عنده، وهي أنّ دين النصارى مخالف لدين المسيح في الأصول والفروع معاً. فهم، في نظره، أعداء المسيح من حيث لا يشعرون» (الشرفي، ص ١٥٨). ويتّهم بولس في إدخال عناصر وثنيّة روميّة إلى المسيحيّة. ويقول بتأثّر العقائد المسيحيّة بالوثنيّة ويأخذ على الملك قسطنطين دورَه في إثبات العقائد المسيحيّة، وفشوّ الزنا، وعدم الختان، والخصاء، وسلوك "الديرانيّات". ويأخذ على القسّيسين مغفرتهم للخطايا، وأكلهم الخنزير.. ثم تذمّر عبد الجبار من اتّخاذ ملوك المسلمين للنصارى كتّاباً ووزراء... إلخ.

٧٥. رسائل الحكمة (٤١١ ــ ٤٢٧/ ١٠٢٠ ــ ١٠٣٥)، سلسلة "الحقيقة الصعبة"، رقم ٧؛ دار لأجل المعرفة، ديار عقل ١٩٨٥. فيها: **خبر اليهود والنصارى** (رقم ٣)؛ **الرسالة الموسومة بالقسطنطينيّة المنفذة إلى قسطنطين متملّك النصرانيّة** (رقم ٥٣)؛ **الموسومة بالمسيحيّة وأمّ القلائد النسكيّة، وقامعة العقائد الشركيّة** (رقم ٥٤)؛ **الرسالة الموسومة بالتعقّب والافتقاد لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد** (رقم ٥٥).

٧٦. المسبّحي، محمّد بن عبيد الله بن أحمد (ت ٤٢٠/ ١٠٢٩). أمير مؤرّخ في بلاط الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. له كتاب مفقود: **كتاب دَرك البُغية**.

٧٧ ــ ٧٩. أبو الريحان البيروني (ت بعد ٤٤١/ ١٠٥٠)، **الآثار الباقية عن القرون الخالية، وكتاب تاريخ الهند. تحقيق ما للهند من مقولة...، وتذكرة في إرشاد إلى صوم النصارى والأعياد.**

٨٠. أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩/ ١٠٥٧). شاعر فيلسوف له: **رسالة المسيحيّة**. أهداها إلى الأمير عبد القاسم الحسين المغربي. مفقودة.

٨١. أبو الحسن علي بن محمّد **الماوردي** (ت ٤٥٠/ ١٠٥٨)، **تفسير الماوردي**.

٨٢ ــ ٨٣. المصري، أبو الحسن علي بن جعفر (ت ٤٦١/ ١٠٦٨). طبيب ومنجّم مصري، خصم حنين بن إسحق. طبيب الحاكم بأمر الله الخاصّ له، بحسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة: **مقالة في الردّ على أفرانيم (أفرائيم) وابن زُرعة في اختلاف الملل؛ ومقالة في بعث نبوّة محمّد من التوراة والفلسفة**.

٨٤ ــ ٨٥. ابن حزم، أبو محمّد علي بن أحمد (ت ٤٥٧/ ١٠٦٤). شاعر، مؤرّخ، فقيه، فيلسوف، متكلّم أندلسي. له: **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِحَل**. خمسة أجزاء. ما يعود إلى النصارى موجود في الجزء الأوّل، ص ٤٨ ــ ٦٥؛ و٩٨ ــ ١١٧؛ وفي الثاني ٢ ــ ٩١. وله أيضاً: **كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم معاً لا يَحتمل التأويل**. مخطوط

٨٦. الباجي، أبو الوليد (ت ٤٧٤/ ١٠٨١). فقيه أندلسي شهير. له: **ردّ على راهب من فرنسا إلى المقتدر بالله ملك سرغوسا**: *La lettre du "moine de France" à al-Muqtadir billah, roi de Saragosse, et la Réponse d'Albayi, le Faqqih Andalou* (Présentation, Texte arabe, Traduction); in Al-Andalus, 1966 ; Vol. XXXI, Fasc. 12; pp. 73-153. تحقيق Abdelmagid Turki. وعنوانها: **رسالة الراهب من إفْرَنسَه** ــ دمّرها الله ــ **إلى المقتدر بالله صاحب سرقسطة** (ص ٨٤ ــ ٨٧). ويليه: **جواب الفقيه القاضي الجليل الفاضل أبي الوليد الباجي** ــ رحمة الله عليه ــ **على هذه الرسالة**. الترجمة إلى الفرنسيّة من 116 – 153.

٨٧. الجويني، أبو المعالي عبد المالك بن عبد الله، إمام الحرمَين (ت ٤٧٨/ ١٠٨٥). من أشهر متكلّمي الأشعريّة. استاذ الغزالي. له: **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**.

٨٨. ابن جزلة، أبو علي يحيى بن عيسى (ت ٤٩٣/ ١١٠٠). طبيب نصراني كان في خدمة المقتدر الخليفة العباسي، اعتنق الإسلام سنة ٤٦٦/ ١٠٧٤. له: **رسالة في الردّ على النصارى.**

٨٩. الغزالي، أبو حامد محمّد (ت ٥٠٥/ ١١١١). من أشهر مفكري الإسلام. من الأشعريّة والصوفيّة: **الردّ الجميل لإلهيّة عيسى بصريح الإنجيل**؛ تقديم وتحقيق وتعليق د. محمّد عبد الله الشرقاوي؛ دار الجيل بيروت، ومكتبة الزهراء القاهرة، ط ٣، ١٩٩٠؛ (١٧ × ٢٤)؛ ١٨٤ ص.

٩٠. أبو محمّد الحسين بن مسعود المعروف بالفراء **البغوي** (ت ٥١٠/ ١١١٦). فقيه شافعي محدّث مفسّر. ملقّب بمحيي السنّة ركن الدين. كان تقيّاً ورعاً زاهداً قانعاً. له كتاب **معالم التنزيل**، وهو كتاب متوسّط، نقل فيه عن مفسّري الصحابة والتابعين ومَن بعدهم. وصفه الخازن في مقدّمة تفسيره بأنّه "من أجمل المصنّفات في علم التفسير، وأعلاها، وأنبلها، وأسناها". وقال فيه ابن تيميّة: "والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي"... طبع هذا التفسير مع تفسير الخازن.

٩١. محمود بن عمر بن محمّد اللّغوي المعتزلي، **الزمخشري** (ت ٥٣٩/ ١١٤٤)، الملقّب بجار الله. له: **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. إنّه نموذج للتفسير الاعتزالي، وهو "أحد الكتب الأساسيّة الأصيلة في التفسير"، بحسب ما قال جولدزيهر.

٩٢. أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل **الطبرسي** (ت ٥٤٨/ ١١٥٣)، **مجمع البيان لعلوم القرآن**، "أثبت في هذا التفسير عقائد الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة"

٩٣. الشهرستاني، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨/ ١١٥٣). باحث عن الشيَع. له: **كتاب الملل والنحل.**

٩٤. الشيخ محيي الدين محمد بن علي الطائي الأندلسي، المعروف بـ **ابن**

عربي (ت ٥٦٠/ ١١٦٤)، **تفسير ابن عربي.** تفسير على طريق أهل التصوّف، "غالبه يقوم على مذهب وحدة الوجود. ذلك المذهب الذي كان له أثره السيّء في تفسير القرآن الكريم".

٩٥. ابن ظفر، أبو عبد الله محمّد بن أبي محمد الصقلي (ت ٥٦٥/ ١١٦٩). باحث من صقليّة. له: **خير البِشَر بخير البَشَر.**

٩٦. الاستبي، أبو بكر محمّد (ت ٥٦٦/ ١١٧٠). من أصل إسباني، ولد في مصر. له كتاب نقدي ضد المسيحيّة لم يصلنا.

٩٧. ابن عساكر الدمشقي، ولد وتوفي في دمشق (ت ٥٧١/ ١١٧٥). له: **سيرة السيّد المسيح،** تحقيق سليمان علي مراد، المعهد الملكي للدراسات الدينيّة، دار الشروق الأردن، ط ١ سنة ١٩٩٦، (١٤ × ٢١)، ٣٧٦ ص.

٩٨. الخزرجي، أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد (ت ٥٨٢/ ١١٨٦). سنّي. مؤرخ وأديب أندلسي. له: **مقامع الصلبان** نشره عبد المجيد الرافعي سنة ١٩٧٥ تونس. ونشره محمد شامة، تحت اسم "**بين الإسلام والمسيحيّة**"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٢؛ ط ٢، ١٩٧٥؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٤٣٢ ص.

٩٩. الكاتب، محمّد بن عبد الرحمن (ق ٦/ ١٢). له: **الدر الثمين في مناقب المسلمين ومثالب المشركين.**

١٠٠. مجهول من (ق ٦/ ١٢)، من أصل مغربي. له، حسب حجي خليفة في كشف الظنون، ص ٨٣٨: **ردّ على النصارى.**

١٠١. أبو عبد الله محمّد الطبرستاني **فخر الدين الرازي،** المعروف بابن الخطيب الشافعي (ت ٦٠٦/ ١٢٠٩). له: **مفاتيح الغيب.** "وهو تفسير أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي علوم الكون والطبيعة. فنّد آراء المعتزلة وردّ عليها.

١٠٢. الرهاوي، أبو محمّد بن عبد الله (ت ٦١٢/ ١٢١٥). سنّي. رحّالة. عالم. من الرُّها. له: **ردّ النصارى**. ذكرها ح. خليفه.

١٠٣. يوسف اللبناني (ت ٦٢٣/ ١٢٢٦). له: **رسالة في الردّ على النصارى**.

١٠٤. السامري، يوسف بن أبي سعيد (ت ٦٢٤/ ١٢٢٧)، طبيب، وزير الملِك الأمجد. له بحسب حاجي خليفة: **شرح التوراة**.

١٠٥. مجهول من تونس، وضع سنة (٦٢٨/ ١٢٣٠) كتاباً بعنوان: **نقاط لتاريخ الردود ضد النصرانيّة في الغرب الإسلامي**.

١٠٦. البغدادي، عبد اللطيف، المعروف بابن اللّباد (ت ٦٢٩/ ١٢٣١). عالم موسوعي المعرفة. له: **مقالة في الردّ على اليهود والنصارى**.

١٠٧ ــ ٨. الجعفري، تقي الدين بن الحسين (ت بعد ٦٣٧/ ١٢٣٩). متكلّم أديب. له: **تخجيل من حرّف الإنجيل**. ٧٤٤ صفحة. له أيضاً: **بيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود**.

١٠٩. القفطي، جمال الدين أبو الحسن، القاضي الأكرم (ت ٦٤٦/ ١٢٤٨). مؤرّخ. لغوي وأديب له: **كتاب الردّ على النصارى**.

١١٠ ــ ٢. الزاهدي، نجم الدين مختار بن محمود (ت ٦٥٩/ ١٢٦٠). فقيه حنفي. له: **الرسالة النّاصريّة**، حققها وعلّق عليها محمّد المصري، تحقيق التراث، رقم ١١. منشورات المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١، ١٩٩٤، (١٧ × ٢٤)، ٨٨ صفحة. سبب تأليف هذه الرسالة، كما يقول محمّد بن إبراهيم الشيباني، مدير عام مركز المخطوطات والتراث والوثائق، في الكويت: «الدلالة على حقّيّة رسالة محمد (ص)، وذكر شيء من معجزاته * في ذكر المخالِفين لنبوّته والردّ عليهم * في المناظرة بين المسلمين والمسيحيّين، ونصرة من أضحوا للإسلام أنصاراً. ومناظرة بين شيخ مسلم هو الباقلاني وقساوسة

النصارى» (ص ٥). وله أيضاً في باب "المناظرات": **رسالة في ذكر المخالفين لنبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، والجواب عن شبههم.** ذكرها حاجي خليفه ص ٨٦٦. وله أيضاً: **رسالة في المناظرة بين المسلمين والنصارى، وذكر أسئلتهم.**

١١٣. زيادة الله بن يحيى الراسي المهتدي (ت ٦٦٢/ ١٢٦٣). مسيحيّ اعتنق الإسلام. له: **كتاب البخت الصريح في أيِّ دين هو الصحيح.**

١١٤ ــ ٥. أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، **القرطبي،** (ت ٦٧١/ ١٢٧٢)، له: **الجامع لأحكام القرآن.** وله أيضاً: **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوّة نبيّنا محمّد عليه الصلاة والسلام.** نشره كاملاً د. أحمد حجازي، نسخَه عن مخطوطة واحدة، القاهرة، دار التراث العربي، ١٩٨٠.

١١٦. القرطبي، أبو جعفر بن نصر الروادي (كان لا يزال حيّاً سنة ٦٧٧/ ١٢٧٨). له: **الأموال.** كتاب فقه في حقوق غير المسلمين.

١١٧. ابن رشيق، أبو علي الحسين بن عتيق بن الحسين التغلبي (ت ٦٨٠/ ١٢٨١). له: **كتاب الرسائل والوسائل.** نقاش بين المؤلّف و"جماعة من القسّيسين والرهبان" حول إعجاز القرآن.

١١٨. السكسكي، أبو الفضل عبّاس التريمي (ت ٦٨٣/ ١٢٨٤). فقيه متكلّم. له: **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان.**

١١٩ ــ ٢٠. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت ٦٨٤/ ١٢٨٥). متكلّم. مفسّر. مالكي له: **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة.** وهو ردّ على أسقف صيدون بولس الأنطاكي؛ دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٦؛ (١٧/ ٢٤)؛ ١٩٦ ص. وله أيضاً: **عجباً للمسيح بين النصارى.** قصيدة شعريّة على وزن الخفيف. ذكرها حاجي خليفة.

١٢١. الإمام ناصر الدين أبو سعيد بن عمر **البيضاوي** (ت ٦٩١/ ١٢٩١ م)،

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. "وهو كتاب جليل دقيق، جمع بين التفسير والتأويل، على أصول أهل السنّة".

١٢٢. غازي بن الواسطي (ت ٦٩٢/ ١٢٩٢). له: **الردّ على أهل الذمّة ومَن تبعهم**.

١٢٣. البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمّد الصنهاجي (ت ٦٩٦/ ١٢٩٦). صوفي شهير بقصيدته «البردى». له: **الحرج المردود في الردّ على النصارى واليهود**. شعر.

١٢٤. الدميري، عزّ الدين أبو محمّد (ت ٦٩٧/ ١٢٩٧). ففيه شافعي. مؤرّخ ومبشّر. له: **إرشاد الحيارى في الردّ على النصارى**.

١٢٥. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن حمود **النسفي** الحنفي (ت ٧٠١/ ١٣٠١)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. "اختصره النسفي من تفسير البيضاوي ومن تفسير الكشّاف؛ غير أنّه ترك ما في الكشاف من آرائه الاعتزاليّة، وجرى فيه على مذهب أهل السنّة والجماعة. وهو تفسير وسط، ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ.

١٢٦ ــ ٧. ابن الرفعة، نجم الدين أبو العبّاس (ت ٧١٠/ ١٣١٠). فقيه. شافعي. ذكر له خليفة، ص ٨٨٦ ــ ٨٨٧: **رسالة في الكنائس والبيع**. وله أيضاً: **النفائس في هدم الكنائس**.

١٢٨ ــ ٩. الطوفي، نجم الدين أبو الربيع (ت ٧١٦/ ١٣١٦). حنبلي. له: **كتاب الانتصارات الإسلاميّة وكشف شبْه النصرانيّة**؛ دراسة وتحقيق د. سالم بن محمّد القرْني، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٩؛ جزءان. وله أيضاً: **تعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الإثنَي عشر**.

١٣٠. أبو علي عمر السّكوني (ت ٧١٧/ ١٣١٧). له: **عيون المناظرات**، تحقيق سعد غراب، كلّيّة الآداب والعلوم التونسيّة، منشورات الجامعة التونسيّة، ١٩٧٦؛ (١٧ × ٢٤). يحتوي على ١٦٠ مناظرة من القرآن

والصحابة والخلفاء والفرق الدينيّة والفلسفيّة وعلماء الكلام. مناظرات حول الإلهيات مع اليهود والمجوس والنصارى والمشركين والمرتدين...

١٣١. سعيد بن حسن الإسكندراني (ت ٧٢٠/ ١٣٢٠). يهودي اعتنق الإسلام. له: **مسالك النظر في نبوّة سيّد البشر.**

١٣٢. ابن جماعة، بدر الدين محمّد بن إبراهيم (ت ٧٢٢/ ١٣٢٣). فقيه شافعي. عالم في الدين تولّى منصب القضاة في سوريا ومصر. له: **كشف الغِمَّة في أحكام أهل الذَّمَّة.**

١٣٣. شيخ البروة، شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري (ت ٧٢٧/ ١٣٢٧). صوفي. له: **جواب رسالة أهل جزيرة قبرس.**

١٣٤ ــ ٨. ابن تيميّة، تقي الدين أبو العبّاس أحمد (ت ٧٢٨/ ١٣٢٨)، شيخ الإسلام. حنبلي. له: **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح.** مطبعة المدني بمصر، ١٩٥٩؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٣ أجزاء. وله أيضاً: **التخجيل لمن بدّل التوراة والإنجيل، أو: تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح على من بدّل دين عيسى بن مريم المسيح،** أو أيضاً: **تخجيل أهل الإنجيل؛ والرسالة القبرسيّة؛ وكتاب** (أو مقالة) **في الكنائس؛ وكتاب الصارم المسلول على شاتم الرّسول؛** طبع سنة ١٣٢٢ هـ، في مطبعة مجلس دائرة المعارف، بحيدرأباد؛ وأعادت طباعته دار الجيل، بيروت ١٩٧٥؛ (١٧ × ٢٤)، ٦٠٠ صفحة.

١٣٩. نظام الدين الحسن محمّد **النيسابوري** (ت ٧٢٨/ ١٣٢٨)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان.** "وهو مختصر لتفسير الفخر الرازي مع تهذيب كبير".

١٤٠. الهاشمي، أبو علي عمر بن عبد السيّد (ت ٧٣١/ ١٣٣٠). قاضي تونس. له: **إدراك الصواب في أنكحة أهل الكتاب.**

١٤١. ابن عبد الرافع، أبو إسحق إبراهيم بن حسن (ت ٧٣٣/ ١٣٣٢).

مالكي وقاض كبير في تونس. له: **الردّ على المتنصّر.**

١٤٢. علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، المعروف بـ **الخازن** **(ت ٧٤١/ ١٣٤٠)**، **اللّباب في معاني التنزيل.** يُعنى بالمأثور، لا يذكر السند. وله ولوع بالتوسّع في الروايات والقصص".

١٤٣. أثير الدين أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف **أبو حيّان الأندلسي** الغرناطي **(ت ٧٤٥/ ١٣٤٤)**، **البحر المحيط.** "أكثر مؤلّفه من مسائل النحو في كتابه مع توسّعه في مسائل الخلاف بين النحويّين، حتّى أصبح الكتاب أقرب إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير".

١٤٤ ــ ٥. ابن قيِّم الجوزيّة، شمس الدين أبو بكر محمّد بن أبي بكر الزرعي **(ت ٧٥١/ ١٣٥٠)**. متكلّم مجتهد حنبلي تلميذ ابن تيميّة. له: **كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى**؛ توزيع الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة؛ المملكة السعوديّة؛ ١٣٩٦هـ؛ **(١٧ × ٢٤)**؛ ١٩٤ صفحة. وله أيضاً: **أحكام أهل الذِّمَّة.** وفيها: **الشروط العمريّة.**

١٤٦ ــ ٧. السُبكي، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي **(ت ٧٥٦/ ١٣٥٥)**. شافعي. له: **كشف الدسائس في ترميم الكنائس.** وله أيضاً: **كشف الغِمَّة في ميراث أهل الذِّمَّة.**

١٤٨. ابن النقّاش، شمس الدين أبو أُمامة المصري **(ت ٧٦٣/ ١٣٦١)**. فقيه مفسّر. له: **المَذمّة في استعمال أهل الذِّمَّة.**

١٤٩. التروحي، أبو بكر بن علي **(ت ٧٧٢/ ١٣٧٠)**. له: **الجواب بالنفثات الصبوحيّة عن رسالة أهل الملّة النصرانيّة.**

١٥٠. جمال الدين أبو محمّد عبد الرحيم الأسنوي الشافعي **(ت ٧٧٢/ ١٣٧٠)**؛ الشيخ الإمام العالم العلاّمة القدوة، جمال الدين، حجّة المناظرين، لسان المتكلّمين، شيخ المدرّسين، مفتي المسلمين، نجل السلف الصالحين، بقيّة المجتهدين؛ **كتاب النصيحة الجامعة**، أو **رسالة في**

استخدام أهل الذمّة وتحريم استخدامهم. أو **الكلمات المهمّة في مباشرة أهل الذمّة**، نشرها وعلّق عليها Moshe Perlmann، (١٧ × ٢٤)؛ University Brookline, Mass., U.S.A.، بدون تاريخ. لها عنوان آخر: **نصيحة أولي الألباب في منع استخدام النصارى.** وعنوان آخر أيضاً من حاجي خليفة: **الانتصارات الإسلاميّة**؛ وعنوان من السيوطي: **جهد القريحة في تجريد النصيحة.**

١٥١. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل **بن كثير** القرشي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤/ ١٣٧٢)، **تفسير القرآن العظيم.** "من أصح التفاسير بالمأثور، إنْ لمْ يكنْ أصحّها جميعاً. وقد التزم صاحبُه تفسيرَ القرآن بالقرآن".

١٥٢. ابن العطّار، شهاب الدين أحمد الدُنَيسَري (ت ٧٩٤/ ١٣٩٢). أديب مصري، وفقيه. ذكر له حاجي خليفة، ص ١١٨٠: **العهود العُمريّة في اليهود والنصارى.**

١٥٣. الفيروزابادي (ت ٨١٧/ ١٤١٤). من أئمّة اللّغة والأدب. له **القاموس المحيط.**

١٥٤ ــ ٥. الجلالان: جلال الدين محمّد **المحلّي** (ت ٨٦٤/ ١٤٥٩)، وجلال الدين عبد الرحمن **السيوطي** (ت ٩١١/ ١٥٠٥)، **تفسير الجلالين**، "وهو تفسير قيّم، سهل المأخذ، مختصر العبارة".

١٥٦. محمّد بن عبد الله **الشوكاني**، زيدي (ت ١٢٥٠/ ١٨٣٤)، له **فتح القدير**، "الجامع بين فنَّي الرواية والدراية في التفسير"... يعتبر الشوكاني عمدة المفسّرين في عصره وإمام المجدّدين في القرن الثالث عشر الهجري.. كسر قيود التقليد وحارب المقلِّدين، ونادى بالاجتهاد والرجوع إلى الينابيع الأصليّة للشريعة".

١٥٧. العلاّمة شهاب الدين السيّد محمّد **الألوسي** البغدادي مفتي بغداد (ت ١٢٧٠/ ١٨٥٤)، **روح المعاني.** "من أجلّ التفاسير وأوسعها

وأجمعها.. لخّص البيضاوي والرازي والسيوطي".

١٥٨. **الإمام محمّد عبده** (ت ١٣٢٣/ ١٩٠٥)، تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار.

١٥٩. علاّمة الشام محمّد جمال الدين **القاسمي** (ت ١٣٣٢/ ١٩١٤)، **محاسن التنزيل** كان "آية في المحافظة على الوقت والمواظبة على العمل والقدرة على المواءمة بين هدى السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن.. والقاسمي شيعي مستنير يغلب عليه الطابع العلمي مع رغبة في التجديد".

١٦٠. **الشيخ طنطاوي جوهري** (ت ١٣٥٨/ ١٩٤٠). **الجوهر في تفسير القرآن العظيم**، من ٢٥ مجلّد، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣١.

١٦١. أحمد مصطفى **المراغي** (ت ١٣٦٣/ ١٩٤٣)، **تفسير المراغي.**

١٦٢. **سيّد قطب**، (ت ١٣٨٦/ ١٩٦٦)، **في ظلال القرآن.**

١٦٣. محمّد حسين **الطباطبائي**، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١ ــ ١٩٨٥.

١٦٤. محمد حسين فضل الله، **تفسير من وحي القرآن**، ٢٤ مجلّد.

ثانياً ـ المصادر الحديثة

١. ابن الشريف (د. محمود)، **الأديان في القرآن**، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.

٢. أبو ريّه (محمّد)، **دين الله واحد، محمّد والمسيح إخوان**، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، د. ت.

٣. أبو زهرة، الشيخ الإمام محمّد، **محاضرات في النّصرانيّة؛** (بحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النّصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم

المقدّسة وفرقهم)؛ دار الفكر العربي؛ القاهرة، ط ٣؛ ١٩٨٢؛ (١٧ × ٢٤)؛ ١٩٦ صفحة.

٤. **أحمد** (د. الشفيع الماحي)، **عيسى ابن مريم، من الميلاد حتّى الوفاة.** دار الوراق ودار النيريين، بيروت ٢٠٠٤، ٤٠٢ ص.

٥. آل كاشف الغطاء، سماحة الإمام الأكبر محمّد الحسين؛ **التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح**؛ دار الغدير؛ توزيع التوجيه الإسلامي؛ بيروت، ط ٢؛ ١٩٨٠؛ ١١٢ ص.

٦. آل معمر، عبد العزيز، **منحة القريب في الردّ على عباد الصليب**، دار ثقيف الطائف ١٣٩٨ هـ.

٧. أنور شاه الكشميري (الشيخ محمّد)، **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب ١٩٦٥.

٨. أيّوب، د. محمود، **الحوار مع المسيحيين في منظور إسلامي**، في كتاب: «**نحو الجدال الأحسن**، محاورات إسلاميّة مسيحيّة، المطران جورج خضر والدكتور محمود أيّوب، تحقيق جورج مسّوح وكاترين سرور، مركز الدراسات المسيحيّة الإسلاميّة؛ جامعة البلمند، ١٩٩٧.

٩. البلاغي، العلاّمة الشيخ محمّد جواد (ت ١٩٣٣)؛ **الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة في نهج الهدى**؛ بيروت، ط ٢؛ سنة ١٩٨٣؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٥٢٦ ص.

١٠. حبنكه الميداني (عبد الرحمن)، **العقيدة الإسلاميّة وأسسها**، ط ١، دمشق، ١٩٦٦.

١١. الحَسَني، الحافظ أبو الفضل عبد الله بن محمّد بن الصدّيق، **عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام**، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦، (١٤ × ٢٠)، ١٦٨.

١٢. حسين (د. محمّد كامل)، **قرية ظالمة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٥٤.

١٣. الحاج، د. محمّد أحمد، **النصرانيّة من التوحيد إلى التثليث**، دار القلم دمشق، والدّار الشاميّة بيروت؛ ١٩٩٢؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٣١٨.

١٤. حَومَد، الدكتور أسعد محمود، **دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب**، ردّاً على كتاب "قسّ ونبيّ"، لا دار نشر، دمشق، ١٩٩٨؛ (١٧ × ٢٤)، ٣٣٦ ص.

١٥. الخطيب، عبد الكريم، **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**؛ دار الكتب الحديثة؛ القاهرة، ١٩٦٦ م.

١٦. خالد، الشيخ حسن، سماحة مفتي الجمهوريّة اللّبنانيّة؛ **موقف الإسلام من الوثنيّة واليهوديّة والنّصرانيّة**؛ سلسلة «الدراسات الإسلاميّة»؛ معهد الإنماء العربي؛ بيروت؛ ١٩٨٦؛ قياس (١٧ × ٢٤)؛ ٨١٢ صفحة.

١٧. ديدات، أحمد، **المسيح في الإسلام**، ترجمة محمّد مختار، مكتبة ديدات، القاهرة، المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠، (١٢ × ١٦,٥)، ١٨٢ ص.

١٨. ديدات، أحمد، **محمّد. الخليفة الطبيعي للمسيح**، ترجمة رمضان الصفناوي، مراجعة محمود غنيم، مكتبة ديدات، ١٥؛ المختار الإسلامي، القاهرة، ١٩٩١، (١٢ × ١٦,٥)، ١٢٠ ص.

١٩. ديدات، أحمد، **مَن دحرج الحجر؟** تقديم ومراجعة فايزة محمّد بكري، ترجمة وتحقيق الاستاذ إبراهيم خليل أحمد، سابقاً: القس إبراهيم خليل فيلبّس، راعي الكنيسة الإنجيليّة واستاذ بكليّة اللاّهوت بأسيوط؛ القاهرة، ١٩٨٨، (١٤ × ١٩)، ٦٤ ص.

٢٠. ديدات، أحمد، **مسألة صلب المسيح، بين الحقيقة والافتراء**، ترجمة علي

الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٨٩، (١٧ × ٢٤)، ٢٠٨ ص مع الأصل الإنكليزي.

٢١. رمضان، محمّد محمّد (الواعظ العام)؛ **عيسى بن مريم وأمّه على إشعاع العلم**، مطبعة الاستقامة، بمصر، ١٩٤٤؛ (١٧ × ٢٤)؛ ١٠٤ ص.

٢٢. راضي (د. علي عبد الجليل)، **المسيح قادم...**، مكتبة النهضة المصريّة، مصر ١٩٦٠.

٢٣. الزعبي، محمّد سعيد، **السيّد المسيح يلوح بالأفق**، بيروت ١٩٧٣.

٢٤. زكي، أحمد، **إنزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**؛ توزيع دار الحداثة؛ بيروت؛ ١٩٩٥؛ قياس (١٧ × ٢٤)؛ ٩٠٨ ص.

٢٥. سحّار (عبد الحميد جودة الـ..)، **عيسى المسيح بن مريم**، الكتاب الفضّي، نادي النهضة، ١٩٥٩.

٢٦. السقّا، د. أحمد حجازي، استاذ مساعد في كلّيّة أصول الدين، جامعة الإمام محمّد بن سعود بالرياض، **البشارة بنبيّ الإسلام في التوراة والإنجيل**، دار الجيل بيروت، ١٩٨٩، (١٧ × ٢٤)؛ ج ١ = ٣٨٢ ص؛ ج ٢ = ٤٣٣.

٢٧. الشرفي، عبد المجيد، **الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر**، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ــ تونس، السلسلة السادسة، المجلّد ٢٩؛ الدّار التونسيّة للنشر، والمؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر ١٩٨٦؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٥٨٢ ص.

٢٨. شلبي، د. أحمد، **مقارنة الأديان** (المسيحيّة)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط ٤؛ ١٩٧٣.

٢٩. شلبي، د. رؤوف، **أضواء على المسيحيّة**، المكتبة العصريّة، صيدا، ١٩٧٥.

٣٠. صبري، الهمام الفاضل والألمعي الكامل عزّتلو أيوب بك، **كتاب بهجة التفريح بحقيقة السيّد المسيح**، ص ١٢٧ ــ ٣٢٤ (في كتاب السيف الصقيل، رقم ١٣).

٣١. عبد المجيد (عبد العزيز)، **المسيح**، سلسلة: اخترنا لك، دار المعارف، مصر (د. ت.).

٣٢. عبد الوهّاب (المهندس أحمد). **المسيح في مصادر العقائد المسيحيّة**، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٧٨.

٣٣. عبد العزيز، منصور حسين، **دعوة الحقّ، أو الحقيقة بين المسيحيّة والإسلام**، مكتبة علاء الدين، الإسكندرية، ١٩٧٢ (١٧ × ٢٤)، ٦٣٢ ص.

٣٤. عزيز، ألفات، **محمّد والمسيح**، دراسة مقارنة؛ ترجمة بسام مرتضى، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٦، (١٤ × ٢١,٥)؛ ١٦٤ ص.

٣٥. العقّاد، عباس محمود، **حقائق الإسلام وأباطيل خُصومه**، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٢؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٢٧٦ صفحة.

٣٦. عقّاد، عبّاس محمود، **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث**، ط ٢، كتاب الهلال ١٩٥٨.

٣٧. عثمان (فتحي)، **مع المسيح في الأناجيل الأربعة**، مكتبة وهبه، القاهرة، جمهوريّة مصر العربيّة، ١٩٦١.

٣٨. الفضل، نبيل، **هل بشّر المسيح بمحمّد؟** رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٠؛ (١٣,٥ × ٢١,٥)؛ ٢٠٢ صفحة.

٣٩. مرزوق (د. إبراهيم محمّد)، **كتاب نور الإسلام: المسيح وأمّه على ضوء العلم**، المطبعة المتوسّطة، مصر ١٩٣٦.

٤٠. ناصف، عصام الدين حَفني، **المسيح في مفهوم معاصر**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩؛ (١٤ × ٢٠)، ١٦٠ صفحة.

٤١. هاشم، شريف محمّد، **الإسلام والمسيحيّة في الميزان**؛ مؤسّسة الوفاء؛ بيروت؛ ١٩٨٨؛ قياس (١٧ × ٢٤)؛ ٧١٢ ص. الكتاب في قسمين: الأوّل في الرّدّ على كتاب «قسّ ونبيّ» لأبي موسى الحريري؛ والثاني في الردّ على المسيحيّة.

٤٢. الهلالي، د. تقي الدين، **البراهين الإنجيليّة على أنّ عيسى داخل في العبوديّة**؛ مطابع دار الثقافة، مكّة المكرّمة، سنة ١٣٩٣ هـ.

٤٣. الهندي رحمة الله بن خليل الرحمن، **إظهار الحقّ**؛ دار الجيل، بيروت ١٩٨٨، (١٧ × ٢٤)، جزءان: ٣٥٨ و٢٤٢ ص. وهو مناظرة جرت بين المؤلف والقسيس فندر صاحب كتاب **"ميزان الحقّ"** في أكبراباد. دوّنت بلسان أردو، ثمّ ترجمها إلى العربيّة الشيخ رفاعي الخولي. يدور الكتاب حول ستة أبواب: ١. في بيان العهد العتيق والجديد؛ ٢. في إثبات التحريف والتبديل؛ ٣. في إثبات النسخ؛ ٤. في إبطال التثليث؛ ٥. في إثبات كون القرآن كلام الله ومعجزاً؛ ٦. في إثبات نبوّة محمّد.

٤٤. **هوفمان** (د. مراد، سفير ألمانيا في الرباط)، **الإسلام كبديل**، ترجمة د. غريب محمّد غريب؛ مجلّة النور الكويتيّة، مؤسّسة بافاريا للنشر، سلسلة نافذة على الغرب ١؛ (١٧ × ٢٤)؛ ٢٥٤ ص.

خاتمة الكتاب

يتوافق المسيحيّون مع القرآن المكّي، في نظرته إلى المسيح والمعتقدات المسيحيّة؛ ولكنّهم لا يتوافقون أبداً مع موقف القرآن المدني، ولا مع موقف المسلمين عبر التاريخ:

الآيات المكّيّة لم تطرّق إلى هويّة المسيح، كما فعلت الكنيسة في تحديداتها العقائديّة الكثيرة، ولم يكن يعنيها سوى الدعوة إلى الإيمان بإله واحد، خالقٍ، يُثيب المحسنين في جنّات النعيم، ويعاقب المجرمين في نيران جهنّم. وقد بالغت في التشديد على أعمال الرحمة وفعل الصالحات مع المحتاجين والبائسين.

هذه الآيات كانت، كما يقول ميشال حايك، «كثيرة الحنان على النصارى، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسّيسيهم»[1].

أمّا الآيات المدنيّة، كما يقول أيضاً، فكانت «شديدة الوطأة» على المسيح وعلى النصارى وعلى المعتقدات المسيحيّة عامّة: لقد

---

(١) ميشال حايك، **المسيح في الإسلام**، دار النهار، بيروت، ط ٣؛ ٢٠٠٤، ص ٢٥ ــ ٢٦.

تنكّرت للنصارى، ورفضت رفضاً قاطعاً ألوهيّة المسيح، وصلْبه، وموته، وقيامته، وفدائه للبشر كافّة.

ومن نقاط التوافق أيضاً ما ذكره القرآن والحديث والعلم الإسلامي من معجزاتٍ تميّز بها عيسى، منذ طفولته، على جميع الأنبياء والرسل الذين يعدّهم المسلمون: ١٢٤ ألف نبيّ ورسول. وليس من نبيّ أو رسولٍ منهم أتى بمعجزاتٍ كالتي أتى بها المسيح من حيث الكمّيّة والنوعيّة... وهي ميزة أُعطيت لعيسى وحدَه دون سواه من الأنبياء والرسل، ومن بينهم محمّد نفسه.

وتنفرد رسالة المسيح، أيضاً، بحسب القرآن، بمميّزاتٍ عدّة، ترفعها على رسالات الأنبياء والرسل أجمعين: ١. لقد كان المسيح منذ ولادته نبياً. ٢. وجمع في نبوّته، ومنذ مولده، الوحيَ القديمَ كلَّه، ٣. واختصّ دون الرسل أجمعين بتأييد روح القدس له، ٤. وانفرد بالرفع إلى السماء من دون العالمين، ٥. وهو وحده عنده عِلمْ الساعة، ٦. ووحده الوجيه والمقرَّب من الله، ٧. ووحده سيجيِء في يوم الدين.

هذه الميزات السبع تدلّ على تفوّق المسيح وسموّه على جميع الأنبياء والرسل، وحتّى على محمَّد نفسه، الذي وُجد، بحسب القرآن نفسه، «ضالاً فهدى» (٩٣/ ٧)، وما دعاه اللهُ إلى الرسالة إلاّ في الأربعين. وكم اقترف محمّدٌ، في غزواته مع أعدائه، وفي حياته الخاصّة مع نسائه، من مُنكراتٍ لا تليق بمن دعاه الله إلى النبوّة وإلى الكلام باسمه.

ومن نقاط الالتقاء أيضاً بين الإسلام والمسيحيّة مريم البتول التي تفرّدت بمكانة لم يدركْها أحدٌ غيرها من البشر: وحدَها من بين النساء ذكرها القرآن باسمها. ووحدَها وُلدت معصومةً من أذى الشيطان الذي يطعن كلَّ مولود منذ ولادته. ووحدَها كأنثى قُرِّبتْ نذيرة لله في حين لا يُنذَر له إلاّ الذكور. ثمّ رُزقتْ وهي في الهيكل، من جنى الفردوس. وبشّرَها الملاكُ بما لم يُبشِّر به أحداً من البشر، وهي أن تحمل في أحشائها كلمة الله وروحه. وهي البتول التي لم تقترن بزوج. وسلَّمتْ عليها الملائكةُ مردِّدةً على الأجيال في الإسلام: "يا مريم! إنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ عَلى نِساء العالَمِين". وآواها ربُّها إلى "ربوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين"، قد تكون الجنّة. ويكون في ذلك انتقالها إلى النعيم...

«ومضى بعد ذاك علماء الإسلام يردّدون إعجابهم، فقالوا فيها أجمل ما يُقال في امرأةٍ. وعيَّد لها الشعبُ الإسلامي أحياناً، وصام وصلّى. فهي بين العالَمين الإسلامي والمسيحي نقطة الالتقاء الكبير»(٢).

***

وفي الختام، نحن في حيرة عظيمة من موقف القرآن والمسلمين من شخصيّة يسوع المسيح. أيّ موقف نقفه؟ الموقف الذي يتميّز به المسيح عن جميع الأنبياء والرسل، أم الموقف الذي

---

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٦٥.

يكفّر به جماعةً من المسيحيّين «غلوا» في إيمانهم بالمسيح.. وهنا لا مأخذ لنا على القرآن، بل على المسيحيّين أنفسهم الذين اختلفوا، آنذاك، على هويّة المسيح وطبيعته!

ولا نزال في حيرة في أمرنا، طالما نجد في القرآن موقفَين متناقضَين شديدي التناقض. وقد لا نحسم أمرنا إلاّ عندما نعود والمسلمون إلى تبنّي موقف القرآن المكّي، ونُعيد إلى الآيات معانيها الأصليّة. فالأصل في القرآن ما جاء في مكّة؛ بينما الفرع ما جاء في المدينة. والأصل أولى.

والأسف الشديد أن يستمرّ المسلمون اليوم على ما جاء به القرآن المدني، لأنّه، في نظرهم، «نسخ» ما في القرآن المكّي. وأبحاث المسلمين لم تُنصف أمريْن: لا ما جاء في القرآن المكّي، ولا ما جاء في الأناجيل القانونيّة. فما جاء في مكّة «نُسخ»، وما جاء في الأناجيل القانونيّة، «حُرِّف». ونحن بين النسخ والتحريف في دهشة وغرابة.

فهرس الكتاب